لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

The Scientific Miraculous In God Verses

من صور

الإعجاز العلمي

في آيات الله

حقائق علمية - كونية - بيولوجية - تشريعية

محمد حسن قنديل
Mohammed Hasan Qandeel

العالمية

من صور
الإعجاز العلمي
في آيات الله

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الدار العالمية للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٤٢٢٨م

الترقيم الدولي: ٧ - ٠٥ - ٦٣٢٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ :I.S.B.N

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١ - ٣١ ش الصالحي - محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

من صور الإعجاز العلمي في آيات الله

حقائق علمية - كونية - بيولوجية - تشريعية

محمد حسن قنديل

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إهـدائـي...هو اعتراف بأن الفضل كله لله، حيث هدانا إلى الإيـمان، وأنـزل إلينـا دعوة الخير، ورسالة النور للبشرية كلها، وتفضل علينا بالنظر إلى وجهه الكريم، والجنة خالدين فيها.

إهـدائـي... هو الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ نبي الهدى والرحمة للعالمين، والمؤيد من ربه سبحانه بالبينة الكبرى، والمعجزة الباقية إلى قيام الساعة.

إهـدائـي... هو الدعاء الخالص لوالديَّ بأن يرحمهما ربي كما ربياني صـغيرًا، وكـما أخذوا بيدي إلى طريق العلم والنور، واسأل الله تعالى أن يكون هذا الكتاب في ميـزانهم يوم القيامة، وأن يكون في ميزاني، وميزان أولـوا الأرحـام، ومـن سـاعدوا عـلى نـشره والمسلمين جميعًا، كما أسأل الله تعالى أن يجمعنا جميعًـا في الجنـة مـع النبيـين والـصديقين والشهداء أصحاب الوجوه الناضرة والناظرة إلى ربهم.... ومع هذا الاعتراف والدعاء الخالص من القلب... أهدي هذا الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

(الحشر: ٢١)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الرعد: ١٩)

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

(يوسف: ١٠٨)

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد،

فإن التفكر في خلق الله، والنظر في كونه الممتد، ليزيد في إيمان العبد ويقوي علاقته بربه بأقوى روابط الإخلاص والصدق في القول والعمل... وقدرة الله تعالى تبدو في كل شيء... وهي تتجلى لمن يسير متأملًا في هذا الكون المتقن البديع؛ حيث الأرض الممتدة بما تحتويه من الصحاري، والجبال، والقرى، والمدن، والعوالم المختلفة في الطبيعة والموارد وأصناف البشر، وحيث تلك البحار التي تمتد بمساحتها الشاسعة، ومنظرها البديع، وحيث أمواجها التي تتحرك في انسياب رائع، وجمال لا مثيل له، يشهد بقدرة الله تعالى وإبداعه في كونه المترامي الأطراف.

إن القرآن الكريم حين يشير إلى آيات الله في الكون، يجعل الجانب العلمي يبدو بالقدر الذي يعين الإنسان على أداء رسالته في الحياة، ويهديه إلى معرفة رب العالمين بأسلوب يتواءم مع الأجيال، والأزمان والبيئات، والثقافات، وبالقدر الذي يفهمه الأمي من خمسة عشر قرنًا فيكفيه ويهديه، وسوف تقرؤه الأجيال من بعد ذلك فترى فيه كل جديد ومعجز، ولقد أجمع العلماء في جميع مجالات العلوم أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة يقول الله تعالى ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ (النمل: ٩٣)، وبذلك يتبين لنا أن البشرية على موعد من الله متجدد ومستمر بكشف آياته ومعجزاته لنا، في أنفسنا، وفي الكون من حولنا لتتراجع مع ذلك باستمرار حضارات المادية والإلحاد في كل زمان وعلى مر العصور.

وإذا تركنا جانب الإعجاز العلمي، فهناك الإعجاز بالفطرة لمن ينظر متأملًا في جوانب الكون، حيث تبدو روعة الإبداع وقدرة الله سبحانه في كل شيء، في نظرة تأمل عند شروق الصبح.. وفي مشهد هدوء البحر وروعة الأشياء عند الغروب.. وفي شكل الصحاري ورسوخ الجبال وصمت المكان.. وفي شكل المزارع والحقول واختلاف النخيل والشجر، وفي اتساع الكون واختلاف الأحداث في القرى والمدن.. وفي سكون الليل وتسبيح الكائنات وسعي البشر.. وفي شكل الورود.. وتسخير الدواب.. ونوبات المطر، وفي شكل النخيل الصامد في قلب الأرض الخضراء.. وفي شروق الشمس على أحياء البسطاء، وغيرهم في بلاد الأضواء، والمدنية، والحضارات.. إنه فضل الله، وإنها السعادة للناظرين المتأملين والعارفين بدينهم الذي يملأ بالأمل القلوب، دين الإسلام الحق، والباقي ما دامت السماوات والأرض، فالدين عند الله هو الإسلام؛ لذلك سيظل ظاهرًا في كل زمان، ولن يتراجع أو يهزم دين رضي به واختاره الواحد القهار.

فليشعر كل مسلم بالسعادة والعزة لأنه ينتمي إلى هذا الدين الحق، دين المعجزات وخاتم الرسالات، ولقد وفقنا الله تعالى لكتابة هذا الكتاب لتوضيح الإشارات لبعض ومضات الإعجاز العلمي في القرآن، ويتضمن الكتاب عدة أجزاء مقسمة طبقًا للعلوم المختلفة.

ونسأل الله تعالى أن يهدي به وبنا، وأن يوفقنا إلى ما يرضيه، وأن يغفر لنا ولوالدينا، ولأولوا الأرحام، ويوفق من ساعدوا على إخراجه ونشره ويغفر لهم، وأسأل الله أن يهدينا سواء السبيل، وأن يجعل محتوى هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم، وقبسًا من نور رسالته، يضيء لنا في الدنيا والآخرة... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله الموفق

الجزء الأول

الإعجاز العلمي في آيات الله والعلوم الكونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

خلق الله الإنسان، وسخر له الكون فضلًا ورحمة منه... لك أن تشهد شروق الشمس... وامتداد البحار... والنخيل والأنهار... والصحاري الشاسعة... والجبال الراسية، وغيرها من مشاهد القدرة والإبداع... وقد أمرنا سبحانه وتعالى بالسير في الأرض، والنظر، والتفكر، حتى تطمئن القلوب بمعرفة خالقها الكريم المعطي، وحين يسمح الله تعالى بالعلم ببعض أسراره ومعجزاته كما وعد في كتابه الكريم، يكتشف العلماء من المعجزات الكونية وغيرها ما يجعلهم يشهدون بالوحدانية لله تعالى، وبالنبوة لرسوله الأمي محمد ﷺ، ويقف الإنسان أمام تلك الآيات عاجزًا شاكرًا لربه، يشهد بضعفه، وإبداع الخالق وقدرته... ومنها للتذكرة واليقين.

١- حركة السفن والرياح:

اكتشف العلماء في عصرنا أنه لو سكنت الريح فلا تعمل الباخرة أو السفينة، سواء التي تتحرك في البحر تبعًا لحركة الرياح، والتي تعمل بالاحتراق الداخلي أو الموتور؛ لأن الرياح هي العامل المساعد في عملية الاحتراق بوجود الأكسجين الذي يأتي عن طريق تغير الهواء باستمرار بفعل الرياح، وكذلك عملية التبريد للأجهزة المختلفة التي تعمل بالطاقة، ولقد أشار الله تعالى لذلك منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ (الشورى: ٣٣).

٢- صعود السماء وصفة العروج:

لقد تم رصد حركة الضوء على سبيل المثال أثناء حركته عبر السماء، فكان يعرُج في انحناء... وثبت بذلك أن الكون كله بما فيه من مادة وطاقة في حالة انحناء تام، وأن

أيًا من مختلف صور المادة والطاقة لا يمكنه التحرك في الكون في خطوط مستقيمة أبدًا، وسبحان الذي أنزل في محكم كتابه قبل ألف وأربعمائة عام وصف الحركة في السماء بالعروج[١] في سبع آيات متفرقات ومنها قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥).

٣- الرواسي وتثبيت الأرض:

ثبت علميًا أن قشرة الأرض الخارجية تمتد لمسافة تقدر بحوالي ٣٠كم، ثم بعدها يكون هناك الوشاح السائل أو الطبقة المنصهرة، والتي عليها القشرة الأرضية، وبذلك تحتاج الأرض إلى شيء يثبتها، حيث إنها بذلك تكون كتلة صلبة ملقاة على وشاح سائل فتنزلق الألواح الصخرية عند دوران الأرض، وكذلك هناك انصهارات تحدث في هذه الطبقة؛ لذلك فإن قشرة الأرض تحتاج إلى ما يثبتها، بسبب ضغط الأبخرة، وحركة الألواح، ونجد في عصرنا اعتراف العلماء أنه لابد من وجود الجبال لتثبيت الأرض، واستقرار ما سكن عليها، وقد أخبرنا الله عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (النحل: ١٥). ويخبرنا ﷺ أنه: «**حينما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال**».

٤- توازن الكون وآيات الإعجاز:

ولقد وجد العلماء أن للجبال جذورًا في الأرض تمتد، وأن الجبال تنمو، ولها أعمار محددة، وحين يتآكل الجبل بسبب عوامل التعرية أو ما ينتفع به الإنسان في استخداماته

---

(١) وصف الحركة في السماء بالعروج حقيقة أثبتها العلم الحديث «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» الدكتور زغلول النجار، والحمد لله أن الملك القدير يرينا آياته فنعرفها.

فإن هذه الجذور تعمل على إعادة ما تم استهلاكه حتى ينتهي عمر الجبل المفروض فيستوي بالأرض، ولقد أشار النبي ﷺ إلى هذا النمو في الجبال منذ ألف وأربعمائة عام في قوله ﷺ: «**لو ضُرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان**» حيث إنه بانتهاء بعض الجبال تتكون سلاسل جبلية أخرى عن طريق ما يحدث في قيعان البحار من انطلاقات بركانية تكون سلاسل الجبال الأخرى بتقدير الله العزيز الحكيم...

والتفسير العلمي لذلك أن الجبل يغوص بثقله إلى عمق يصل للطبقة المنصهرة، وتنطبق قوانين الطفو، فكلما أخذ الإنسان من الصخور ومواد البناء من أعلى، فيختل الضغط ويعلو الجبل مندفعًا من أسفل مسافة بقدر ما أخذ من الجبل تبعًا لقوانين الطفو، وهكذا حتى يخرج الجذر كله من الطبقة المنصهرة، فيستوي الجبل بالأرض، وهي فترة الشيخوخة للجبال كما يسميها العلماء.

٥- الإعجاز في خلق الأرض وصلاحيتها للعمران:

إن القرآن الكريم يحتوي على العديد من الحقائق العلمية عن الأرض؛ فلقد أشار القرآن الكريم في بعض الآيات عن كروية الأرض ودورانها، وهناك آيات توضح بداية تكوينها فهي مرحلة الجرم الأولى الذي تكدست فيه كل الكواكب المختلفة، وهناك الآية التي أشارت إلى إنزال الحديد إلى الأرض إنزالًا حقيقيًا، والآية التي تؤكد أن الأرض ذات صدع، حيث تم اكتشاف ذلك بواسطة أجهزة تخترق طبقات الأرض.

وبعد دراسات كثيرة من العلماء، وهناك الآيات التي تحدثت عن ظلمات البحار الموجودة على الكوكب الأرضي، وكيف أن هناك أمواجًا أخرى داخلية، وأن هناك نيرانًا تخرج من أعماق البحار والمحيطات، وكيف أن كتل المياه المتجاورة لا تختلط

اختلاطًا كاملًا نظرًا لوجود حواجز أفقية ورأسية غير مرئية تفصل بينها، ويتضح هذا الفصل بصورة أكبر في حالة التقاء كل من المياه العذبة والمالحة عند مصاب الأنهار، حيث يلتقي المالح والعذب في مصب واحد ولا تختلط المياه وكذلك يكون هذا الفاصل بين مياه البحار المتصلة بعضها ببعض على اختلاف درجة ملوحتها بحيث يحتفظ كل بحر بخصائصه الطبيعية، ولقد أشار القرآن إلى ذلك وسمى الفاصل بالبرزخ أي الحاجز وهو من نفس نوع المياه[١] فسبحان العليم الخبير.

وهناك الآيات التي تحدثت عن الجبال، وكيف أنها تمتد إلى باطن الأرض وتكون الأوتاد، ووظيفتها في تثبيت الغلاف الصخري للأرض، واتزان دورانها حول محورها، كذلك نجد الآيات التي تصف غلاف الأرض الغازي بصفة الرجع، وتناقص الضغط الجوي مع الارتفاع، والإحساس بضيق الصدر كلما ارتفعنا، وآيات تشير إلى تسوية الأرض وشق الفجاج والسبل، وتناقص الأرض من أطرافها، أو تشير إلى إسكان الماء في الأرض دون أن يتلف، ولا يستطيع أحد أن يخزن الماء بتلك الطريقة التي تدل على إبداع الله العلي القدير.

وهناك آيات تدل على تبادل الليل لراحة البشر، ووضوح النهار للسعي والعمل، وأن الليل هو الغالب على الفضاء الكوني، ولذلك تبدأ الآيات بذكر الليل دون النهار، وكذلك إشارة الآيات إلى رقة طبقة النهار حول نصف الأرض المواجه للشمس واستخدام اللفظ نسلخ أي أن الله تعالى يسلخ النهار من الليل، وذلك يدل على اتساع مساحة الليل في الفضاء الكوني وكذلك الآيات التي تشير إلى أن الليل في بداية الخلق كان مضيئًا ثم مُحي ضوؤه، والضوء هو آية الليل؛ لأن الآية في المعنى هي النور والبيان

(١) «براهين الإيمان ومعجزاته» الشيخ عبد المجيد الزنداني في الحديث عن عالم البحار والقرآن الكريم.

والوضوح، وجعل الله ذلك لتظل آية النهار هي المبصرة ليكون الليل للراحة بعد العمل والسعي، ولقد أشرنا إلى ذلك من قبل في كتاب «مواقف وإعجازات» عند الحديث عن ظاهرة الفجر القطبي، وهناك الآيات التي تؤكد أن عملية الخلق بدأت على مراحل متعاقبة عبر فترات زمنية طويلة في أطوار مختلفة وآيات تصف بداية الخلق ونهايته وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات.

ومن آيات الله تعالى في الأرض أن الغلاف الغازي يرد عنها الأشعة الضارة والقاتلة وتحترق فيه أجرام الشهب، وأغلب مادة النيازك وهي تهطل على الأرض كحبات المطر في كل يوم، ومن رحمة الله تعالى أنها تسقط في المناطق غير الآهلة بالسكان، ولقد وجد العلماء أن الأرض يقدر حجمها بحوالي مليون كم٣ وكتلتها تقدر بحوالي ستة آلاف مليون مليون مليون طن وهي أبعاد ومقادير تدل على إبداع الخالق القدير الخبير، فلقد وجد العلماء أنه لو كانت الأرض أصغر قليلًا لما كان في مقدورها الاحتفاظ بأغلفتها الغازية، والمائية، وبالتالي لاستحالت الحياة الأرضية، وكذلك تشتد درجة حرارتها لصغر مساحتها بصورة تحول دون أي شكل من أشكال الحياة الأرضية.

ولو كانت أكبر قليلًا من حجمها السابق لزادت قدرتها على جذب الأشياء زيادة ملحوظة مما يعوق الحركة، ويحول دون النمو الكامل لأي كائن؛ وذلك لزيادة قدرتها على جذب الأشياء فتنقص من نموها لأن أغلب مادتها من الحديد، فهي تُبنى من عدة نطق حول كرة مصمتة من الحديد والنيكل تُعرف باسم لُبِّ الأرض الصلب الداخلي ولب الأرض الصلب الداخلي، عبارة عن نواة صلبة من الحديد ٩٠٪ وبعض النيكل٩٪ مع القليل من العناصر الخفيفة مثل الفوسفور والكربون والسيلكون بنسبة ١٪ وقطرها حوالي ٢٤٠٢كم، وهذا هو نفس تركيب النيازك الحديدية التي تنزل إلى الأرض، حيث أشار الله تعالى إلى ذلك في آية إنزال الحديد.

وهناك نطاق لُبِّ الأرض السائل الخارجي وهو نطاق سائل يحيط باللب الصلب وله نفس تركيبه الكيميائي ولكنه منصهر وسمكه حوالي ٢٢٧٥كم ويفصل هذا النطاق عن اللب الصلب منطقة انتقالية يبلغ سمكها ٤٥٠كم وهي منطقة شبه منصهرة تمثل بداية الانصهار ثم ثلاثة أوشحة تحيط بلبها السائل ثم الغلاف الصخري للأرض.

وللأرض مجال جاذبية يزداد مع العمق حتى يصل إلى قمته عند الحد الفاصل بين وشاح الأرض ولبها ثم يبدأ في التناقص، ولولا جاذبية الأرض لهرب منها غلافها الغازي، ولما أمكنها أن تكون صالحة للعمران لأن سرعة الإفلات من جاذبية الأرض تقدر بحوالي ١١,٢كم/ ثانية في عكس اتجاه الجاذبية، واقتضت حكمة الله أن تكون سرعة الغلاف الغازي أقل من هذه السرعة بكثير وبذلك حفظ الله تعالى الغلاف الغازي للأرض لحمايتها من الإشعاعات الكونية والشمسية، ولرجمت بملايين من النيازك الكافية لتدميرها.

وللأرض مجال مغناطيسي ثنائي القطبية ويتولد من حركة المكونات فيها وفيه، كما يتولد لأي جسم آخر، وتفسير ذلك أن الجسيمات الأولية للمادة في غالبيتها مشحونة بالكهرباء تتحرك سواء طليقة أو مرتبطة في داخل ذرات المادة فهي حين تتحرك تولد مجالًا مغناطيسيًا، يحيط بالأرض ويحميها من الأشعة الكونية الضارة، ويمتد المجال المغناطيسي للأرض إلى مسافة تقدر بخمسين كم فوق سطحها، ومن فوائده أيضًا أنه يجمع أحزمة من الأشعة الهلالية الشكل، وتحمي الأرض من الأشعة الضارة.

والجبال تثبت الغلاف الصخري للأرض، ولولا ذلك ما تكونت التربة ولا دارت دورة المياه، ولا خزنت المياه تحت السطحية ولا أمكن لكائن حي أن يستقر على

سطحها، وللأرض نشاط ديناميكي يتمثل في حركة ألواح الغلاف الصخري لها الممزق بشبكة هائلة من الصدوع ترتبط بعضها البعض كأنها صدع واحد، ولقد اكتشف العلماء ذلك عن طريق أجهزة تخترق طبقات الأرض لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ والتي أشار الله تعالى إليها في قسمه: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١٢).

وفائدتها تعمل كمتنفَّس لطاقة الأرض الهائلة وتتحرك الأرض عبرها يمنة ويسرة وحين تتحرك ألواح الغلاف الصخري بفعل تيارات الحمل العنيفة المندفعة من نطاق الضعف الأرضي، فلو تحركت متباعدة تتكون قيعان البحار والمحيطات، أو مصطدمة فتكون السلاسل الجبلية والثورات البركانية التي تثري سطح الأرض بالخيرات المعدنية والصخرية المختلفة ونلاحظ أنها آيات مختلفة عن الأرض وتكوينها، وخصائصها، وقد أخبرنا الله تعالى عن كل تلك الآيات في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات: ٢٠).

٦- من صور الرجع الكوني والإعجاز القرآني:

لقد وصف الله تعالى السماء بأنها ذات الرجع، ولفظ الرجع يثبت أن المقصود هو المطر وغيره مما يصح عليه هذا اللفظ، لذلك لم يأت القسم بلفظ والسماء ذات المطر لأن المقصود بالرجع هو أشياء مختلفة ومتعددة غير المطر، ولتفسير ذلك نقول: لقد وجد العلماء أن كل ما يصعد إلى السماء أو إلى الغلاف الغازي بها من بخار ماء وغازات مثل أول أكسيد الكربون، وأكاسيد النتروجين، والنشادر، وغاز الميثان، وغيرها، يرتد مرة أخرى إليها، وأن كل ما يسقط على الغلاف الغازي يرتد راجعًا عنه لحماية الأرض من وصول الأشعة الضارة وغيرها.

كذلك من صور الرجع تلك النجوم التي تنفجر في السماء وتتحول إلى الدخان، ثم تتخلق مرة أخرى وتعود نجومًا جديدة من هذا الدخان وهي صورة أخرى من صور الرجع في السماء، وهناك في الغلاف الجوي نجد أنه يتكون من عدة نطق مختلفة.

أولاً- نطاق الطقس أو الرجع:

وهو يمتد من سطح البحر على ارتفاع ١٦ كيلو متر فوق خط الاستواء، ويتناقص سمكه إلى ١٠ كيلو مترات فوق القطبين وتنخفض درجة الحرارة في هذا النطاق باستمرار مع الارتفاع؛ وذلك لبعده عن الأرض التي تمتص جزءًا من حرارة الشمس وهو حوالي ٤٧٪ من أشعتها، ثم تنعكس هذه الحرارة في صورة أشعة تحت حمراء إلى الغلاف الغازي، وبذلك تنخفض درجة الحرارة في النطاق الغازي مع الارتفاع للبعد عن مصدر الدفء وهو سطح الأرض، وفي ذلك فائدة للأرض كبيرة حيث تصل درجة الانخفاض في الحرارة إلى درجات كبيرة، وذلك يجعل هناك طبقة من الهواء البارد أسفلها طبقة من الهواء الساخن ويحدث بذلك تيارات حمل مستمرة تساعد على رجوع بخار الماء إلى مطر ولولا ذلك لفقدت الأرض مياهها عن طريق البخر دون أن يرجع إليها ثانية.

ثانيًا- نطاق التطبق:

ويمتد على ارتفاع ٥٠كم فوق مستوى سطح البحر ويحتوي طبقة تسمى طبقة الأوزون، وهي التي تمتص الأشعة فوق البنفسجية وتردها إلى خارج هذا النطاق لحماية الأرض من أضرار تلك الأشعة، وهي صورة أخرى من صور الرجع.

ثالثًا- النطاق الحراري:

ويمتد على مئات الكيلومترات فوق سطح البحر، وفيه ترتفع درجة الحرارة، وفي جزء من هذا النطاق تتأين جزيئات الغاز أي تُشحن بالكهرباء بفعل الأشعة فوق البنفسجية والسينية من الشمس ويسمى بالنطاق المتأين.

رابعًا- أحزمة الإشعاع:

وهي عبارة عن زوجين من الأحزمة الهلالية الشكل التي تزداد في السمك حول خط الاستواء، وترق رقة شديدة عند القطبين، وتحتوي عددًا كبيرًا من البروتونات والإلكترونات التي يصطادها المجال المغناطيسي للأرض وهي تحمي الأرض من الأشعة الكونية وتردها، ولقد وجد العلماء أن الغلاف الغازي للأرض، يحتوي على تكوينات وغازات وعناصر تجعله يتصف بأنه ذو رجع، فمثلًا هناك **الرجع الاهتزازي** للهواء وهو رجع الأصوات وصداها.

حيث تزداد سرعة الصوت كلما زادت كثافة الوسط الذي يتحرك فيه وتقل بقلة كثافته، ففي الماء تتضاعف سرعة الصوت أربع مرات عنها في الهواء، وفي المنطقة العليا من الغلاف الغازي للأرض تتناقص حتى لا تكاد تسمع ولذلك يتخاطب رواد الفضاء مع بعضهم البعض بواسطة الموجات الراديوية التي يمكنها التحرك في الفضاء، وعندما تصطدم الموجات الصوتية الصادرة من شخص مثلًا بأجسام أعلى كثافة من الهواء فإنها ترتد على هيئة صدى للصوت، وهو أول صورة من صور الرجع، ولولاه ما سمعنا بعضنا البعض.

وتحتوي الطبقة الدنيا من الغلاف الغازي على عناصر أعلى كثافة من الهواء تساعد على رجع الصوت فمثلًا هناك ٧٥٪ من كتلة الغلاف الغازي تحتوي غاز

النتروجين بنسبة ٧٨٪ حجمًا، والأكسجين ٢١،٩٥٪ حجمًا وآثارًا خفيفة من بخار الماء وثاني أكسيد الكربون والأوزون وبعض هباءات الغبار وآثارًا أقل من الأيدروجين، والأرجون، والهيليوم وبعض مركبات الكبريت.

كذلك هناك **الرجع المائي** حيث يتكثف بخار الماء ويعود إلينا مطرًا أو ثلجًا أو بردًا أو ندى وضبابًا، ومن آيات الإعجاز الإلهي ما اكتشفه العلماء من أن ما يتبخر من أسطح المحيطات والبحار في السنة يفوق ما يسقط فوقها، وأن ما يسقط من مطر على اليابس سنويًا يفوق ما يتبخر منها، والفارق في الحالتين متساو تمامًا، فيفيض إلى البحار والمحيطات ليحفظ منسوب المياه فيها عند مستوى ثابت في الفترة الزمنية الواحدة، ولولا ذلك لفسد ماء الأرض، وتعرض كوكبنا لحرارة قاتلة بالنهار وبرودة بالليل فسبحان الذي قدر الأشياء بعلمه وقدرته.

وهناك أيضًا **الرجع الحراري**، حيث تمتص الأرض جزءًا من حرارة الشمس حيث يرتد إليها في كل لحظة شروق كميات هائلة من طاقة الشمس ويرد الغلاف الغازي ويرجع عنا الأشعة الضارة والزائدة عن حدها بالنسبة لما تحتاجه الأرض وإلا لاحترقت الأرض بما عليها، وكذلك يحافظ الغلاف الغازي بالليل على الحرارة المنبعثة من الأرض ويمنعها من التشتت حتى تحتفظ الأرض ليلًا بدرجة حرارة يحتاجها البشر وإلا لتجمدت الكائنات ليلًا، والغلاف الغازي يشتت ويرجع حوالي ٥٣٪ من أشعة الشمس ويسمح بمرور حوالي ٤٧٪ من طاقة الشمس تمتصها الصخور وتربة الأرض، ولو لم يكن هناك الغلاف الغازي لتشتت الحرارة أو زادت عن نسبتها فتحترق بذلك الكائنات.

وأيضًا هناك نوع من الرجع، وهو **رجع الغازات** والأبخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض عن طريق ثورات البراكين التي تدفع بملايين الأطنان من الغازات

والأبخرة والأتربة في مكان معين وهي تفيد في تشتيت أشعة الشمس خلال الطبقة المتأينة؛ ليتمكن الإنسان من رؤية الضوء، فيتم توزيعها عن طريق المنخفضات والمرتفعات الجوية التي تدفع بالهواء في حركة أفقية فتنشأ الرياح التي تتوقف على مقدار الفرق بين الضغط الجوي في منطقتين متجاورتين، ودوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق وتنوع التضاريس التي تختلف بحسب مساحة المياه الموجودة، ووجود الجبال، والموقع الجغرافي وغير ذلك من العوامل التي قدرها الله سبحانه وتعالى.

وحين تحمل الرياح الأتربة والغبار من سطح الأرض توزعه على جميع أنحاء الأرض بحكمة بالغة حيث ينخفض الضغط الجوي كلما زاد الارتفاع، وبذلك تضعف قدرة الهواء على الاحتفاظ بالغبار المحمول من سطح الأرض، مما يؤدي إلى رجوعه إلى الأرض في مناطق متفرقة توزيعًا متناسبًا.

كذلك من صور الرجع أن **طبقة الأوزون** ترد عنا الأشعة الضارة مثل الأشعة فوق البنفسجية، حيث تمتصها وترد نسبًا كبيرة منها إلى خارج ذلك النطاق ثم هناك **رجع الطبقة المتأينة** وهي تكون بين ١٠٠و ٤٠٠كم فوق مستوى سطح البحر والتي تمتص الأشعة السينية، والفوتونات النشيطة القادمة مع أشعة الشمس فتؤدي إلى رفع درجة الحرارة وزيادة التأين الراديوية ذات الأمواج الطويلة فتيسر عمليات البث الإذاعي المباشر، والاتصالات الراديوية، وهي صورة أخرى من صور الرجع.

ومن صور الرجع أيضًا **رجع الأشعة الكونية** عن طريق أحزمة الإشعاع، والنطاق المغناطيسي للأرض، فلا يصل الأرض منها شيء، ولكن قد يصل بعض الأشعة الثانوية إلى سطح الأرض فتؤدي إلى عدد من ظواهر التوهج والإضاءة في ظلمة الليل، ومنها ظاهرة الفجر القطبي حيث يرق حزامي الإشعاع عند القطبين

فتصطدم هذه الأشعة بالغلاف الغازي، إنها صور الرجع التي يخبرنا الله عنها بقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ (الطارق:١١).

٧- الإعجاز في بناء السماء دون تشقق أو فروج:

لقد كان يعتقد علماء الفلك منذ عهد قريب أن أجرام السماء تَسْبح في فراغ تام ولكن البحوث المتأخرة، أثبتت أن المسافات بين كل من النجوم وتجمعاتها المختلفة إلى نهاية الجزء المدرك من الكون تنتشر فيها الأشعة الكونية، وما تحمله من جسيمات أولية والدخان الكوني، وما يحمله من هباءات، واكتشف العلماء نوعًا من الخيوط الكونية التي تربط أجرام السماء وتحمل الأوامر الكونية كما تحملها لَبِنات الشفرة الوراثية في أجساد الكائنات الحية وهذا ينفي وجود فراغات أو فروج في الكون المدرك، ولن يكون هناك شقوق في السماء إلا يوم القيامة ، يقول تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ ﴾ (الحاقة:١٦).

ويقول أيضًا: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴾ (المرسلات:٩)، ولأن السماء عبارة عن بناء محكم فإن أي شق فيها يسمى بابًا لأن الباب لا يُفتح في فراغ؛ لذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ (النبأ:١٩).

ويقول أيضًا: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴾ (الحجر:١٤)

ولقد وجد العلماء أن كل الصور التي يكتشفونها في السماء على مر السنين تدل على أن السماء لا يصح عليها إلا لفظ البناء والبناء المحكم، ولقد اكتشفوا الكثير مما يدل على ذلك، وعلى سبيل المثال، نجد أنهم اكتشفوا ما يسمى باسم الحائط العظيم، وهو عبارة عن حشد هائل من تجمعات المجرات، يبلغ طوله نحو مائتين وخمسين مليونًا من

السنين الضوئية، وعرضه نحو مائتي مليون، وسمكه نحو خمسة عشر مليونًا من السنين الضوئية.

ولقد اكتشف الفلكيون في داخل هذا الحائط العظيم العديد من المناطق المظلمة، الشاسعة الأبعاد التي تفصل بين كل من المجرات والتجمعات المجرية بمختلف مستوياتها وتبدو هذه المناطق المظلمة وكأنها مناطق جذب فائقة الشدة مرتبة ترتيبًا دقيقًا، وبأشكال هندسية محددة، وتتوزع المجرات حولها، وكأنها خلايا عظيمة البناء متصلة بشكل هندسي بديع حول المناطق المظلمة التي يبدو أنها مشدودة إلى مراكز تلك المناطق بقوى كهرومغناطيسية ذات موجات غير معروفة تساعد في انتظام البناء في صورة لا تدل إلا على إبداع الله العلي القدير.

ووجد العلماء أن الأشعة الكونية أو الدخان الكوني ينتشر في صورة مادة تملأ الفراغات الموجودة بين هذا البناء المحكم مما ينفي وجود أي فراغات أو شقوق في الكون، ويشير الله تعالى إلى ذلك في قوله تعالي: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (ق: ٦).

٨- رزق السماء والعلوم الكونية:

إن الله تعالى خلق الإنسان وتكفل برزقه، ولقد كانت السماء من نعم الله التي تحتوي أسبابًا للرزق فلقد وجد العلماء أن من رزق السماء هذا المطر الذي نرتوي به ونروي منه زراعتنا، كذلك غاز الأكسجين الذي يتنفسه الإنسان والحيوان، وكذلك غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يتنفسه النبات، وهذه الغازات تمتد من سطح الأرض إلى ارتفاع ١٦كم فوق خط الاستواء.

والماء الذي ينزل من السماء بعد أن تكثف منذ بداية الانفجار الكوني الأول وعبر فوهات البراكين حيث يتصاعد على هيئة بخار ماء ثم يتكثف عن طريق الطبقة العليا الباردة فيعود إلى الأرض ليجري أنهارًا متدفقة تفيض إلى منخفضات الأرض فتشكلها بحارًا، ومحيطات، وبحيرات، ومستنقعات.

ويدخل الماء في العمليات الحيوية للإنسان والحيوان ويعين النبات على الاستفادة بمركبات الأرض ووجد العلماء أن هناك نجومًا في السماء تنفجر وتسمى بالمستعرات وهي تحتوى على نسبه عالية من الحديد فتصطدم نيوترونات دخان السماء بنوى الحديد المتطاير من عملية الانفجار لتبني ذرات نوى أعلى كثافة مثل الفضة والذهب واليورانيوم وغيرها وهي نوع من أنواع الرزق في السماء.

ويصل إلى الأرض في المناطق الغير آهلة بالسكان يوميًا بين الألف والعشرة آلاف طن من مادة الشهب والنيازك لتجدد إثراء الأرض بمعدن الحديد والعناصر المختلفة، والتي تمثل صورة من صور رزق السماء توزع في مناطق مختلفة من الأرض كذلك من صور الرزق في السماء هذه الشمس التي ترسل أشعتها إلى الأرض فيستفيد منها الإنسان والحيوان والنبات.

ونحن نعلم أهمية الضوء في مسألة نمو النباتات حيث لا ينمو النبات إلا في وجود الضوء وأشعة الشمس، ومن ذلك نجد أن ماء المطر هو من رزق الله الذي أودعه الله تعالى في السماء، كذلك الشهب والنيازك هي من رزق الله في السماء، وأيضًا أشعة الشمس هي صورة من صور الرزق، ولها أهميتها في نمو الإنسان والحيوان والنبات، فسبحان الذي أخبر رسوله بذلك منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢).

ومعنى ما توعدون، أي: ما توعدون به من الثواب والعقاب، وما هو مسجَّل لك أو عليك في اللوح المحفوظ أتشقى أم تكون من السعداء.

٩- نجوم تطرق السماء وتثقب الظلام الكوني:

اكتشف العلماء في صفحة السماء وعلى أطراف الجزء المدرك من الكون نجومًا تسمى النجوم النيترونية شديدة التضاغط والتي تسمى باسم النجوم النابضة، وهي ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير ولذا فإنها تدور حول محورها بسرعات فائقة مطلقة كميات هائلة من الموجات الراديوية ولذا تعرف باسم النوابض الراديوية (*radio pulsars*) لأنها ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية أو في كل عدد قليل من الثواني حسب حجمها وسرعة دورانها حول محورها، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلى ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة، ويُعتقد أن النابض الراديوي يُطلق نبضة واحدة من الموجات الراديوية في كل دورة كاملة حول محوره، وتسجل التلسكوبات الراديوية أو المقربات تلك النبضات بدقة بالغة[(١)] والتي تشبه بالنسبة للسامع نفس الطرقات التي تُطرق على الباب.

ومن رحمة الله بنا أن أقرب النوابض الراديوية إلينا يبعد عنا بمسافة خمسة آلاف من السنين الضوئية، وإلا كان لنبضاتها المتسارعة أثر مدمر للحياة على الأرض، فسبحان الذي خلق تلك النجوم وحفظ الإنسان من كل ما يضره ولقد أخبرنا الله تعالى بتلك النجوم وأوحى إلى رسوله يبلغنا عنها في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ (الطارق: ١-٣).

---

(١) يعترف العلماء بسماع أصوات تلك النجوم عن طريق التلسكوبات الراديوية وكأنه الطرق على الباب تمامًا.

وهذا الوصف يعبر بدقة عن طرقات تلك النجوم النابضة، والتي تثقب الظلام الكوني بوميضها الذي ينبعث منها أثناء تلك النبضات، وتثقب الصمت الكوني بنبضاتها سريعة التردد، ويبدو الإعجاز في أن تلك التلسكوبات التي سجلت مشاهد وطرقات هذه النجوم لم تكن موجودة في عهد النبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام مما يثبت لنا أنه كان لا ينطق عن الهوى، وأن ما أخبرنا به هو الوحي من السماء.

١٠- الإعجاز في رفع السماء بغير عمد:

إن من يتأمل في هذا الكون وما يحتويه من المجرات، والنجوم، والكواكب الهائلة في الحجم، يتعجب من تماسكها وعدم اصطدامها أو وقوعها على كوكبنا الأرضي فهناك نجوم تفوق أحجامها حجم الأرض بل وتفوق حجم الشمس بملايين المرات، وسقوط نجم واحد على كوكب الأرض كفيل بتدميره وما عليه من كافة صور الحياة في لحظة ولكن اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الجاذبية العامة هي سُنَّة من سنن الحياة أودعها الله تعالى في كافة أجزاء الكون ليربط أجزاءه بها دون الحاجة إلى الأعمدة كما يفعل البشر، فهو ترابط يتناسب مع قدرة الله تعالى.

وجعل الله قانونًا كونيًا ينص على أن قوة التجاذب بين أي كتلتين في الوجود تتناسب تناسبًا طرديًا مع حاصل ضرب كتلتيهما، وعكسيًا مع مربع المسافة الفاصلة بينهما، ومعنى ذلك أن قوة الجاذبية تزداد بزيادة كل من الكتلتين المتجاذبتين وتنقص بنقصهما، كذلك تزداد قوة الجذب بنقص المسافة الفاصلة بين الكتلتين وتتناقص بزيادة المسافة بينهما، ولأن أغلب أجرام السماء كتلتها كبيرة ومذهلة في ضخامتها، فإن الجاذبية العامة هي الرباط الحقيقي لتلك الكتل على الرغم من ضخامة المسافات الفاصلة بينها.

وهذه القوة الخفية غير المرئية تمثل النسيج الحقيقي الذي يربط كافة أجزاء الكون، وقوى الجذب هذه بين جزيئات المادة وبين الأجرام وبعضها تتحكم في شكل المادة، فهي التي تحكم تكور الأرض، وتكور كافة أجرام السماء، وتكور الكون كله ودوران الأجرام السماوية كلٌ حول محوره، ونجد أنه بداخل جزيئات المادة يدور الإلكترون حول النواة كمثل هذا النظام، ورغم تعدد المدارات وتداخلاتها يبقى الجرم السماوي في مداره المحدد بتعادل دقيق بين كل من قوى الجذب إلى الداخل بفعل الجاذبية وبين قوى الطرد إلى الخارج بفعل القوة الطاردة المركزية.

وقوة الجاذبية العامة تعمل على تحدب الكون، أي: تكوره، وتجبر كافة صور المادة والطاقة على التحرك في السماء في خطوط منحنية أي في عروج لذلك فالقرآن الكريم يأتي بلفظ العروج عند الإشارة للصعود في السماء وهذا من أبلغ الإعجاز القرآني، كذلك قوة الجاذبية تعمل على حفظ الأغلفة الغازية والمائية والحياتية للأرض وتحدد سرعة الإفلات من سطحها وبذلك يمكن إطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية ويفرض العلماء أن جاذبية الأرض ناتجة عن دورانها حول محورها واحتوائها على الحديد بنسب كبيرة وبذلك فإن مجال الأرض المغناطيسي ناتج عن دوران لبها السائل الذي يتكون أساسًا من الحديد.

ولقد وجد العلماء بعد الكثير من الدراسات الكونية بأن هناك قوى مستقرة في كل من الذرات والجزيئات، وفي كافة أجرام السماء تحكم بناء الكون وتُمسك بأطرافه ومنها القوة النووية الشديدة، وهي القوة التي تقوم بربط الجزيئات الأولية للمادة في داخل نواة الذرة برباط متين مثل البروتونات والنيوترونات ولبناتها الأولية تسمى بالكواركات وهي التي يتم بها دمج والتحام نوى الذرات مع بعضها البعض في عمليات الاندماج

النووي التي تتم في داخل النجوم وتسمى هذه القوة بالقوة الشديدة وتعمل داخل نوى الذرات.

وهناك القوة الكهربائية المغناطيسية وهي التي تربط بين الذرات وبعضها في داخل جزيئات المادة مما يعطي للمواد صفاتها الطبيعية والكيميائية ولولا ذلك لما كانت هناك مركبات وعناصر ولما كانت هناك حياة على الإطلاق، وهذه القوة هي التي تؤدي إلى حدوث الإشعاع الكهرومغناطيسي على هيئة فوتونات الضوء أو ما يعرف باسم الكم الضوئي، وتنطلق الفوتونات بسرعة الضوء لتؤثر في جميع التفاعلات الكيميائية والعمليات الفيزيائية، وهناك قوة الجاذبية والتي تربط كما أشرنا بكتل الأجسام ومواقعها.

فكلما تقاربت أجرام السماء وزادت كتلتها زادت قوى الجذب بينهما، ومن حكمة الله تعالى أنه جعل دوران الأجرام حول نفسها ينشأ عنه قوة طاردة مركزية تضاد الجاذبية حتى لا تصطدم الأجرام المتجاذبة ببعضها، وكذلك كلما زاد بُعْد النجم عن الآخر قلَّت الجاذبية وبذلك يكون التوازن، وبذلك يطلق على السماء لفظ البناء حيث تنتشر الكواكب المختلفة في السماء وكل كوكب من هذه الكواكب الهائلة العدد بمثابة اللبنات الأساسية والتي يربطها الله تعالى بعضها ببعض بقوى خفية هي قوة الجاذبية من نفس مادة الفضاء، كما جعل بين البحار فاصلًا وسورًا حاجزًا ليس من الصخور ولكن من نفس مادة الماء وهو البرزخ.

إنها طلاقة قدرة الله التي لا تماثلها قدرة وهناك أيضًا موجات الجاذبية التي تنطلق من الأجسام والتي سوف نشير إليها عند الحديث عن التماثيل وانجذاب الشياطين لها حيث تنجذب لتلك الأشعة وكأنها تشم رائحتها وفي ذلك يبدو ويتضح

الإعجاز في تحريم التماثيل حيث تنجذب الشياطين لتلك الأشعة إذا كانت مصحوبة بصورة موحية ولكنها تصبح أشعة عادية إذا تم تغيير هيئة التمثال بقطع الرأس مثلًا وهذه الموجات الكهرومغناطيسية يرى العلماء أن مصدرها هو تحرك الجسيمات المشحونة بالكهرباء مثل الإليكترونيات والبروتونات الموجودة في ذرات العناصر والمركبات، ومع حركتها تكون مصحوبة بإشعاعات من الموجات الكهرومغناطيسية.

ولقد اكتشف العلماء ترابط كل مجرات الكون بواسطة قوى الجاذبية وكأنها الخيوط العظمى التي لا يمكن إدراكها بالعين المجردة أو تمثيل أسرار تلك القوة وذلك ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾.

(الرعد: ٢)

ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج: ٦٥).

١١- حقيقة النجوم والوصف القرآني:

إن المتأمل في السماء يرى النجوم هي المصابيح للسماء الدنيا، ويصف العلماء تلك المصابيح بأنها عبارة عن أجرام غازية في غالبيتها وهي ضخمة الحجم وتبدو لنا ضئيلة لتعاظم أبعادها عنا.

فأقرب نجم إلينا هو الشمس وتبعد عنا حوالي مائة وخمسين مليون كم، ومن النجوم من يبعد عنا بأكثر من عشرة بلايين من السنين الضوئية، والنجوم أجرام سماوية شديدة الحرارة، ملتهبة ومشتعلة ومضيئة بذاتها، يغلب على تركيبها غاز الأيدروجين، ويليه في الكثرة غاز الهليوم والقليل من العناصر الأخرى الأثقل وزنًا وبدوران النجم

حول محوره يحدث التجاذب الداخلي إلى مركز النجم ويؤدي ذلك إلى اتحاد نوى ذرات الأيدروجين مع بعضها البعض بالاندماج أو الانصهار النووي.

وينطلق عن ذلك كميات هائلة من الطاقة على هيئة عدد من الإشعاعات الكهرومغناطيسية التي من أهمها الضوء والحرارة، ونتيجة لتلك التفاعلات التي تحول العناصر بداخل النجم من عنصر إلى آخر نتيجة للاندماج النووي وعند ذلك يتقلَّص حجم النجم بالتدريج وتزيد كثافته وترتفع حرارته باستمرار حتى ينتهي النجم عند مرحلة معينة، وتسمى هذه المراحل بدورة حياة النجوم.

وتبدأ حياة النجم بالدخان الذي نشأ عن انفجار الجرم الأولى للكون، حيث تتجمع جزيئات الدخان وتنجذب نحو المركز الذي تكون نتيجة التصادمات المستمرة والدوامات التي تعمل على تركيز المادة وبث الأشعة تحت الحمراء، فيتكون الجرم الابتدائي، وتستمر التفاعلات في هذا النجم حيث يتحول الأيدروجين إلى هليوم ثم عناصر أثقل كالكربون والنتروجين والأكسجين ثم يتحول لب النجم إلى الحديد فتتوقف عملية الاندماج النووي ويدخل النجم في مرحلة الاحتضار حيث ينفجر ويثري كواكب أخرى تحتاج إلى معدن الحديد، لذلك فإن الحديد أُنزل إلى الأرض من السماء نتيجة لانفجار تلك النجوم كما أشار بذلك القرآن الكريم.

وهذه النجوم تمر بمراحل عديدة قبل الانفجار حيث يتضاءل قطرها شيئًا فشيئًا فهي في البداية ربما منها ما يزيد قطره عن أربعمائة ضعف قطر الشمس، أي نحو خمسمائة وستين مليون كم، ومنها الأقزام البيض، التي لا تتعدى أطوال أقطارها واحد من مائة من طول قطر الشمس أي حوالي ١٤٠٠٠كم، ومنها النجوم النيترونية التي لا يتعدى قطر الواحد منها ستة عشر كم، ومنها النجوم الخانسة الكانسة والتي يتكدس

فيها النجم على ذاته إلى درجة كبيرة وهو رغم ذلك يكنس ما يقابله من صور المادة والطاقة حتى يتكدس على ذاته تمامًا.

ويتضاءل قطر النجم إلى درجة كبيرة وكأنه يعيد صورة النجم الأول الذي تكدس على ذاته في بداية الكون ثم انفجر، فكانت منه الكواكب والنجوم، ولقد أقسم الله تعالى وأشار لتلك النجوم التي تكنس في السماء وحين تتكدس على ذاتها ويتحول لبها إلى الحديد تتوقف عن التوهج ولا ينفذ منها ضوء فتخنس وتختفي، أشار إليها في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ (التكوير: ١٥-١٦).

وغالبية نجوم السماء من النوع العادي وتسمى نجوم النسق الرئيسي حيث يكون حجم النجم هائلًا وتستمر به عمليات الانشطار النووي والتفاعلات، والتي تؤدي إلى توهج النجم بذاته وهذه الفترة تسمى فترة الشباب بالنسبة للنجوم وتتميز هذه المرحلة بتعادل دقيق بين قوى التجاذب إلى مركز النجم نتيجة لدوران النجم حول محوره، وقوة الدفع إلى الخارج.

وهي القوة الطاردة المركزية نتيجة لتمدده بالحرارة الشديدة الناتجة عن عملية الاندماج النووي في لبه، وذلك يفسر تكدس النجم على ذاته كلما قلت عملية الانشطار النووي لقلة درجة الحرارة، فتتغلب قوى الجذب في فترة الشباب هذه حتى ينفذ وقوده من غاز الأيدروجين، أو يكاد ينفذ فيبدأ بالتوهج الشديد حتى تصل شدة إضاءته إلى مليون مرة قدر شدة إضاءة الشمس، ثم يبدأ في الانكدار التدريجي حتى يُطمس ضوؤه بالكامل ويختفي على هيئة النجم الخانس الكانس الذي أشرنا إليه.

ومن النجوم المنكدرة ما يُعرف باسم الأقزام البيض والنجوم النيترونية وغيرها من صور انكدار النجوم ولقد أخبر الله تعالى رسوله ﷺ منذ ألف وأربعمائة

عام بكل تلك المراحل في حياة النجوم ولم تكن هناك مثل تلك الاختراعات الحديثة التي اكتشفوا بها كل ذلك ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ (التكوير: ١-٢). ويقول تعالى عن النجوم التي يطمس ضوؤها: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (المرسلات: ٨).

وكما تختلف النجوم في أحجامها فإنها تختلف في كثافتها فكلما زاد حجم النجم قلت كثافته وكلما قل حجم النجم زادت كثافته وتعتبر كثافة النجم دالة قوية على مرحلة تطوره فكلما زادت كثافة النجم كان أكبر عمرًا وأقرب إلى نهايته من النجوم الأقل كثافة، ومن صفات النجوم أن التي تشتد الحرارة بها تبدو زرقاء اللون فالشمس على حقيقتها بعد عبور طبقة الغلاف الجوي تبدو كقرص أزرق في صفحة السماء السوداء.

والنجوم الأقل حرارة تبدو حمراء اللون، لذلك يشعر من يعبر طبقة الغلاف الجوي ويصل إلى طبقة الظلام الكوني ويرى الشمس على حقيقتها قرص أزرق في صفحة السماء السوداء وبقية النجوم يرى منها الأزرق، والأحمر، وغير ذلك من صور الفضاء يشعر أنه سُكر بصره أو اعتراه شيء من السحر كما قال بذلك أحد رواد الفضاء ولقد أخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ (الحجر: ١٥-١٦).

وتتفاوت درجة حرارة النجوم حيث تصل درجة حرارة سطحها بين ٢٣٠٠درجة مطلقة في النجوم الحمراء وأكثر من خمسين ألف درجة مطلقة في النجوم الزرقاء وتتفاوت النجوم أيضًا في درجة حرارة جوفها بين عشرات الملايين في نجوم النسق الرئيسي ومئات البلايين من الدرجات في المستعرات وما فوقها.

وتمر النجوم بمراحل في شدة إضاءتها فهي تتوهج إلى درجة تصل إلى أكثر من مليون ضعف إضاءة الشمس في العمالیق الحمر، والعمالیق العظام، والمستعرات وما فوقها، ثم تقل شدة الإضاءة إلى واحد من ألف من شدة إضاءة الشمس في النجوم المنكدرة مثل الأقزام البيض، والنجوم النيترونية، ثم يقل الضوء إلى الطمس الكامل والإظلام التام في النجوم الخانسة الكانسة (الثقوب السود) ومثيلها من النجوم المنتشرة في ظلمة الكون، ويشير العلماء إلى أن نواتج انفجارات النجوم تُقذف إلى صفحة السماء على هيئة موجات لافحة من الكتل القاذفة الملتهبة، وهي قد تدور في مدارات حول نجوم أخرى لتتخلق منها أجرام تتبع تلك النجم أو تشارك بمادتها في ميلاد نجوم جديدة، أو تصل أجزاؤها المكونة من الحديد إلى كوكب آخر تحتاج إليه كالكوكب الأرضي.

ولقد كان كوكب الأرض في بدايته عبارة عن كومة من الرماد فاندفعت عليه كتل الحديد الناتجة من انفجارات المستعمرات ولقد كانت تحدث تلك الانفجارات بعدد كبير في بداية انفجار الكون فاندفع الحديد إلى قلب تلك الكومة بحكم كثافته العالية وسرعته المندفع بها فانصهر في قلبها وصهرها وميزها إلى طبقات حيث يقل نسبة الحديد في الأرض كلما اتجهنا من لب الأرض إلى ناحية القشرة، وثبت بذلك أن الحديد في أرضنا بل في المجموعة الشمسية بالكامل قد أنزل إليها إنزالًا حقيقيًا كما أشارت الآية الكريمة في سورة الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥).

ومن رحمة الله تعالى أن تلك النيازك الحديدية الآن تهبط في المناطق غير الآهلة بالسكان في الصحاري البعيدة لتعوض ما تفقده من معدن الحديد[١] باستخدامات الإنسان حتى تظل الأرض تحتفظ بمجالها المغناطيسي، وقدرتها على الاحتفاظ بالغلاف الغازي، ويشير العلماء إلى أن الأرض يهبط إليها سنويًا ملايين الأطنان من النيازيك الحديدية والحديدية الصخرية.

ولدى هؤلاء العلماء الصور المتعددة للفوهات الحادثة في أماكن ارتطام النيازك بالأرض، ولكن انفجار المستعرات التي كانت تحدث بكثرة في بداية انفجار الكون أصبحت قليلة جدًا بالنسبة لنشاطها في بدء الخلق، وأصبحت الآن لا يتعدى وقوعها سوى مرة واحدة كل عدة قرون... فسبحان الخالق الرحيم المهيمن الذي جعل كل شيء بقدر.

١٢- مد الظل وآية من آيات الله:

إن مد الظل هو آية من آيات الله تعالى وهو يدل على دوران الأرض وعلى ميل محور دورانها حول محورها، ولو أن الأرض سكنت وظلت غير متحركة حول الشمس وكذلك انعدم دورانها حول محورها لسكن الظل ولظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الأرض فقط، بينما يظل النصف الآخر ليلًا.

وبذلك يختل التوازن الحراري على الأرض وتهلك بذلك الكائنات فتتجمد مناطق وتحترق مناطق أخرى، وينعدم حدوث الفصول الأربعة حيث تنوع المناخ يؤدي

---

(١) أشار إلى تلك الحقيقة الدكتور زغلول النجار في إحدى القنوات المرئية، وتحدث عنها الشيخ/ عبد المجيد الزنداني في مناظراته بعنوان «شهادات علماء الغرب».

إلى تنوع النباتات، ولو لم تدر الأرض حول محورها ودارت حول الشمس فقط فيصبح اليوم سنة كاملة، وبذلك يختل نظام الكون وكذلك لو أن الله تعالى خلق الأشياء كلها شفافة لما وجد الظل ولانعدمت فرص الحياة أمام الكائنات التي تحتاج إليه يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤٥).

١٣- الشمس والقمر والنظام الحسابي:

لقد سجلت البحوث الكثير من الحسابات الدقيقة التي تمر بها الشمس أو القمر أثناء جريانهم في أفلاكهم، ولم يعرف العلماء هذا الحساب الدقيق إلا منذ ثلاثمائة عام فقط حيث تم التعرف على حركة الشمس الظاهرية وكذلك حركة القمر وأن ذلك يتم في مدارات فلكية طبقًا لقوانين الجاذبية وطبقًا لحسابات رياضية وأزمنة معروفة ومن خلال ذلك يتم التعرف على أشهر الحج والصيام وسائر العبادات.

ومن ذلك نعرف بداية السنين ونهايتها، حيث يظهر القمر هلالًا في مواعيد معينة ثم يصير بدرًا في مواعيد أخرى بحسب دورانه، وكذلك لم يكتشف العلماء سرعة الشمس وجريانها إلا منذ فترة قريبة فهي تجري والكواكب الأخرى في الفضاء الكوني بسرعة شديدة يقول تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ (يس: ٣٨).

إن اكتشاف جريان الشمس تمكن من معرفته العلماء بواسطة أجهزة خاصة لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ مما يثبت لنا أنه كان لا ينطق عن الهوى وإنما هو الوحي من السماء.

١٤- البأس الشديد والمنافع في معدن الحديد:

وصف العلماء الحديد بأنه عنصر فلزي شديد البأس حيث إنه من أكثر العناصر ثباتًا وذلك لشدة تماسك مكونات النواة في ذرته التي تتكون من ٢٦ بروتون و٣٠ نيترون و٢٦إليكترون ولذلك فإن نواة ذرة الحديد تمتلك أعلى قدر من طاقة التماسك بين جميع نوى العناصر الأخرى ولذلك فهي تحتاج إلى كميات هائلة من الطاقة لتفتيتها أو الإضافة إليها.

ويتميز الحديد وسبائكه بأعلى قدر من الخصائص المغناطيسية والمرونة القابلة للطرق والسحب والتشكيل، لذلك تُصنع منه الآلات الزراعية باستخداماتها المختلفة، وله القدرة على مقاومة الحرارة فلا ينصهر إلا عند درجة ١٥٣٦درجة مئوية ويغلي عند درجة ٣٠٢٣م، وأما بالنسبة لمنافع الحديد فله فوائد كثيرة تبدأ بأن له من الفوائد ما يجعل الأرض صالحة للعمران، فكمية الحديد الموجودة في لب الأرض الصلب والسائل تعمل على توليد المجال المغناطيسي للأرض وهو الذي يُمسك بكل من الغلاف الغازي والمائي والحيوي للأرض، وفي ذلك الفائدة الكبيرة حيث إن الغلاف الغازي يحمي الأرض من الإشعاعات الضارة، ومن ملايين الأطنان من النيازك التي تحترق عند الاحتكاك به قبل الوصول للأرض، ويساعد على ضبط دورة العناصر الموجودة في الأرض كالماء والأكسجين وثاني أكسيد الكربون والأوزون وغير ذلك من العمليات اللازمة لجعل الأرض كوكبًا صالحًا للعمران.

والحديد أساسي في بناء الخلية الحية في كل من النبات، والحيوان، والإنسان، حيث تدخل مركبات الحديد في تكوين المادة الخضراء في النباتات «الكلورفيل» وهو المكون الأساسي للبلاستيدات الخضراء التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي وإنتاج

أنسجة النبات المختلفة من أوراق وأزهار وثمار وغير ذلك، والتي عن طريقها يدخل الحديد على أنسجة ودماء كل إنسان يتناول هذه النباتات.

وكما ذكرنا سابقًا أن عملية التمثيل الضوئي هي الوسيلة الوحيدة لتحويل طاقة الشمس إلى روابط كيميائية تُختزن في أجساد جميع الكائنات الحية وتكون مصدرًا لنشاطها أثناء حياتها، ومصدرًا للوقود والطاقة بعد تحللها.

والحديد يدخل في تركيب بروتينات نواة الخلية الحية الموجودة في المادة الحاملة للشفرة الوراثية للخلية وهي الصبغات، كما يوجد في سوائل الجسم المختلفة، وهو أحد مكونات الهيموجلوبين، وهي المادة الأساسية في كرات الدم الحمراء، ويقوم الحديد بدور مهم في عملية الاحتراق الداخلي للأنسجة، والتمثيل الحيوي بها، ونقص الحديد في الجسم يؤدي إلى الأنيميا أو فقر الدم، والحديد هو عصب الصناعات المدنية والعسكرية، ولا تكاد صناعة معدنية أن تقوم في غيبة الحديد، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥).

١٥- أفلاك النجوم ومساراتها:

من حصاد العلوم في تلك العصور وبواسطة الأجهزة الحديثة والتلسكوبات التي تقرب عن بعد، أن لكل جرم سماوي مداره الخاص الذي يسبح فيه، وهي لا تعرف السكون، كما أنها تتحرك في مسارات خاصة هي الأفلاك، ومن رحمة الله تعالى أنه خلق الليل والنهار وذلك بقدرته وأمره بدوران الأرض حول محورها، ولولا ذلك لما حدث تعاقب الليل والنهار.

ومن الإعجاز القرآني أنه لم يكن أحد منذ ألف وأربعمائة عام يعلم شيئًا عن دوران الكواكب، وأنها تسبح في أفلاك لا تحيد عنها، وغير ذلك من الحقائق، ولقد أخبر الله تعالى نبيه بذلك وضرب مثلًا بالشمس والقمر حيث يتمكن الناظرون من رؤيتهم بوضوح، يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٣).

إن رؤية حركة النجوم في أفلاكها لم تكتشف إلا حديثًا وأخبرنا الله تعالى عنها منذ ألف وأربعمائة عام، فسبحان علام الغيوب.

١٦- السراب حقيقة وظاهرة ضوئية:

لقد فسر العلماء السراب بأنه ظاهرة ضوئية سببها انعكاس الشعاع المنبعث من الأجسام المضيئة وارتدادها من سطح أرض فسيحة جرداء، فالصحاري حين ترتفع درجة حرارتها أثناء النهار فيتجه الشعاع المنعكس حتى يصل إلى الراصد، وعندها ترى صور الأجسام المضيئة مقلوبة كما لو كانت مرآة كبيرة ممتدة.

وكذلك تظهر صورة السماء الزرقاء الصافية كأنها بحيرة من الماء على أديم الأرض، بينما تظهر باقي الأجسام مثل الأشجار والنخيل مقلوبة، مما يشير إلى وجود الماء ظاهريًا وكأنه الماء الجاري، وتحدث هذه الظاهرة بسبب الفرق بين درجة حرارة سطح الأرض والهواء الملامس لهذا السطح، وتُشاهد ظاهرة السراب عادة في الصحاري والمناطق المنبسطة(١) وهي مجرد وهم كما وصفها الله تعالى في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ (النور:٣٩).

---

(١) ملخص ما أشار إليه الدكتور/ أحمد فؤاد باشا في إحدى الحلقات المسموعة حول تلك الظاهرة.

١٧- الإعجاز في خلق الجبال والسبل:

إن من نعم الله تعالى أنه خلق الجبال لإرساء الأرض وحفظًا لتوازنها، وجعل من تلك الجبال صخورًا من نفس مادتها في باطن الأرض كالأوتاد لتثبت على سطح الأرض الكروي، ولقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابس والماء ووجود سلاسل الجبال والمجال المغناطيسي للأرض بما تحتويه من معادن وبخاصة معدن الحديد يحقق لها التوازن والوضع الذي هي عليه فلا تميد ولا تختل.

ولقد أثبت العلم أيضًا أن هناك توازنًا في توزيع الأثقال على سطح الكرة الأرضية من خلال الدراسات الجيولوجية، ولقد وجد العلماء أن ارتفاع الجبال أحدث السهول والوديان والممرات والسبل فكانت طرقًا وفجاجًا، ويخبرنا الله تعالى عن تلك الحقائق منذ أربعة عشر قرنًا في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣١).

١٨- أهمية الماء والوصف القرآني:

إن أهمية الماء في حياة الكائنات حقيقة أثبتها العلم بكل فروعه، ففي علم الخلية ثبت للعلماء أن الماء هو المكون الهام والأساسي في تركيب مادة الخلية، وهي وحدة البناء في كل كائن حي نباتًا كان أو حيوان... وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لجميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل جسم الأحياء وهو إما وسط أو عامل مساعد أو داخلًا في التفاعل أو ناتجًا عنه.

وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه الحيوية التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها، ولا ننسى ضرورة الماء في إنبات

البذور، وسقي الزروع، وخروج النباتات المختلفة التي يتناولها الإنسان والحيوان، ولقد أشار القرآن الكريم لأهمية الماء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾.
(الأنبياء: ٣٠)

١٩- إشارة قرآنية وحقيقة علمية:

وصَف العلماء كلمة ربوة بأنها أي مكان عال خصب التربة، حيث بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذري في التربة ولا يضره الماء، كذلك تتضاعف عدد الشعيرات الماصة لأكبر كمية من الغذاء لسيقان المجموع الخضري فيعمل ذلك على مضاعفة المحصول، وكذلك فإن وابل المطر الذي يصيبها يذيب بعض المواد والعناصر التي تحتاج إليها النباتات[1]، ويغسلها مما يعطل نموها، كما يغسلها من الآفات، وإذا لم يصبها المطر فإن ارتفاعها يجعلها تنتفع بالطل وهو مطر الضباب الخفيف وهو يكفيها لارتفاعها فيكثر الإنتاج سواء كثر المطر أو قل.

ويصف الله تعالى لنا تلك الحقيقة العلمية مع التمثيل لها بالمنفقين في سبيل الله بأن ما ينفقونه خير في جميع الأحوال سواءً أقل أو أكثر يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(البقرة: ٢٦٥)

---

(١) بحث علمي عن الإعجاز في كونيات الزراعة في وصف خصائص الربوة حيث تتعرض لماء المطر، أو الطل، ولا تضرها المياه الجوفية.

٢٠- الإعجاز في اختلاف الليل والنهار:

إن الذي يتفكر في السماوات يجد نجومًا هائلة وكواكب مختلفة، وهي تدور في أفلاك منتظمة ورغم عظم أحجامها فهي لا تقع على الإنسان، ويجد المنافع المتعددة التي ينتفع بها الإنسان مع تلك النعم، فالشمس تنير الكون وتبعث بدفئها وهي لازمة لحياة الإنسان والحيوان والنبات كذلك، نجد القمر ليلًا له وظيفته أيضًا، حيث يبعث بضوئه الخفيف ليلًا بحسب حاجة الإنسان، حيث إن الليل جعله الله لراحة الإنسان فهو ضوء بقدر الحاجة، بعكس ضوء الشمس الذي يحتاجه الإنسان في سعيه إلى عمله.

وكذلك فإن اختلاف الليل والنهار فيه النفع للإنسان وللكائنات المختلفة، هذا التنظيم بالفعل هو ما يتحقق به التوازن فالجسد يحتاج بالفعل إلى النوم وإلى الراحة بعد العمل وبذل الجهد، وبالفعل لا يحتاج الإنسان ليلًا ضوءًا وهاجًا، بل ما ينسجم مع احتياجه في هذا الوقت هو الضوء الخافت، ولذلك كان القمر ليلًا والشمس نهارًا، كذلك هناك الاختلاف الزمني في الليل والنهار حيث أحيانًا يطول الليل أو يقصر وكذلك النهار وذلك تأثرًا بفصول السنة.

وكذلك يختلف الليل عن النهار في أن إضاءة الشمس تحجب نهارًا نجومًا وكواكب ونيازك وشهب تسري في السماء، بينما تظهر واضحة أثناء الليل، وتختلف أنواع الإشعاعات أثناء النهار وعند الغروب حيث نرى الألوان المختلفة والبديعة في السماء بصورة تريح النفس وتُذكر بإبداع الخالق فتردد الألسنة كلمات الذكر والتسبيح وسؤال الجنة والوقاية من النار.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

٢١- الماء والينابيع في الأرض:

اكتشف العلماء أن الماء الموجود على سطح الأرض خرج منها عن طريق الانفجار الذي حدث في بداية الكون، حيث خرجت كميات كبيرة من بخار الماء فتكون الغلاف المائي للأرض، وخرجت كميات كبيرة من الغازات فتكون الغلاف الغازي لها، ووجد العلماء أن أكثر الغازات اندفاعًا من فوهات البراكين هو ثاني أكسيد الكربون، وهو الأساس في عملية البناء الضوئي للنباتات، وبناء الأنسجة والأوراق والثمار لها، وهو ما يعبر عنه بالمرعى، ولقد صاحب خروج كل تلك الكميات من حمم البراكين والأبخرة المائية ومختلف العناصر صفة الدحو للأرض، يقول تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ (النَّازِعَاتِ: ٣٠-٣١).

ومن الأعجاز القرآني أيضًا ما ثبت أخيرًا من أن المياه التي تسقط على الأرض توجد على أعماق بعيدة، وثبت أن بعض مياه البحار والمحيطات، والتي تكونت أيضًا بفعل الأمطار الغزيرة بعد تكثف أبخرة البراكين منذ بداية الانفجار الكوني، ولا يزال خروج الماء مستمرًا من داخل الأرض عبر الثورات البركانية حتى الآن، ووجد العلماء أن بعض تلك المياه في البحار والمحيطات تتحرك مع رسوبيات قيعانها الزاحفة إلى داخل الغلاف الصخري للأرض بتحرك تلك القيعان تحت كتل القارات، ويتسرب الماء إلى داخل الغلاف الصخري للأرض عبر شبكة هائلة من الصدوع والشقوق التي تمزق ذلك الغلاف في مختلف الاتجاهات، وتحيط تلك الصدوع بالأرض بعمق يتراوح بين ١٥٠،٦٥كم ويخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الزُّمَر: ٢١).

ولقد كانت الفكرة السائدة أن ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض ولم تُعرف ينابيع المطر إلا في أواسط القرن الثامن، ولقد اكتشفت العلماء مخازن للماء الشديد الملوحة في باطن الأرض على أعماق بعيدة، ومخازن للماء متوسط الملوحة والعذب في باطنها أيضًا حيث يتحرك الماء لأسفل عبر الصخور المنفذة حتى يصل إلى صخور عديمة المسامية، فيخزن في تلك المناطق، وهذا الاختلاف في مسامية الصخور وطبيعتها يؤدي لحفظ الماء عبر الأزمنة المتوالية، ولقد حفظ الله تلك المخازن من أخطار الحركات الأرضية، والثورات البركانية، والمتداخلات النارية، ولولا ذلك لدُمرت مخازن الماء كلها، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨).

٢٢- السير في الأرض يوضح كيف بدأ الخلق:

إنه من خلال أبحاث العلماء وسيرهم في الأرض وبحثهم فيها، اكتشفوا حفريات كثيرة وقطع من الأشجار القديمة، والتي استطاعوا من خلال حلقاتها المكونة لها وبواسطة أجهزة خاصة معرفة مرور الفترات الزمنية منذ بدء الخلق، ومعرفة الأنواع المختلفة من المخلوقات كالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، وبذلك تكون آثار الخليقة منذ بدءها منطبعة ومسجلة بين طبقات الأرض، وعلى ظهرها، وهي سجل حافل بالتاريخ منذ البداية حتى الآن، ولازالت الحفريات التي تُكتشف وتتم عليها الدراسات تضيف إلينا الجديد عن بداية الخلق يقول تعالى مشيرًا إلى ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

٢٣- الإعجاز في وصف السماء بالدخان:

لقد قام علماء الفضاء برحلات استكشافية في الفضاء، وأطلقت وكالة الفضاء الأمريكية مركبة باسم مكتشف الخلفية الإشعاعية للكون، ارتفعت إلى مدار حول الأرض يبلغ ارتفاعها ستمائة كيلو متر فوق مستوى سطح البحر وذلك لقياس درجة حرارة الخلفية الإشعاعية للكون.

وقياس كل من الكثافة المادية، والضوئية، والموجات الدقيقة في الكون المدرك بعيدًا عن تأثير كل من السحب والملوثات في النطاق السفلي في الغلاف الغازي للأرض، وكانت النتيجة هي قدر هائل من المعلومات وملايين الصور لآثار الدخان الكوني الأول الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم للكون، وذلك على بعد عشرة ملايين من السنين الضوئية.

وأثبتت تلك الصور أن هذا الدخان الكوني في حالة معتمة تمامًا، تمثل حالة الإظلام التي سادت الكون في مراحله الأولى وكتب جورج سموث أحد المسئولين عن رحلة المستكشف تقريرًا نشرة سنة ١٩٩٢ بالنتائج المستقاة من هذا العدد الهائل من الصور الكونية.

كان من أهمها الحالة الدخانية المتجانسة التي سادت الوجود عقب الانفجار الكوني العظيم، وكذلك درجة الحرارة المتبقية على هيئة خلفية إشعاعية، أكدت حدوث ذلك الانفجار الكبير، وكان لتلك الكشوف أبلغ الأثر في الرد على النظريات الخاطئة التي حاول الملاحدة فيها الجحود بالخالق سبحانه وتعالى والمناداة بديمومة الكون بلا بداية أو نهاية مثل «فريد هويل» في عام ١٩٤٩م و«توماس جولد» وغيرهم.

ولكن بعد إثبات وجود الدخان الكوني والخلفية الإشعاعية للكون بعد إثبات اتساعه ما يجزم بالأدلة القاطعة بأن كوننا مخلوق له بداية وهي مرحلة الرتق والجرم الابتدائي، ولابد من النهاية في يوم من الأيام.

ولقد أكدت الصور التي بثتها مركبة المستكشف للخلفية الإشعاعية كل تلك الحقائق من إثبات حدوث الانفجار الكوني، وفتق السماء والأرض، وأن حقيقة تكوين السماء هي الدخان وليس الضباب كما تصورت النظريات القديمة ويشير الله تعالى لتلك الحقائق منذ ألف وأربعمائة عام بالوحي للرسول ﷺ، والذي لم يكن في عهده مثل تلك السفن الفضائية، بل لقد كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولكن علَّمه ربه بالوحي من عنده والذي يرقى فوق كل علوم البشر وهم خلق الله من البداية المعروفة وهي الماء المهين، يقول تعالى مشيرًا لما اكتشفه العلماء وحقيقة السماء الدخانية[1]. ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فُصِّلَتْ: ١١).

٢٤- الوصف القرآني بذات الحبك:

إن لفظ الحبك في اللغة بمعنى شدَّ وأحكم، وكذلك يقال في اللغة: حبك الأمر أي وثقه وشدده، ولقد وجد العلماء من خلال اكتشافاتهم أن هذا اللفظ يتفق تمامًا مع صفة السماء، حيث لاحظ العلماء هذا الترابط المحكم بين الأجرام السماوية، فهناك القوة الشديدة النووية التي تربط نوى الذرات بقوة في عمليات الاندماج النووي،

(١) تقرير نشرة جورج سموث: أحد المسؤولين بوكالة الفضاء الأمريكية عن اكتشافه للهالة الدخانية المتجانسة واعترف العالم يوشيدي كوزاي للشيخ عبد المجيد الزنداني بتلك الحقيقة، وازداد تعجبه حين ترجموا له معنى الآية القرآنية.

وهناك القوة الكهرومغناطيسية، وهناك قوة الجاذبية والتي تتزايد باستمرار حتى تصبح شاملة لاتساع السماء والأرض، حيث تُمسك بأمر الله تعالى مختلف أجرام السماء وتجمعاتها، ولولا هذا الرباط لانفرط عقد الكون في لحظات، ويُفترض وجود قوة الجاذبية على هيئة جسيمات خاصة في داخل الذرة لم تُكتشف بعد حتى الآن.

وقد اقُترح لها اسم الجسيم الجاذب أو الجرافيتون ويُعتقد أنه يتحرك بسرعة الضوء وبذلك تبدو الدقة والترابط المحكم لمادة الكون في أدق دقائقها وبداخل نواة الذرة وترابط نوى الذرات بقوة شديدة، وكذلك يظل هذا الترابط والإحكام رغم اتساع الكون، وينتشر عن طريق الجاذبية بين التجمعات المجرية لتشمل كل الكون، وبذلك يكون ما اكتشفه العلماء بعد عبور الفضاء وبذل الجهود الكثيرة هو أن السماء ذات ترابط شديد محكم وهو ما يشير إليه ربنا تبارك وتعالى منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ (الذاريات: ٧).

أي: ذات الإحكام والترابط الشديد بين مجراتها بفعل الجاذبية، بداية من داخل نوى الذرات وحتى ما بين المجرات، فهو اسم على مسمى لما اكتشفه العلماء بعد الجهود الكبيرة للصعود في الفضاء، حيث درجات الضغط الجوي المختلفة، وحيث الحاجة إلى أجهزة وتلسكوبات تكبر آلاف المرات، وحيث التكاليف المادية التي تقدر بملايين الدولارات فسبحان الله العليم الخبير والذي علَّم الإنسان ما لم يعلم.

٢٥- آية وحقائق وإعجازات عن الصعود إلى الأفق:

أثبتت العلوم الحديثة أن السماء ليست فراغًا كما يعتقد الناس إلى عهد قريب، وثبت أنها بنيان محكم يتعذر دخوله إلا عن طريق أبواب تُفتح للداخل فيه، فلقد ثبت أن السماء مليئة بمختلف صور المادة والطاقة التي انتشرت بعد انفجار الجرم الكوني

الأول، والذي كان يضم كل مادة الكون، ومختلف صور الطاقة المنبثة في أرجائه اليوم، حيث بدأ بسحابة الدخان التي أخذت في التبرد والتكثف حتى وصلت إلى حالة من التوازن الحراري بين جسيمات المادة وفوتونات الطاقة.

وبذلك تكونت بعض نوى الأيدروجين المزدوج، ثم بدأ تخلق النوى الذرية لأخف عنصرين معروفين لنا وهما الأيدروجين والهليوم، ثم تخلقت نسب ضئيلة من العناصر الأثقل وزنًا، ثم تشكلت السدم بواسطة دوامات الطاقة في سحابة الدخان، وهي أجسام غازية تتناثر بين غازاتها بعض الهباءات الصلبة وتدور المادة فيها في دوامات شديدة تساعد على المزيد من تكثفها في سلسلة من العمليات المنضبطة حتى تصل إلى مرحلة الاندماج النووي التي تكون النجوم بمختلف هيئاتها وأحجامها وكثافتها وحرارتها.

ومنها النجوم العادية المفردة والمزدوجة، والمستعرات الشديدة الحرارة، والنجوم البيضاء القزمة ومنها النجوم النيترونية التي تصل كثافة المادة فيها إلى خمسين بليون طن للسم٣، وأشباه النجوم والتي تقل كثافة المادة فيها عنها في شمسنا المعروفة، ومنها الثقوب السود وتصل كثافة المادة فيها إلى مائتي بليون طن للسم٣ وغير ذلك من أجرام السماء المختلفة.

والسماء على اتساعها ليست فراغًا ولكنها مليئة بالمادة على هيئة رقيقة للغاية تشكلها غازات مخلخلة يغلب على تركيبها غاز الهيدروجين والهليوم مع نسب ضئيلة جدًا من الأوكسجين والنتروجين والنيون وبخار الماء وهباءات نادرة من المواد الصلبة والإشعاعات الكونية المختلفة.

وبذلك تكون السماء كالبناء كما وصفها الله تعالى ولبنات هذا البناء هي كل صور المادة والطاقة المنتشرة بها، وحوائط المجرات السابحة في كل مكان، وبذلك ينطبق عليها لفظ الباب في أنه لا يُفتح في فراغ، ولكنه يفتح بين لبنات البناء، وكذلك ثبت علميًا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تسير في خطوط مستقيمة بل لابد لها من الانحناء نظرًا لانتشار المادة والطاقة في كل الكون.

وتأثير كل من جاذبية المادة بأشكالها المختلفة، والمجالات المغناطيسية للطاقة بتعدد صورها، والتي تؤثر على حركة الأجسام في الكون، فأي جسم مادي مهما عظمت كتلته أو تضاءلت لا يمكنه التحرك في الكون إلا في خطوط منحنية حتى الأشعة الكونية بدقائقها المتناهية في الصغر، والأشعة الكونية تتكون من اللبنات الأولى للمادة مثل البروتونات، والنيوترونات، والإليكترونات، فإنها إذا عبرت خطوط أي مجال مغناطيسي منتشر في الكون فإن هذا المجال يحني مسار الشعاع بزاوية معينة.

وبذلك يكون انتشار قوى الجاذبية في الكون قد تسببت في تكور كل أجرامه وكذلك في صور المادة والطاقة بعد الانفجار الأول وما نتج عنه من وجود قوة دافعة إلى الخارج وقوة تجاذب رابطة بين أجزاء المادة وذراتها، وهذا التوازن هو الذي يحفظ أجرام السماء في مداراتها... حيث تتحرك دائرية بخطوط منحنية باستمرار وبذلك تحفظ أجرام السماء في مداراتها، ولولا معرفة حقيقة عروج الأجسام في السماء لما تمكن الإنسان من إطلاق الأقمار الصناعية ولا استطاع ريادة الفضاء، فقد أصبح من الثابت أن كل جرم متحرك في السماء مهما كانت كتلته محكوم بكل من القوى الدافعة له وبالجاذبية مما يضطره إلى التحرك في خط منحنى يمثل محصلة كل من قوى الجذب والطرد المؤثرة فيه، وهو ما يطلق عليه بالعروج أو السير في انحناء.

ولقد اكتشف العلماء أن حزام النهار في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس لا يتعدى سمكه مائتي كيلو متر فوق سطح البحر، وإذا ارتفع الإنسان فوق ذلك فإنه يرى الشمس قرصًا أزرق في صفحة سوداء لا يقطع ظلمتها إلا لبعض البقع الباهتة الضوء في مواقع للنجوم، حيث إن الهواء في الجزء السفلي من الغلاف الجوي له كثافة عالية وتنقص تلك الكثافة بالارتفاع وهو مشبع ببخار الماء وهباءات الغبار، فيعمل ذلك على تشتيت ضوء الشمس وعكسه حتى يظهر باللون الأبيض الذي يميز النهار بضوئه المعتاد وبعد عبور المائتي كيلو متر فوق سطح البحر يبدو الكون مظلمًا تمامًا، والشمس تبدو على حقيقتها كقرص أزرق في صفحة سوداء.

والنجوم الأقل حرارة تبدو حمراء ملتهبة وذلك لتخلخل الهواء وقلة تركيزه وندرة بخار الماء، وعدم وجود الغلاف الغازي وبذلك يشعر رواد الفضاء في هذه المناطق بعد عبورهم منطقة الضوء بأنهم في كون عجيب حيث تختلف حقيقة الأشياء ومظاهرها، ومن الرواد من وصف شعوره بعد عبور طبقة الغلاف الجوي، بأنه كأنما سكر بصره أو اعتراه شيء من السِّحر، وبما أن المسافة بين الأرض والشمس حوالي مائة وخمسين مليون كم. ومسافة الضوء منها بحوالي ٢٠٠كم فقط فوق سطح البحر، فتكون مساحة الظلمة هائلة بالنسبة لطبقة النهار، وبذلك يظل رواد الفضاء مع عبور هذه الظلمة يرون من عجائب الكون وغرائبه، وبذلك ثبت للعلماء رقة طبقة النهار بالنسبة لمساحة الكون الكبيرة المظلمة، ويصف لنا الله تعالى كل تلك الحقائق التي توصل إليها العلماء في آية كريمة وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (الحجر: ١٤-١٥).

وبالفعل التعبير بفتح الباب يثبت عدم الفراغ بالكون، بل البناء المحكم من مختلف صور المادة والطاقة، والباب بالفعل لا يُفتح في فراغ ولكن في بناء، والتعبير باللفظ «فظلوا» يدل على استمرار الظلمة بعد اختراق المسافة التي تقدر بحوالي ٢٠٠كم ابتداءً من سطح البحر وهي ١٥٠ مليون كم حتى الوصول إلى الشمس، ولفظ يعرجون يدل كما أشرنا على انحناء الكون، وعبارة «إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون» هو بالفعل ما شعر به رواد الفضاء واعترفوا به حيث قال أحدهم: لقد أحسست كأنما سكر بصري أو اعتراني شيء من السِّحر، ورقة طبقة النهار بالنسبة لمساحة الليل الكبيرة في الكون يصفها الله تعالى في قوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ (يس:٣٧).

واللفظ «نسلخ» يدل على رقة طبقة النهار بالنسبة لعظم مساحة الليل، وسلخ الشاة معناه أخذ الطبقة الرقيقة من جملة لحمها ولذلك لم يقل الله تعالى: «النهار نسلخ منه الليل» فهو العليم الخبير ويصف سبحانه أيضًا تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ (النازعات:٢٧-٢٩).

ولفظ «**أغطش**» يدل على شدة الظلمة وهو عائد على السماء بمعنى أن الله تعالى قد جعل ليل السماء حالك الظلمة، ومعنى أخرج ضحاها أي: أظهر ضوء الشمس لسكان الأرض فيكون النهار الواضح بينما يبقى معظم الكون غارقًا في ظلمة السماء، وبذلك يكون النهار هو الذي يجلي الشمس ويظهرها حيث تبقى بلونها الحقيقي زرقاء ملتهبة بعد مسافة المائتي كيلو متر ابتداءً من سطح البحر يقول تعالى موضحًا ذلك: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ (الشمس:١-٤).

كما يصف الله تعالى الحركة في السماء بالعروج كما جاء بالآية التي تحدثنا عنها في سورة الحجر وآيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ: ٢).

وقوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الحديد: ٤)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(المعارج: ٣-٤)

ومعنى ذي المعارج أي: مصاعد الملائكة وهي السماوات، وغير ذلك الكثير من الآيات التي تصف الحركة في السماء بالعروج وهو ما أثبته العلماء في عصرنا بعد البحث الطويل وصعوبة عبور الفضاء.

٢٦- النجوم الطارقة والكانسة وكيف تتكون:

النجوم الكانسة هي أجرام سماوية تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة، بحيث لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة ومنها الضوء أن تفلت من أسرها وقد أفادت الدراسات والحسابات النظرية في الثلث الأول من القرن العشرين إلى إمكانية وجود مثل هذه الأجرام ذات الكثافات الفائقة والجاذبية الشديدة، وذلك ما أشار إليه العالم الفلكي كارل شفار سنة ١٩١٦م، وروبرت أوبنهاير سنة ١٩٣٤م، ولكنها لم تكتشف إلا في عام ١٩٧١م، بعد اكتشاف النجوم النيترونية.

وأعلن اكتشاف النجوم النيترونية الفلكيان البريطانيان توني وجولسين، حيث أعلنوا اكتشافهم لنجوم قطرها في حدود ١٦كم تدور حول محورها بسرعات مذهلة في

فترة زمنية تتراوح بين عدد قليل من الثواني إلى أجزاء لا تكاد تدرك من الثانية الواحدة وتصدر موجات راديوية كأنها تطرق السماء ولها كثافة فائقة تبلغ بليون طن للسنتيمتر المكعب وذلك في عام ١٩٦٧م وهي تثقب الظلام الكوني بما يصدر منها من ومضات مضيئة وطرقات مرتفعة ولقد أشار الله تعالى لتلك النجوم في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ (الطارق: ١-٣).

وفي عام ١٩٧١م اكتشف علماء الفلك أن بعض النجوم تُصدر وابلًا من الأشعة السينية، ولم يجدوا تفسيرًا علميًا لذلك حيث إن النجوم العادية ليس في مقدورها إصدار الأشعة السينية من ذاتها ولكن لابد من تعرضها لأجرام سماوية غير مرئية ذات كثافة خارقة للمادة، وجاذبية عالية، وقد سميت تلك النجوم المختفية باسم الثقوب السود؛ وذلك لقدرتها الفائقة على ابتلاع كل ما تمر به أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة، من مثل الغبار الكوني والغازات والأجرام السماوية المختلفة، ووصفت بالسواد لأنها معتمة تمامًا لعدم قدرة الضوء على الإفلات من مجال جاذبيتها على الرغم من سرعة الضوء الفائقة التي تصل إلى ثلاثمائة ألف كم في الثانية.

وهذه المادة بجاذبيتها الشديدة تكنس النجوم في السماء وتبتلع ما يقابلها من صور المادة والطاقة، ثم تتكدس على ذاتها نتيجة للتفاعلات النووية التي تحدث بداخلها فيتحول قلبها إلى الحديد فتخنس ولا تُرى، ولم تُدرك إلا عن طريق سيل الأشعة السينية المتجه نحوها ولقد أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بتلك النجوم الخانسة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ (التكوير: ١٥-١٦).

وتخنس هذه النجوم وتختفي عندما تبدأ كمية الأيدروجين بداخل النجم في التناقص نتيجة لعملية الاندماج النووي، وتبدأ كمية الهليوم الناتجة عن تلك العميلة في

التزايد، وعندها تبدأ طاقة النجم في الاضمحلال تدريجيًا وترتفع درجة حرارة قلب النجوم إلى عشرة ملايين درجة كلفن.

وتبدأ دورة جديدة من عملية الاندماج النووي تؤدي إلى انبعاث المزيد من الطاقة التي تعمل على مضاعفة حجم النجم إلى مئات الأضعاف فيطلق عليه اسم العملاق الأحمر، وتتوالى عملية الاندماج النووي ويستهلك النجم المزيد من طاقته فيتقلص وينهار إلى قزم أبيض أو إلى نجم نيتروني أو إلى ثقب أسود حسب كتلته الابتدائية التي بدأ تواجده بها.

فإذا كانت الكتلة الابتدائية للنجم أقل من كتلة الشمس فإن الإليكترونات في مادة النجم تقاوم عملية تقلصه ثم تنهار إلى قزم أبيض وهو أقل قليلًا من حجم الأرض، ويتعرض النجم للضغط الشديد وتحدث انفجارات نووية هائلة، فإذا زاد تراكم الضغط بداخل النجم فإنه ينفجر انفجارًا كاملًا محدثًا نورًا في السماء يقارب نور بليون شمس كشمسنا، وتُسمى هذه المرحلة باسم النجم المستقر الأعظم، ويفنى بذلك القزم الأبيض ويتحول إلى دخان وتحدث هذه الظاهرة مرة كل قرن من الزمان لكل مجرة تقريبًا.

والحالة الثانية إذا كانت الكتلة الابتدائية للنجم أكبر من كتلة الشمس بمرة ونصف فينهار النجم عند استهلاك طاقته متحولًا إلى نجم نيوتروني وفيه تتحد البروتونات، والإلكترونات، منتجة النيترونات، وهذا النجم النيتروني ينبض حوالي ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة مُحدثًا أصوات كالطرق على الباب وتثقب الظلام الكوني بوميضها، وقد يستمر هذا النجم في الانهيار حتى يصل إلى مرحلة الثقب الأسود، وذلك في الحالة الثالثة إذا زادت الكتلة الابتدائية للنجم على خمسة أضعاف كتلة

الشمس فلا يتمكن أي من الإليكترونات والنيوترونات من مقاومة عملية التقلص التثاقلي للنجم، فتستقر حتى يصل النجم إلى مرحلة الثقب الأسود حيث يخنس النجم ولا يرى، وهو أيضًا يكنس كل الأجرام السماوية بمجرد الاقتراب من مجال جاذبية تلك النجوم وسبحان العليم الخبير الذي أشار لتلك النجوم منذ ألف وأربعمائة عام تأييدًا لصدق نبوة رسول الله ﷺ وإثباتًا يؤكد أنه كان لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٢٧- السماوات السبع وحدود ما يدركه البشر:

إن العلم البشري رغم هذا التقدم يقف عاجزًا عن إدراك حدود السماء الدنيا فقط فضلًا عما فوقها من السماوات.. ويُحصي علماء الفلك أن بمجرتنا دَرْب التَّبَّانة نحو التريليون نجم كشمسنا، أي ألف بليون أو مليون مليون نجم.. ولكل نجم من تلك النجوم توابع كما هو الحال بالنسبة لشمسنا، ويقدر علماء الفلك أن مركز مجرتنا عبارة عن ثقب أسود أو أكثر من ثقب أسود، والذي تقدر كتلته بمئات الآلاف من المرات قدر كتلة الشمس.

وتوجد أغلب المجرات في مجموعات تُعرف باسم التجمعات المجرية، ويحصى علماء الفلك بالجزء المدرك من الكون حوالي مائتي ألف مليون مجرة من أمثال مجرتنا، بعضها أكبر كثيرًا وبعضها أصغر قليلًا منها ومجرتنا على هيئة قرص مفلطح يبلغ قطره مائة ألف سنة ضوئية، وسمكه حوالي عشرة آلاف سنة ضوئية والمجرات منها ما هو حلزوني الشكل، أو بيضاوي أو غير منتظم، والمجرات الحلزونية هي أكثر المجرات إضاءة في الجزء المدرك من الكون.

وإذا كان الإنسان قد توصل إلى تحقيق سرعة الإفلات من جاذبية الأرض فارتاد الفضاء فإن سرعة الإفلات من الجزء المدرك من السماء الدنيا لا تطيقها القدرة الإنسانية بالإضافة إلى قصر عمر الإنسان فلا يمكن للإنسان الخروج عن السماء الدنيا إلا بإذن الله، يقول تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن: ٣٣).

والتحدي الإلهي أن البشر بكل ما توصلوا إليه من أجهزة وسفن فضاء وحضارة وتكنولوجيا لم يستطيعوا عبور السماء الدنيا، وقد عَبَر النبي ﷺ السبع سماوات في الإسراء والمعراج بإذن الله تعالى وقدرته، وبالنسبة للأرض فهي سبعة أراضين أيضًا، ويقدر العلماء نصف قطر الأرض بحوالي ٦٣٧٠ كيلو متر، وهي مسافة ضئيلة بالنسبة لعمق الأرض الحقيقي مما يثبت ضعف الإنسان أمام اتساع ملك الله وقدرته، والسماوات هي سبعًا متطابقة يُغلف الخارج منها الداخل ويصف الله تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴾ (الملك: ٣).

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ ﴾ (نوح: ١٥-١٦).

٢٨- الإعجاز في الإشارات والحقائق:

«الانكدار - الطمس – الاندثار»

لقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى مراحل تمر بها النجوم مثل الانكدار وهو عبارة عن ضعف توهج النجم، والطمس وهو أن يطمس ضوؤها فلا ينفذ منها ضوء، ووجد العلماء أن وصف النجوم بالانكدار، والطمس كما جاء في سورة التكوير

والمرسلات، هو وصف ينطبق تمامًا على مراحل تمر بها النجوم وهي أسماء على مسمى فسبحان الخبير، والإعجاز الآخر هو أن الله تعالى وصف الكواكب وهي المعتمة التي تستمد ضوءها من النجوم مثل كوكب الأرض، وصفها الله تعالى بالاندثار والانفجار وبالفعل أثبت علماء الفضاء أن الكواكب لا تمر بمرحلة الانكدار والطمس لأنها ليست مضيئة بذاتها كالنجوم ولكنها تنفجر وتندثر نتيجة لدرجة حرارة عالية وانصهارات تحدث بداخلها.

وهناك الإعجاز في إظهار الفرق بين الضياء والنور في القرآن الكريم وذلك بوصف الشمس بأنها ضياء والقمر بأنه نور، وكان المعروف بين الناس حتى عصرنا هذا بأن الضياء هو النور، حتى جاءت مرحلة ارتياد الفضاء ووجد العلماء أن هناك نجومًا مضيئة بذاتها مثل الشمس، ما يصدر منها هو الضياء، وأن هناك أجسامًا معتمة كالقمر، وهو يستمد نوره من الشمس بانعكاس الضوء على سطحه يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ (يُونُس: ٥).

فسبحان العليم الخبير، وهناك وصف البحر في سورة الطور بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ وهو إعجاز يستحق التأمل حيث إنه نظرًا لعدم وجود الأوكسجين في الصدوع الشديدة الحرارة بقاع البحر، فإنه لا يمكن للحمم البركانية المندفعة عبر صدوع قاع المحيط أن تكون مشتعلة على طول خط الصدع، ولكنها عادة ما تكون داكنة السواد شديدة الحرارة دون اشتعال مباشر.

وتصل درجة الحرارة إلى أكثر من ألف درجة مئوية، فهي سخونة عالية تنطبق تمامًا مع الوصف بلفظه المسجور وحين تنطلق هذه الانصهارات من باطن الأرض إلى ماء البحر تندفع لمسافة قد تصل ثلاثة كيلو مترات أو أكثر فإن ماء البحر لا يستطيع إخماد تلك

الانصهارات ولكنه يبردها قليلًا ولكن تظل مسجرة بدرجات حرارة عالية، كذلك يحتوي الماء على الأكسجين الذي يساعد على الاشتعال وبذلك تظل تلك المناطق مسجرة بالنيران.

ومن الإعجاز أيضًا وصف الله تعالى الجنين في بدايته بالعلقة، وبالفعل وجد العلماء أن الجنين في البداية عبارة عن قطعة لحم معلقة بالرحم كدودة العلق التي تعيش على امتصاص الدماء، والجزء الذي تعلق به قطعة اللحم الصغيرة هذه يصبح فيما بعد هو الحبل السري الذي يمد الجنين بالدماء والغذاء من الأم إليه وهذا ما ينطبق تمامًا مع الوصف القرآني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (الحج: ٥).

وقد وجد العلماء باستخدام الميكروسكوبات التي تكبر آلاف المرات حين نظروا في قطعة اللحم هذه التي لا تتجاوز السنتيمتر الواحد فوجدوا أنها تشبه قطعة اللبان الممضوغ حيث إن بها تجاويف تشبه تمامًا ما تفعله الأسنان مع قطعة اللبان وهو ما يتفق تمامًا مع كلمة «مضغة» وكذلك وجدوا بالنظر أيضًا في تلك الميكروسكوبات بعد تشريح هذه القطعة اللحمية الصغيرة، فوجدوا أن أجهزة الجنين ظهرت بدايات منها ولكن لم يكتمل تكوينها وهو ما يتفق مع التعبير القرآني ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾، ولقد اكتشف العلماء في جنوب شرق صحراء الربع الخالي بواسطة التصوير بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة لعشرة أمتار مجرى لنهرين جافين أحدهما من الغرب إلى الشرق، والآخر من الجنوب إلى الشمال مما أثار عجب رواد رحلة الفضاء، حيث إن المعروف أن صحراء الربع الخالي هي من أكثر أجزاء الأرض جفافًا وقحولة وهذا يثبت وجود أنهار كانت جارية في الماضي بتلك الأماكن، وفي رحلة أخرى من رحلات الفضاء زود القواد مكوك الفضاء بجهاز رادار آخر له قدرة اختراق أكبر، فوجدوا أن

النهرين يصبان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كم في جنوب شرق الربع الخالي، وصور المكوك على ضفاف البحيرة عمرانًا لا تعرف البشرية نظيرًا له في ضخامته، ولقد أجمع علماء التاريخ والآثار والأديان أن هذه قصور إرم التي يصفها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ (الفجر: ٧-٨).

وكذلك مما وجدوه بعد إزاحة الرمال قلعة مقامة على أعمدة ضخمة لا يوجد مثلها، وأكدوا في تقريرهم أن هذه الحضارة قد طمرتها وأصابتها عاصفة رملية غير عادية ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ (الذاريات: ٤١-٤٢).

وبالتأمل في هذه الآية نجد أن هناك سؤالًا يطرح نفسه لماذا لم تتحول هذه الأعمدة والمباني الشاسعة إلى الرميم كما تنص الآية الكريمة، وبالبحث في القرآن الكريم كانت الإجابة في قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ٢٥).

أي: أن الله تعالى ترك مساكنهم لتكون فيها العبرة والآية لمن يتكبر من خلفهم.

٢٩- المادة والجسيمات الصغيرة:

المادة تتكون من ذرات صغيرة بروتونات موجبة ونيترونات متعادلة في نواة الذرة ويدور حول تلك النواة إليكترونات سالبة، وكل ذرة لها ثقل صغير جدًا وهناك جزيئات أصغر من الذرة، وكلما تقدم العلم اكتشف العلماء بواسطة الأجهزة الدقيقة ما هو أصغر واكتشفوا أيضًا ما هو أكبر مما نعرف كالمجرات والنجوم الهائلة التي تفوق حجم الأرض والشمس بملايين المرات، ولقد ذكر الله تعالى كل ذلك في كتابه، وأشار

إلى الذرة وثقلها في وقت لم يعرف الناس عنها شيئًا وأشار إلى ما هو أكبر كالمجرات والنجوم الهائلة، وأن عمله محيط بالصغير والكبير في كونه الممتد يقول تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس: ٦١).

٣٠- الشمس والقمر واكتشاف شموس وأقمار أخرى:

ينظر الإنسان في السماء وبحدود بصره يرى شمسًا تسطع بالنهار، ويرى قمرًا ينير بالليل وهما من نعم الله سبحانه وتعالى، والشمس بضوئها الساطع تناسب مطالب البشر وسعيهم نهارًا، والقمر بنوره الخافت يناسب حاجة الإنسان للراحة ليلًا، ومن الإعجاز أيضًا أن العلماء في عصرنا قد اكتشفوا في السماء أكثر من شمس وأكثر من قمر وذلك بواسطة أجهزة حديثة تلتقط الصور من مسافات بعيدة ولقد أشار الله تعالى لتلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ (فصلت: ٣٧).

ونلاحظ أن لفظ خلقهن هو ضمير جمع المؤنث والذي جاء بدلًا من ضمير المثنى خلقهما مما يثبت تعدد الشموس والأقمار في الكون والكواكب الأخرى، ولقد تمكن علماء الفضاء من رصد قمرين لكوكب المريخ، وسبعة عشر قمرًا لكوكب زحل، وخمسة عشر قمرًا لكوكب أورانوس، وهناك شموس أخرى منها ما يفوق الشمس حجمًا ونورًا وحرارة، ولقد ميز الله تعالى بين ضوء الشمس ونور القمر.

فالشمس مصدر مباشر للضوء وهي جسم متوهج بذاته، ولكن القمر جسم يستمد نوره من الشمس بانعكاس أشعتها على سطحه، فتعطي نور القمر، والنبي ﷺ وصفه الله تعالى بالسراج المنير لأنه ينير من غير إحراق بخلاف السراج

الوهاج فإن فيه درجات حرارة عالية تؤدي إلى الإحراق، إن كل ألفاظ القرآن الكريم تثبت أن هناك رقيبًا يخبر بعلمه عن حقائق خلقها بقدرته ، فمثلًا نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس يكون عليه النهار ونصف الكرة البعيد يكون عليه الليل، أي أن الليل والنهار لا يسبق أحدهما الآخر[1] ويشير الله تعالى لتلك الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ (يس: ٤٠).

وأثبت العلماء بواسطة الأجهزة الحديثة والتلسكوبات أن كل نجم وكل كوكب يدور في فلك معين دون أن يحيد عنه بفعل الجاذبية ويخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

وأثبت العلم الحديث أن الليل والنهار يحيطان بالكرة الأرضية وبدورانها يتكور الليل على النهار حيث إن نصف الكرة المواجه للشمس يكون عليه النهار ثم بدوران الأرض يتكور ويدور هذا النصف فيكون عليه الليل، ثم تدور الأرض فيصبح عليه النهار مرة أخرى وهكذا، وبالفعل فإن أبلغ الألفاظ للتعبير عن ذلك هو قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ (الزمر: ٥). وفيه إثبات أيضًا لدوران الأرض حول نفسها وهي حقيقة لم يتم اكتشافها إلا في تلك العصور فسبحان العليم الخبير.

٣١- أهمية السقف المحفوظ للكوكب الأرضي:

أثبت العلماء أن الغلاف الجوي يرتفع بغير عمد على علو قد يصل إلى ألف كيلو متر في الفضاء الكوني وهو سقف للأرض وتابع لها حيث تُمسكه الأرض بجاذبيتها فلا يفلت إلى الفضاء الكوني، ومن أسرار حفظ هذا السقف أن كل ما يحتويه ضروري

---

(١) حقيقة علمية اكتشفها العلماء في عصرنا، وأشار إليها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، وتحدث عنها الشيخ محمد متولي الشعراوي «الأدلة المادية على وجود الله».

لكوكب الأرض، فهو يحتوي على الأكسجين اللازم لحياة الكائنات، ولقد ثبت أن مقدار الهواء بما يحتويه من الأكسجين يقل إلى نصف قيمته تقريبًا عند الارتفاع إلى ستة كيلو مترات وكلما زاد الصعود إلى أعلى كلما قل الأكسجين.

كذلك يوجد ثاني أكسيد الكربون اللازم لنمو النباتات حيث تمتصه النباتات للحصول على الكربون ويُخرج الأكسجين، والكربون مهم في سلسلة النبات الغذائية فمنه يصنع الخشب، والسكر، والزيوت، والنشا.

كذلك يوجد في هذا السقف المحفوظ بخار الماء الذي تحركه الرياح فيسقط المطر، ويتم تشتيت أشعة الشمس عن طريق ذرات الغبار والأتربة فيكون النهار، وهذا السقف يحول دون تسرب ماء الأرض إلى الفضاء الجوي البعيد وأيضًا يسري الصوت وينتقل عن طريقه، وتعمل التيارات الهوائية على توزيع طاقة الشمس بالتساوي على الكرة الأرضية، وتعمل طبقة الأوزونوسفير على امتصاص الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وفي طبقة الستراتوسفير تحرق الشهب وتفتت النيازك عند ارتفاع من ٤٠/ ١٣٠كم من سطح الأرض قبل وصولها للأرض.

وكذلك طبقة الأيونوسفير تحمينا من الأشعة الكونية وأشعة أكس، إن هذا السقف هو بالفعل مظلة إلهية لحمايتنا من ومضات الأشعة الكونية وجسيمات الرياح الشمسية والشهب والمذنبات، ولقد أثبت ذلك رواد الفضاء حين صعدوا إلى القمر وليس به هذا السقف المحفوظ حيث إن القمر لا يستطيع أن يحتفظ بالغلاف الجوي مثل الكوكب الأرضي، ولقد كانت الآثار هي ندبات عميقة على خوذاتهم نتيجة سقوط الأشعة الكونية على رؤوسهم مباشرة لعدم وجود أغلفة جوية تمتص تلك الأشعة الكونية التي لا يتحملها الإنسان يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٢).

٣٢- إشارات قرآنية عن ارتياد الفضاء وركوب السفن:

لقد أشار القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام إلى عبور الإنسان للفضاء يقول تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن: ٣٣).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾ (الحجر: ١٤-١٥).

وبالفعل حين صعدوا الفضاء مسافة تعادل ٢٠٠كم من الأرض نحو السماء وهي طبقة النهار وجدوا الكون مظلمًا تمامًا، والشمس تبدو كقرص أزرق في صفحة السماء السوداء، وبقية النجوم الأقل حرارة تبدو حمراء ملتهبة، فقال أحد رواد الفضاء حين عبر إلى هذه المنطقة: أحسست كأنما سُكر بصري أو اعتراني شيء من السحر، حيث اختلف كل شيء عن المعتاد، وهذا بالفعل مطابق لما أشار إليه الله تعالى في الآية السابقة، كذلك يقول تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٥).

وحين يخاطب الله تعالى الأقوام السابقة قبل التقدم العلمي يقول سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (هود: ٢٠).

وحين يخاطب الله تعالى سائر الناس الذين يشملهم التقدم العلمي وعبور الفضاء والصعود إلى الكواكب المختلفة يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ (العنكبوت: ٢٢).

وأشار سبحانه وتعالى إلى سفن الفضاء وركوبها في قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾ (يس: ٤١-٤٢).

والفلك المشحون إشارة إلى سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأما ما هو مثله فهي السفن بأنواعها بما فيها سفن الفضاء التي يركبها رواد الفضاء يقول تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (القمر: ١٨-١٩).

وبالفعل فإن رواد السفن الفضائية يعبرون طبقات مختلفة في الغلاف الجوي وكل طبقة تختلف عن الأخرى[1] فمنها ما يشتت أشعة الشمس إلى ضوء النهار، حيث إن الكون مظلم تمامًا قبل طبقات الغلاف الجوي، ومنها ما يرد عنا الأشعة الضارة ومنها ما يساعد في سقوط المطر، وغير ذلك من اكتشافات العلماء التي يجب أن يسمعها البشر فيؤمنون بالخالق القادر الذي أشار لكل ذلك في آيات القرآن الكريم، لذلك يعقب الله تعالى بعد تلك الآيات مباشرة بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ (الانشقاق: ٢١-٢٢)، ويقول تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

(الأنعام: ٦٧)

٣٣- عالم الكائنات الغريبة:

الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، ومقدِّر كل شيء وهو الذي خلق الجن والإنس وجعل للجن القدرة على الاختفاء لشفافية مادته والقدرة على التشكل بالصور المختلفة، وقد تشكل الجن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتشكل لأبي هريرة حين تمثل له شيطان يسرق من الطعام الذي كان في بيت زكاة المال، والجن منه من يعيش في المناطق الخالية والصحاري البعيدة، أو بعض المناطق في البحار أو في أماكن جوية كمنطقة الأشعة تحت الحمراء، والإنس عالم له طبائعه الخاصة، وكذلك الجن وكذلك عالم الملائكة.

---

(١) «إشارات علمية مطابقة للآيات القرآنية» ذكرها الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وغير ذلك من العوالم التي لا نعرفها ويعلمها الله تعالى الذي يحيط علمه بكل شيء في الأرض والسماء بطبقاتها، فنحن لا نعلم حتى الآن رغم التقدم العلمي سوى القليل عن السماء الدنيا، ولكن هناك سبع سماوات وسبع أراضين، وكل سماء فيها الملايين من المجرات والنجوم والكواكب، وكل أرض فيها الكثير من الأسرار والغيبيات، يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق: ١٢).

كذلك يشير القرآن الكريم إلى وجود عوالم كثيرة في السماوات والأرض كالملائكة والإنس والجن وغيرهم كيأجوج ومأجوج وكل ما يدب ويتحرك ولا نراه لحجبه عنا، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٩).

وما في السماوات ليس قاصرًا على الملائكة فقط ولكن ربما هناك كائنات أخرى بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (النحل: ٤٩).

والحرف «ما» يعني وجود كائنات غير عاقلة، ولكن هناك الحرف «من» الذي يعني وجود كائنات عاقلة[1] ربما من الجن الذين يسكنون منطقة تحت الأشعة الحمراء أو من كائنات أخرى من فصيلة الجن كالأطباق الطائرة التي تهبط وعليها أشخاص صغار القامة ولهم رائحة كبريتية يصفها من يصادفهم ثم يختفون فجأة، وهي صفات تنطبق على الجن المتشكل والذي له حضارته وعالمه الخاص الذي حجبه الله تعالى عنا

(١) مجموعة أبحاث علمية، وملخص ما أضافه الدكتور/ أحمد فؤاد باشا عن هذه الحقيقة، والباحث محمد عيسى داود، ومجموعة أبحاث أخرى عن الأطباق الطائرة ومثلث برمودا.

أو ربما هي كائنات يعلمها الله تعالى من فصائل الجن العاقل، وقد أشار الله تعالى إلى كل ذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الإسراء: ٥٥).

واللفظ «من» يعني كائنات عاقلة، ويقول تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

ويضيف الدكتور عاطف قاسم في هذا الموضوع أنه إذا كانت تلك الدواب لها لغة فقد أشار الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الأنبياء: ٤).

وإذا كانت تلك الكائنات فيها المؤمن الذي يسأل الله تعالى وغير المؤمن كما في عالم الجن فيقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (الرحمن: ٢٩).

وإذا كانت تلك العوالم الخفية يظهر منها للبشر أحيانًا بعضها فلقد أشار الله تعالى لإمكانية ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٩).

وإذا كان الجميع سوف يقف للحساب يوم القيامة فسوف يجمعهم الله جميعًا لهذه المواقف بقدرته يقول تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ (مريم: ٩٣-٩٤).

وهذا يثبت أن كل ما يظهر في الحياة الدنيا ويتحير فيه علماء الغرب في كل زمان فقد أشار الله تعالى إليه في القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام فسبحان خالق السماوات والأرض وما بثَّ فيهما من الدواب.

٣٤- سرعة الضوء والإشارات القرآنية:

كان استنتاج العلماء في عصرنا أنه كلما زادت السرعة قل الإحساس بالزمن وهي النسبة التي أشار إليها أينشتين، وعلى سبيل المثال كلما زادت سرعة الصاروخ قل الزمن الذي يقطعه، والزمن في الفضاء الكوني له قوانين تختلف تمامًا عن الزمن التابع لحركة الأرض، فالزمن نسبي؛ لذلك فالسنة الشمسية على الأرض تُحسب بالزمن الذي تقطع فيه الأرض دورة كاملة حول الشمس في نحو ٣٦٥ يومًا شمسية، هذا هو الزمن الأرضي، وهناك زمن خاص بكل كوكب، فعطارد يقطع دورته حول الشمس في ثلاثة أشهر تقريبًا لقربه من الشمس، وسرعة دورانه حولها، ولكن بلوتو هو أبعد الكواكب عن الشمس يتم دورته في حوالي ٢٥٠ سنة.

فكلما زادت السرعة قل الزمن؛ لذلك فاليوم عند ربنا بألف سنة مما نعد نحن حسب دورة الأرض حول الشمس، ومدى سرعتها، وحدود بشرية الإنسان، والزمن قد يصل إلى سرعة الضوء أو كلمح البصر إذا كان الأمر من الله سبحانه وتعالى، وإذا كان الأمر من الله تنزلت به الملائكة في سرعة تتناسب مع طلاقة القدرة الإلهية، وإذا صعدت بأمر، صعدت به أيضًا في سرعة فائقة بأمر الله تعالى ويشير سبحانه وتعالى إلى ذلك بما جاء في القرآن الكريم: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

فالزمن على الأرض خاضع لقياساتنا وقدرتنا المحدودة، ولقد نظر العلماء في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: ٥).

ولقد قاموا بالتحليل الرياضي لمعاني الآية الكريمة فحصلوا على سرعة الضوء وذلك يعد من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حيث لم يعرف العلماء سرعة الضوء إلا بعد أبحاث طويلة معقدة في عصرنا، ولكن القرآن الكريم، يشير إلى ذلك منذ ألف وأربعمائة عام وكانت المعادلة كالآتي:

سرعة الأمر الكوني= ألف سنة مما نعد/ يوم مما نعد= ١٢ألف شهر قمري ×طول مدار القمر حول الأرض × المعامل الشهري للقمر × المعامل السنوي للقمر/ ٢٤ساعة×٦٠دقيقة × ٦٠ثانية.

وبالتعويض في المعادلة بالقيم المعروفة حصل العلماء على رقم ٢٩٩٧٩٢٠،٥كم/ ثانية وهو ما يعادل سرعة الضوء بحساباتنا، وبالتعويض في هذه المعادلة لابد من المرور بالحسابات الفلكية الآتية:

المعامل الشهري للقمر= الزمن النجمي للشهر القمري/ الزمن الاقتراني للشهر القمري =٢٧،٣٢يوم/ ٢٩،٥٣= ٠،٩٢٥٢

المعامل السنوي للقمر= ٣٠٩سنة قمرية/ ٣٠٠سنة ميلادية = ٠،٩٧٠٨٧

طول مدار القمر حول الأرض= ٢٤٠٥٢٠٨،٩٦كم.

ولاحظ العلماء زيادة تسع سنوات في حسابات السنين القمرية وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾.
(الكهف:٢٥)

وهو بالفعل ما اكتشفه علماء الفلك بالحسابات الدقيقة في عصرنا حيث وجدوا اختلافًا في عدد أيام السنة الشمسية الميلادية عن السنة القمرية وبجمع الزيادة لتلك السنين بالنسبة للثلاثمائة عام وجد العلماء فارقًا يقدر بتسع سنوات وهو ما أشار إليه القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، وهو من الإعجاز العلمي الحسابي في القرآن الكريم.

من ذلك نجد أن الله تعالى هو القادر على كل شيء وهو الذي سبق علمه في كل العلوم؛ لأن مصدر العلم منه، وهو الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وهو القابض والباسط وهو الذي بقدرته قبض المائة عام عن عبده وجعلها كاليوم الواحد. يقول تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

وذلك يثبت قدرة الله وإعجازه حيث مرت المائة عام كاليوم الواحد دون التغير في حركة الأرض أو دورانها ولكن بأمر الله كن فيكون، ويبدو الإعجاز أكثر وضوحًا في عدم فساد الطعام، وتحول الحمار إلى العظام البالية، والشعور بالزمن يختلف أيضًا بموت الإنسان وحين يقوم مفزوعًا للحساب، يقول تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

٣٥- اكتشاف جبال السماء:

اكتشف العلماء تراكم السحب بعد مسافة ١٥كم من الأرض على هيئة كتل كالجبال كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم وعرفها بأنها جبال من برد وبالفعل فهي تصل درجة حرارتها إلى ٥٠تحت الصفر، ولم يكن في عهد النبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام سفن فضاء أو أجهزة يستطيع بها أن يصعد لتلك المسافات في الفضاء ولكن الله تعالى يخبره بذلك في قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ﴾ (النور: ٤٣).

٣٦- الماء العذب ورحمة الله:

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمة الماء، وجعل منه كل شيء حي، وتتجلى قدرة الله تعالى في صنعه وتكوينه الذي تحتاجه كل الكائنات على وجه الأرض، ولقد وجد العلماء أن كل الماء الموجود على سطح الأرض قد نبع من الأرض نفسها وذلك بسبب البراكين القديمة التي كانت في بداية نشأة الكون؛ حيث خرج بخار الماء بكميات هائلة، وتكثف في طبقات الجو العليا الباردة وعاد إلينا مرة أخرى، ولقد خرجت مع هذه البراكين الكثير من العناصر اللازمة لحياة الكائنات كثاني أكسيد الكربون والأكاسيد النتروجينية وغيرها من الأكاسيد والأملاح من باطن التربة، ولقد كانت هذه العناصر والأبخرة تخرج بكميات كبيرة في بداية الانفجار الكوني وهذا هو سر أن أغلب البحار مالحة وهي رحمة من الله تعالى لحفظ مياه الأرض من التلف والفساد ثم باستمرار عملية البخر نتيجة لشروق الشمس في كل يوم فإن ما يتبخر من البحار المالحة يسقط علينا ماءًا عذبًا بقدرة الله تعالى، ولقد اكتشف العلماء أنه عند حدوث البرق يتفاعل الأكسجين مع النتروجين فيعطي أكسيد النتروجين وهو قريب من الملح، ولو زاد البرق عن حدود معينة فسوف يصبح ماء المطر كالملح تمامًا، يقول تعالى في ذلك: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٠).

٣٧- قدرة وحقيقة وإعجاز:

إن تكوين الجبال يؤدي إلى تكوين النتوءات في الأرض والعوج والطي ووجد العلماء أنها تتكون نتيجة لهذا العوج ونتيجة للصدوع المختلفة وهي ترتفع عن سطح الأرض وتتكون حولها التلال والهضاب والسهول المختلفة، والله تعالى حين يأتي أمره يوم القيامة ينسف تلك الجبال فلا يكون هناك عوج في الأرض، أو انخفاض، أو

ارتفاع، يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ (طه: ١٠٥-١٠٧).

٣٨- موقع الأرض والنجوم والجاذبية:

أثبت العلم الحديث أن الشمس لو اقتربت من الأرض بمسافة تزيد عما هي عليه الآن لاحترقت الكائنات على سطحها وتبخرت مياهها ولو ابتعدت مسافة تزيد عما هي عليه الآن لتجمدت الكرة الأرضية واستحالت الحياة عليها تمامًا، وهذا ما يحدث لكواكب أخرى مثل كوكب فينوس الذي تنعدم المياه به، وتصل درجة الحرارة به إلى درجات مرتفعة لا تسمح بالحياة عليه، وكذلك كوكب أورانوس الذي يتجمد سطحه وتصل نسبة البرودة عليه إلى نسب عالية لا تسمح بوجود الكائنات الحية عليه، وكذلك من الإعجاز الإلهي أيضًا ما اكتشفه العلماء من وجود النجوم الكانسة والتي تسمى بمقبرة النجوم لقوة جاذبيتها، والتي تمكن النجم الواحد من جذب وبلع آلاف النجوم يوميًا، والثقل النوعي للنجم للكانس يبلغ أربعة ملايين مرة الثقل النوعي لكتلة الشمس، ولو لم تكن الشمس في موقع يبعد كثيرًا عن هذا النجم الكانس والذي يسمى بالثقب الأسود لجذب الشمس وابتلعها، فسبحان اللطيف الخبير.

٣٩- الفرات وجبل الذهب:

إن كل ما يخبر به النبي ﷺ يتحقق كفلق الصبح حين يأتي الميعاد والإذن من الله تعالى بظهوره ليدرك الناس أن ما يقوله الرسول ﷺ هو الوحي من الله تعالى فلقد أخبرنا النبي ﷺ بقوله: «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**»(١).

(١) رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية «يحُسر عن جبل من ذهب»[(١)]، وبالفعل نقلت وسائل الإعلام رصد الأقمار الصناعية لهذا الجبل واكتشف العلماء ذرات الذهب المختلطة بطمي ورمال الفرات، ويصعب في زماننا الحصول عليه حتى ينحسر ماء الفرات، وسوف يحدث قتال شديد عند ظهوره لذلك أخبر النبي ﷺ بعدم الأخذ منه عند ظهوره، إنها الآيات تتحقق وصدق رسول الله ﷺ .

٤٠- مبارك الإبل وعبور الفضاء:

أشار القرآن الكريم إلى مخترعات ووسائل ينتفع بها الإنسان في عصرنا فكل عصر يتحقق فيه ما يسمح به الله تعالى من إلهام الإنسان لمخترعات وأجهزة تناسب احتياجاته على مر العصور، فلقد أشار القرآن الكريم بإمكانية وجود السيارات والقطارات في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٨).

أي: ويخلق ما لم يكن موجودًا في زمانهم كالسيارات والقطارات وغيرها ولقد أشار النبي ﷺ بأن في آخر الزمان سيكون هناك أُناس على أبوابهم كمبارك الإبل، وذلك أبلغ وصف للسيارات، التي تقف على أبواب أصحابها في زماننا، وهي تشبه مبارك الإبل من حيث المصابيح الأمامية، وارتفاع سقفها الذي يشبه سنام الإبل، ولقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة عبور الفضاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (العنكبوت: ٢٢).

---

(١) «وقفات حاسمة بين يدي أمارات الساعة الآتية» سعيد عبد العظيم - دار العقيدة للتراث.

ولقد حيرت هذه الآية العلماء وتساءلوا كيف لا يكون الإنسان معجزًا في السماء وهو يعيش على الأرض ولكنها الحقيقة التي تشير إلى صعود الإنسان إلى كواكب السماء بإذنه سبحانه وتعالى، وهناك الآيات الكثيرة التي تشير إلى ذلك.

٤١- الإعجاز في اتساع أقطار السماوات والأرض:

إن الأبحاث الحديثة أثبتت اتساع أقطار السماوات والأرض ذلك لأن الحقائق العددية تشير إلى أن أقطار الأرض تتراوح بين ١٢٧٥٦ كيلو متر بالنسبة إلى متوسط قطرها الاستوائي و١٢٧١٣ كيلو متر بالنسبة إلى متوسط قطرها القطبي؛ وذلك لأن الأرض ليست تامة الاستدارة لانبعاجها قليلًا عند خط الاستواء، وتفلطحها قليلًا عند القطبين، ويستحيل على الإنسان اختراق الأرض من أقطارها لارتفاع كل من الضغط والحرارة باستمرار في اتجاه المركز، وهذا لا تطيقه القدرة البشرية، ولا التقنيات المتقدمة التي حققها الإنسان في هذا العصر، فبرغم الأجهزة الحديثة وآلات الحفر العملاقة التي استخدمها الإنسان في عصرنا بحثًا عن النفط والغاز الطبيعي فإن هذه الأجهزة لم تستطع حتى اليوم تجاوز عمق ١٤كم من الغلاف الصخري للأرض وهذا يمثل حوالي ٠،٢٪ تقريبًا من طول نصف قطر الأرض الاستوائي وبعد هذا العمق تعجز أدوات الحفر لتزايد الضغط وارتفاع درجة الحرارة بدرجة تؤدي إلى صهر تلك الأدوات والمعدات، حيث إن المعروف أن درجة الحرارة تزداد باستمرار كلما اتجهنا نحو مركزها حتى تصل إلى ما يقرب من درجة حرارة سطح الشمس وهي ٦٠٠٠م وبذلك يعترف الإنسان بعجزه عن خرق الأرض رغم ما يمتلك من معدات القوة، وهو أيضًا لن يبلغ الجبال طولًا بالنسبة لتكوينه الجسمي يقول تعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء:٣٧).

وأما بالنسبة لأقطار السموات فإن الجزء المدرك من السماء الدنيا يتصف بالاتساع والضخامة التي لا يمكن أن تطولها قدرات كل من الإنس والجن وهذا يسبب الشعور لكل منهما بعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه أو النفاذ إلى المجهول من بعده يقول سبحانه وتعالى على لسان الجن ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ (الجن:١٢).

إن مجرَّتنا يقدر قطرها الأكبر بمائة ألف سنة ضوئية وقطرها الأصغر يقدر بعشرة آلاف سنة ضوئية والسنة الضوئية تبلغ حوالي ٩,٥ مليون مليون كم تقريبًا، ومعنى ذلك أن الإنسان لكي يتمكن من الخروج من مجرتنا عبر قطرها الأصغر يحتاج إلى وسيلة تحركه بسرعة الضوء وهذا مستحيل، بل ولابد أن يتحرك لمدة مستمرة تصل إلى عشرة آلاف سنة من السنين التي نعرفها، ولابد أن يحصل على طاقة قوية خيالية ليتمكن من الانفلات من نطاق الجاذبية بالنسبة للأجرام التي سوف يمر بها.

وهذا كله يستحيل تحققه بالنسبة للإنسان الذي لا يتجاوز عمره الخمسين أو الستين سنة، وطاقته بالنسبة لحركته في السماء لا تتعدى الثانية الضوئية وربع ثانية فقط وهي المسافة بين الأرض والقمر، وهذا ما استطاع الإنسان أن يبلغه بإذن الله تعالى بعد أن أفاض عليه من علمه في هذا المجال، يقول تعالى مشيرًا إلى تلك الحقائق والتي أثبتت عجز الإنسان عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطان من الله تعالى كما سمح لنبيه ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج يقول تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾.

(الرحمن:٣٣)

٤٢- الاكتشاف العلمي لشواظ النار والنحاس:

لقد كان التفسير القرآني للفظ الشواظ هو إجماع قدامى المفسرين أنه يعني اللهب الذي لا دخان فيه، ولكن الكشوفات الحديثة تثبت أن كلمة نحاس تعني الدخان أو فلز النحاس المعروف لنا بدرجة انصهاره العالية ١٠٨٣م ودرجة غليانه الأعلى وهي ٢٥٦٧م، ولقد اكتشف العلماء تحقيق ذلك في عصرنا بالفعل، فالثابت علميًا أن العناصر المعروفة تتخلق بداخل النجوم عن طريق الاندماج النووي، حيث يبدأ الاندماج بالعناصر الأخف كالهليوم والأيدروجين، ثم نتيجة التفاعل تتخلق نوى ذرات أثقل لعناصر أخرى، وهكذا، ويستمر ذلك حتى تصل نتيجة التفاعلات إلى الذرات الثقيلة كالحديد، فيتحول لُبُّ النجم إلى الحديد، وخلال هذه التفاعلات تنتج حرارة تصل إلى بلايين الدرجات المئوية، وعملية إنتاج الحديد بالاندماج النووي تستهلك كمية عالية من الحرارة، حتى إنها تستهلك طاقة النجم بالكامل حتى ينفجر وتتناثر العناصر التي تكونت بداخله بما فيها الحديد، الذي يملأ صفحة السماء، حتى يدخل في مجال جاذبية أجرام جديدة تحتاج إلى تلك العناصر بتقدير الله تعالى كالكوكب الأرضي، وأما العناصر ذات النوى الأثقل من ذرة الحديد كالنحاس، فهو يتكون بإضافة اللبنات الأولية للمادة إلى نوى ذرات الحديد السابحة في صفحة السماء فتتكون عناصر أخرى كثيرة منها المائة وخمسة من العناصر المعروفة لنا وهي أيضًا تنزل إلى جميع أجرام السماء بقدر معلوم والنحاس أعلى من الحديد في وزنه وعدده الذري وبذلك فهو يتكون في صفحة السماء باندماج نوى ذرات الحديد المتناثر مع اللبنات الأولية للمادة، وبذلك تصبح السماء الدنيا زاخرة بذرات العناصر الثقيلة كالنحاس.

وبذلك فإن النحاس وهو يملأ صفحة السماء وفي درجة انصهاره التي تغلي بها قطراته يعد عقابًا رادعًا لكل من يحاول من الإنس والجن أن يخترق أقطار السماوات والأرض، وفي المعارض الدولية للفضاء والطيران تعرض المركبات الفضائية وغيرها من نماذج مركبات الفضاء، ويصف الدكتور/ عبد الله الشهابي ما لاحظه أثناء زيارته لأحد المعارض، حيث شاهد قطاعًا عرضيًا في كبسولة أبوللو، وأذهله أن يرى على سطحها خطوطًا طويلة عديدة غائرة في جسم الكبسولة، ومليئة بكربونات النحاس (جنزار النحاس) وقد لفتت هذه الملاحظة نظره فذهب إلى المسئول العلمي عن تلك الصالة وسأله: هل السبيكة التي صُنعت منها الكبسولة يدخل فيها عنصر النحاس؟ فنفى المسئول ذلك نفيًا قطعيًا، فقال له: ومن أين جاء جنزار النحاس؟

فقال له: من نوى ذرات النحاس المنتشرة في صفحة السماء والتي تصطدم بجسم الكبسولة طوال حركتها صعودًا وهبوطًا في صفحة السماء، وحين تقترب من الأرض وتمر بمناطق تحتوي على الرطوبة وثاني أكسيد الكربون، فإن هذه الذرات النحاسية تتفاعل في تلك الظروف وتتحول إلى جنزار النحاس كربونات النحاس ويشير[١] القرآن الكريم لتلك الحقيقة عن تناثر نوى ذرات النحاس المنصهرة في الفضاء في قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ (الرحمن: ٣٥).

٤٣- الإعجاز في التصنيف القرآني لصخور الجبال:

لقد عكف العلماء زمنًا طويلًا وبعد أبحاث مضنية، سجلها آلاف العلماء على مراحل مختلفة من السنين حتى توصلوا في العقود المتأخرة من القرن العشرين إلى أفضل

(١) ملخص ما وصفه الدكتور عبد الله الشهابي وما لاحظه أثناء زيارته لأحد المعارض وما شاهده في كبسولة أبوللو، وهي معارض دولية تعرض المركبات الفضائية وغيرها.

تصنيف للجدد، وهي الصخور النارية التي تتداخل في صخور الجبال، والتي تتكون نتيجة اندفاع الصهارة الصخرية في القشرة الأرضية عبر نطاق الضعف الأرضي فتتداخل في تكوينات الصخور الجبلية وتميزها إلى الأشكال والخصائص الكيميائية المختلفة، وكان أفضل تصنيف لتلك الصخور هو التصنيف القائم على أساس من تركيبها الكيميائي والمعدني والذي ينعكس على ألوانها ويشمل:

النوع الأول: وهي الصخور تتراوح ألوانها بين اللونين الأبيض والأحمر وتسمى الصخور الحامضية وفوق الحامضية (الرايولايت - الجرانيت).

النوع الثاني: عبارة عن صخور مختلفة الألوان تتراوح بين الأبيض والأحمر والرمادي الذي لا يصل إلى الأسود، وبذلك يكون هذا النوع وسطًا بين ألوان الصخور الحامضية وفوق الحامضية من جهة، والصخور القاعدية وفوق القاعدية من جهة أخرى مثل (الأنديذايت- ديورايت).

النوع الثالث: وهو عبارة عن الصخور القاعدية وفوق القاعدية، وهي صخور تميل ألوانها إلى الداكنة حتى السواد مثل (البازلت- الجابرو- والبريدوتايت) ويبدو الإعجاز هنا في الوصف القرآني المطابق تمامًا لهذا التصنيف الذي لم يصل إليه العلماء إلا حديثًا بعد الجهود والأبحاث المضنية وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ (فَاطِر:٣٧).

ونجد الإعجاز في الوصف والترتيب القرآني للتصنيف السابق حيث نجد أن كلمتي «بيض وحمر» تنطبق تمامًا على النوع الأول في التقسيم وهي الصخور الحامضية وفوق الحامضية التي تتصف بتلك الألوان، وكلمات ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ تنطبق تمامًا على النوع الثاني المختلف الألوان والذي يتراوح بين الأبيض

والأحمر والرمادي، ثم نجد أن الوصف القرآني (غرابيب سود) ينطبق تمامًا على النوع الثالث من الصخور القاعدية وفوق القاعدية وهي الصخور الداكنة السوداء، إنه الوصف والتصنيف المعجز من الله تعالى والذي يثبت عالمية الرسالة الخاتمة ويشهد بصدق النبوءة للنبي الخاتم محمد ﷺ ويؤكد حقيقة لابد وأن تكون راسخة في قلب كل مؤمن أنه ﷺ كان لا ينطق عن الهوى، وإنما هو الوحي الحق من مالك الملك وخالق السموات والأرض.

٤٤- رزق الكائنات بتقدير الله تعالى:

نحمد الله تعالى أنه خلقنا مسلمين وجعل لنا الأرض مهدًا وبارك فيها وجعل لنا سبلًا فجاجًا... ولقد مرت الأرض بمراحل عديدة بأمر الله تعالى أصبحت في صورتها التي نعيش عليها مناسبة وصالحة لكل الكائنات التي خلقها تبارك وتعالى بقدرته وأمره كن فيكون، ويرى العلماء الباحثين أن الأرض ربما تكون هي مركز الكون، حيث إنهم اكتشفوا بعد الأبحاث والدراسات أن مكة المكرمة هي مركز الأرض ولقد وصفها الله تعالى بأنها أم القرى وبذلك ينطبق ما اكتشفه العلماء مع الوصف القرآني منذ ألف وأربعمائة عام، وأما بالنسبة للجزم بأن الأرض هي مركز الكون، فهذا ما لا تتحمله عقول البشر؛ وذلك لأن الجزء المدرك من السماء الدنيا فقط دون باقي المسارات يزيد قطره على العشرين بليون سنة ضوئية، وهي حقيقة تجعل الإنسان بكل إنجازاته العلمية يتضاءل تضاؤلًا شديدًا أمام أبعاد الكون المذهلة، والذي لا يمكن تحديد مركزه، والجزم به.

ولكن الإقرار بذلك يكون قياسًا على الحقيقة السابقة وكذلك استنتاجًا من حديث رسول الله ﷺ حين قال يومًا لأصحابه: «**هل تدرون ما البيت المعمور؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ : «**فإنه مسجد في السماء بحيال**

الكعبة لو خرَّ لخرَّ عليها،يصلي فيه كلَّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم». ولقد مرت الأرض بمراحل عديدة منذ بداية خلقها فلقد مر بمرحلة الرتق أي الجرم الأولى الذي بدأ منه خلق السماوات والأرض، ثم مرحلة الفتق وهي انفجار هذا الجرم، ثم مرحلة تخلق العناصر المختلفة عبر السماء الدخانية بداية من اتحاد قوى العناصر الخفيفة كالهليوم والهيدروجين، ثم انتهاءًا بالعناصر الثقيلة كالحديد.

ثم مرحلة تخلق كُلٍّ من الأرض وباقي أجرام السماء عن طريق اتحاد الدوامات الدخانية وتكثفها على ذاتها بفعل الجاذبية ثم ردمها بوابل من النيازك الحديدية والعناصر الثقيلة، ثم مرحلة دحو الأرض وتكوين غلافها المائي والغازي والصخري وتكون القارات وقيعان المحيطات والبحار وتكون سلاسل الجبال وشق الأودية، والفجاج والسبل، والتعرية وتسوية سطح الأرض، وتكوين التربة، وخزن المياه تحت السطحية، ثم مرحلة خلق الحياة في أبسط صورها بداية من الحياة النباتية، ثم الحيوانية، ثم مرور الفترات الزمنية، حيث يندثر كل ذلك بفعل الرياح والتغيرات الزمنية وتحلل الكائنات النباتية والحيوانية وتكون الثروات البترولية في باطن الأرض، وهذا يعد نوعًا من أنواع الرزق وتقدير الأقوات في الأرض حتى تصلُح لاستقبال الإنسان الذي سوف ينتفع بكل تلك الثروات يقول تعالى في ذلك: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠).

إنها أيام تختلف تمامًا عن الأيام التي نعرفها نحن على كوكبنا الأرضي، حيث إن الزمن كما أشرنا سابقًا يرتبط بالنسبية، فاليوم الأرضي يرتبط بدوران الأرض حول نفسها، فيقدر عندنا بأربع وعشرين ساعة، ولكن هو في كواكب أخرى يقدر بأكثر من ذلك، وهو عند الله تعالى يختلف تمامًا عن قياساتنا، ويقدر العلماء أقدم صخور الأرض

بنحو ٤،٦٠٠مليون سنة، وأقدم أثر للحياة الأرضية يقدر بنحو ٣،٨٠٠مليون سنة وبذلك يكون إعداد الأرض لاستقبال الحياة قد استغرق حوالي ثمانمائة مليون سنة تقريبًا حيث تم دحو الأرض.

وتكون السلاسل الجبلية، وخروج الغازات والأبخرة من باطن الأرض لإثراء الكون بالغازات اللازمة لحياة الكائنات، كثاني أكسيد الكربون اللازم لحياة النباتات، والأكسجين اللازم لبقية الكائنات، وكذلك خروج بخار الماء بنسبة كبيرة عبر المراحل الزمنية المختلفة من خلال الثورات البركانية الأرضية وتكثف هذا البخار ونزوله في صورة مياه غزيرة شقت البحار ومهدت السبل، وكذلك اندثار الكائنات الحيوانية، والنباتية المختلفة عبر الحقب الزمنية الماضية عمل على إثراء الأرض بالثروات البترولية، كذلك ساعدت درجة الحرارة العالية على حدوث التفاعلات الكيميائية المختلفة وتكون الثروات المعدنية المختلفة في باطن الأرض، بالإضافة إلى ورود نوى الذرات الثقيلة كالحديد والنحاس وغيره، من خلال النجوم والمستعمرات الأخرى في الفضاء الكوني، وكل ذلك بأمر الله تعالى لتظل الأرض صالحة للعمران حتى قيام الساعة، ولقد وجد العلماء أن أقدم أثر للحياة على اليابسة هو أثر الحياة للكائنات النباتية حيث إن النبات له القدرة على امتصاص غذائه من الأرض بنفسه عن طريق التمثيل الضوئي مستفيدًا من غازات الجو، ومياه ومعادن الأرض.

ثم بعد ذلك كانت الحياة الحيوانية، حيث يعتمد الحيوان على النبات في غذائه، ثم كان خلق الإنسان حين كانت الأرض مهدًا وسبيلًا يصلح لسعي الإنسان وانتفاعه بثروات الأرض المختلفة، لذلك فأقدم أثر للحياة على اليابسة بالنسبة للكائنات النباتية يقدر بحوالي ٤٥٠ مليون سنة، والذي بدأ بالنباتات الأرضية المختلفة والتي صارت

مدخرًا من الثروات البترولية التي ينتفع بها الإنسان حتى الآن، فسبحان الخالق الذي خلق الأرض وباركها وقدر فيها أقواتها، فما أشد عذاب الجاحدين، يقول تعالى معاتبًا المشركين المنكرين من عباده.

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾

(فُصِّلَتْ :٩-١٠)

٤٥- الإعجاز في نقاء ماء المطر وطهارته:

من خلال السير في الأرض والتفكر في آيات الله؛ في النفس وفي الآفاق يكتشف العلماء كل يوم إعجازًا جديدًا يضاف إلى الإعجاز السابق ليظل القرآن الكريم ذاخرًا بالعطاء والإعجاز في كل يوم وعلى مر الزمن وبما يناسب مستوى العقول في كل عصر، لذلك نجد أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يتجلى في عصر النبوغ في العلوم المختلفة، وحين يغتر البعض ويحاول نشر حصاد غروره بالعلم فيظهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مطابقًا لما يكتشفه العلماء في كل مجالات العلوم ويقذف الله تعالى بالحق على الباطل فيدمغه ويتم الله نوره ولو كره الكافرون.

وحين يأتي عصر الحاسبات والكمبيوتر، وكعادة الإنسان الضعيف الذي ينسى دائمًا أصله الماء المهين، لا يلبث أن يغتر حتى يظهر الإعجاز الرياضي، والرقمي في القرآن الكريم كما أشرنا سابقًا بصورة تقف العقول أمامها عاجزة حيث يكمن في قلب اللغة العربية أسرار لا تحصى من هذا الإعجاز، وحين حاول الإنسان أن يعبر الآفاق

ليفهم الكون الشاسع كان كل ما يكتشفه رواد الفضاء مطابقًا تمامًا لما جاء في القرآن الكريم وآياته في كل الحقائق، فمثلًا وجد العلماء أن أشعة الشمس بما فيها من أشعة فوق بنفسجية، وأشعة تحت الحمراء، وغاز الأوزون، وحدوث البرق في طبقات الجو العليا، حيث إن شرارة البرق تصل إلى أكثر من ١٠٠٠ درجة مئوية، كذلك احتواء الهواء على الكثير من المركبات الكيميائية المختلفة باختلاف العناصر المنتشرة في طبقات الجو، فإن كل ذلك يقوم بتنقية بخار الماء وقتل الميكروبات التي تكمن فيه وإعدام الأحياء الدقيقة الضارة التي تحملها الرياح وتصطدم بها السحب، ونتيجة لتلك التنقية الطبيعية بإرادة الله تعالى ينزل ماء المطر نقيًا طاهرًا، نظيفًا خاليًا من الجراثيم والميكروبات والتي لم يكتشفها الإنسان إلا حديثًا، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

٤٦- الإعجاز في انتفاع الناس بما يمكث في الأرض:

تحتوي صخور الأرض على الكثير من العناصر الكيميائية والتي باتحادها تتكون أصناف المعادن المختلفة والتي منها ما يتحمل عوامل التعرية، ومنها ما لا يتحملها فيجري مع السيول الجارفة، وحين تضعف سرعة التيار المائي تتناقص قدرته على حمل الفتات الصخري فيبدأ في ترسيبه في مجرى الوادي الذي يتحرك فيه السيل بالتدريج حسب كتلة ما يحمل من فتات، وبهذه الطريقة يتمايز هذا الفتات الصخري حسب حجم حبيباته فتترسب الحبيبات الثقيلة أولًا ثم الأخف منها، وتتكون نتيجة لذلك في قيعان البحار العديد من جواهر الأرض كالألماس والياقوت، والزمرد، والزبرجد، والعقيق والفيروز، وغيرها من الخامات الفلزية كالذهب، والفضة، والبلاتين، وغيرها.

وكذلك الكثير من المعادن النافعة للبشر، كالحديد، والنحاس، والرصاص، والقصدير، والزنك، والمنجنيز، والكروم، والنيكل، وغيرها، وكل ذلك يكون على هيئة تجمعات رسوبية في قيعان الأودية التي مرت بها تلك السيول، وكل ذلك يحدث بتقدير الله تعالى حيث يمتلئ الوادي بالمناطق الممعدنة التي تحتوي على المعادن التي ترسبت في هذا المكان ومناطق أخرى خالية من المعادن حيث لم يحدث بها ترسيب وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرَّعْد: ١٧).

أي: بما تمر به من المناطق الممعدنة بتقدير الله تعالى ومن ذلك نجد أن كل ما ينفع الناس يمكث في الأرض، ويتضح ذلك في تحول بقايا الأشجار ورسوبيات البحار النباتية إلى الفحم، والغاز الطبيعي في باطن الأرض أيضًا، وكذلك من الرسوبيات النافعة تجد الفوسفات، والكبريت، والملح، والجبس، والبوكسايت والأنهيدرايت، وكربونات الماغنسيوم، وغيرها، وفي البحار يحمل السيل غُثاءه فوق سطح الماء على هيئة زبد يتكون من أتربة دقيقة وبقايا معادن مسحوقة، أو رقيقة، وفتات النباتات والقش الضامر، مما لا ينتفع به الناس، ويشير الله تعالى لتلك الحقيقة منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (الرَّعْد: ١٧).

٤٧- علم الفلك والسنة الشمسية والقمرية:

إن كل اكتشاف يصل إليه العلماء يكون السبق للقرآن الكريم في الإشارة إليه، فهو النور والإعجاز الدائم في كل عصر، ولقد اكتشف العلماء أن السنة الشمسية تختلف عن السنة القمرية في عدد أيامها، ولقد توصلوا إلى ذلك بعد دراسات وحسابات دقيقة فانتهوا إلى أن كل مائة سنة شمسية يقابلها مائة سنة قمرية بزيادة

ثلاث سنوات؛ لأن عدد الأيام يزيد في السنة الشمسية، وبذلك يكون كل ثلاثمائة سنة شمسية يقابلها ثلاثمائة وتسع سنة قمرية، والسبق للقرآن الكريم في الإشارة لتلك الحقيقة التي توصل إليها العلماء بعد الكثير من الإحصائيات والأبحاث الفلكية وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ (الكهف: ٢٥).

٤٨- جريان الشمس حقيقة وإعجاز:

حين أثبت العلماء حركة الأرض ودورانها كان ذلك من الاكتشافات الجديدة والهائلة، وكان أيضًا مطابقًا لما أشار إليه القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، فحركة الأرض أشار إليها سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ (النمل: ٨٨).

أي: أن الجبال تتحرك طبقًا لحركة الأرض كما تتحرك السحب تبعًا لحركة الرياح وكروية الأرض أخبرنا الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ﴾ (الزمر: ٥)

وكلمة «**يكور**» تفيد بأن: الليل والنهار سوف يوجدان على شيء مكور وهو الأرض، فهما سيحيطان بها، وبما أنها تدور سيكون نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس بلاده عليها النهار، والنصف البعيد بلاده عليها الليل، أي: أن الليل والنهار يوجدان في وقت واحد على الكرة الأرضية لا يسبق أحدهما الآخر ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ (يس: ٤٠).

كذلك كروية الأرض يثبتها قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ (الحجر: ١٩).

ومعنى المد هنا أي: أننا كلما سرنا عليها نجدها ممدودة أمامنا لا تنتهي عند حافة، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية كالبيضة التي تدير إصبعك عليها فلا تجد حافة ينتهي السير عندها، ولكن الخط المستقيم له نهاية وحافة كالمسطرة، ولقد اكتشف

العلماء في عصرنا أيضًا أن الشمس التي تبدو للعين ثابتة أو بطيئة الحركة هي في الحقيقة تسبح وتجري في الفضاء، فلقد اكتشف العلماء أن الشمس تبعد عنا حوالي ١٥٠ مليون كم وضوؤها يصلنا بعد ثمان دقائق، وعندها تكون قد انتقلت إلى مكان آخر، فهي تجري نحو برج يسمى النسر، ولن تصل إليه إلا حين يأذن الله لها بهذا المستقر ثم يلحق بها القمر، وعندها يجمع الله الشمس والقمر وبقية الكواكب، يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (يس: ٣٨).

ويتجلى الإعجاز القرآني في اللفظ «تجري» حيث إن هذه الرؤية وهذا الجريان لا يُرى بالعين المجردة ولكن بأجهزة خاصة مما يثبت لنا أن النبي ﷺ كان لا ينطق عن الهوى ولكنه الوحي من الله العليم الخبير.

٤٩- صفة الجبال وسطح الأرض:

منذ عهد قريب كانت كل التعريفات عن الجبال هي أنها مجرد ارتفاعات ونتوءات فوق سطح الأرض، فلم تكن قد ظهرت تلك الأجهزة التي تخترق طبقات الأرض والتي بظهورها وجد العلماء أن الجبال تمتد في باطن الأرض بامتداد قد يصل أحيانًا إلى خمسة عشر ضعف ارتفاع الجبل على سطح اليابسة، ولو ضربنا مثلًا بقمة إفرست، نجد أن ارتفاعها قد يصل إلى أقل من تسعة كيلو مترات على السطح، ولكنها تمتد بعمق يصل إلى ١٣٥ كيلو متر في باطن الأرض ويشير الله تعالى إلى ذلك في قوله سبحانه ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (النبأ: ٦-٧).

أما بالنسبة لسطح الأرض فلقد وجد العلماء أن حوض البحر الميت وهي منطقة الخسف الذي حدث لقوم لوط هي أكثر اليابسة انخفاضًا على سطح البحر، وتعتبر هذه المنطقة هي أسفل بقعة في الأرض على الإطلاق، وهي التي دارت عليها المعركة

بين الفرس والروم ولقد أشار الله تعالى إلى تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ (الروم: ٢-٣).

ومن حكمة الله تعالى أنه جعل سواحل البحار منخفضة عن سطح الأرض حتى لا تغرق المدن؛ ولذلك تقاس كل الارتفاعات بسطح البحر[١] فيقال: هذا المكان يعلو ألف متر أو مائة متر عن سطح البحر، ولقد اتخذ العالم سطح البحر مقياسًا يساوي صفر في الارتفاع في الدنيا، ويخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله عز وجل: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ (الأنفال: ٤٢).

والتفسير أن المسلمين كانوا بالعدوة الدنيا أي: قريبين من المدينة والكفار بالعدوة القصوى أي: بعيدين عن مكة، وركب أبو سفيان أسفل منهم لأنه كان متخذًا ساحل البحر، فسبحان اللطيف الخبير.

٥٠- مكة المكرمة ومركز العالم:

إن الكشوفات الحديثة في علم الجيولوجيا أثبتت أن الصخور أسفل البيت الحرام هي صخور من نوع خاص يقاوم الهزات الأرضية، ولها القدرة على امتصاص تلك الهزات، وهي أيضًا غير قابلة للانفجار البركاني على مدار الزمن، ولقد أثبت أحد العلماء البارزين أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة، ومن حولها هو العالم بأسره فهي تتوسطها مكانًا وزمانًا، ولقد استمرت الدراسات الهندسية لاكتشاف تلك الحقيقة لسنوات عديدة، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك منذ ألف وأربعمائة عام في قوله

(١) «سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن»، «براهين الإيمان ومعجزاته» الشيخ عبد المجيد الزنداني في الحديث عن الأرض في القرآن.

تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى: ٧)، ومن ذلك نجد أن رسالة القرآن الكريم عالمية إلى كل بلاد العالم شرقًا وغربًا.

٥١- رواد الفضاء وانشقاق القمر:

اعترفت مجموعة من رواد الفضاء في عصرنا باكتشافهم فوق سطح القمر حزامًا من الصخور المتحولة يخترق القمر من جوفه إلى سطحه ويلتحم بطول القمر وحين سألوا علماءهم الباحثين وناقشوا هذه الأبحاث، وكان نتيجة ما توصلوا إليه وأقروا به، هو أن القمر لابد أن يكون قد انشق قبل ذلك ثم عاد إلى الالتحام، وبالفعل يخبرنا الله تعالى بذلك في قوله سبحانه: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ (القمر: ١).

حيث أشار إليه النبي ﷺ بإصبعه فانشق فلقتين إحداهما على يمين الجبل والأخرى على يساره لتكون آية للمشركين في مكة، وحتى الآن هناك دول تؤرخ لنفسها بتاريخ انشقاق القمر، ويعترف أحد باحثي الغرب وهو بريطاني الأصل قائلًا: لقد كان هذا الاكتشاف هو سبب إسلامي حيث كنت أبحث في الأديان، فأهداني أحد المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم فوجدت فيها إشارة لانشقاق القمر فلم أصدق هذه الآية إلا بعد اعتراف رواد الفضاء في أحد البرامج المرئية، والتي كان ضيوفها ثلاثة من رواد الفضاء يتحدثون عن اكتشافاتهم فوق سطح القمر، ولقد أصبح هذا الباحث الآن رئيسًا للحزب الإسلامي البريطاني حيث كانت هذه الآية هي مدخله إلى الإسلام.

٥٢- ظلمات البحر واكتشاف البرزخ:

يعترف أحد علماء البحار وهو العالم دور جاروا، بأنهم كلما غاصوا في أعماق البحر بعيدًا عن السطح كلما اشتدت ظلمات البحر، حيث تضعف أشعة الشمس التي تخترق سطح البحر وأعماقه كلما غاصوا لأسفل، ولقد استخدموا أجهزة لقياس شدة

الظلمة في البحار فوجدوا أن ألوان الطيف تختفي لونًا بعد الآخر كلما زاد العمق، فكل لون يختفي عند درجة من الظلمة تزيد كلما غاصوا لأسفل حتى يكاد الغواص لا يرى يده من شدة الظلمة، أي أن البحر ظلمات مختلفة، ولقد وجد العلماء موجًا متلاطمًا يشبه الموج الموجود على سطح البحر عند عمق مائتي متر.

أي: أن بالبحر موجين وليس موجًا واحدًا نراه جميعًا على السطح ويضيف العالم أنهم حين غاصوا بعد عمق مائتي متر، حيث هذه الأمواج، وجدوا بحرًا معتمًا تمامًا لا يصل إليه أي أثر من أشعة الشمس فهي ظلمة شديدة حالكة تختفي عندها وتنعدم جميع ألوان الطيف، وملخص كلام العالم هو أن أعماق البحار عبارة عن بحر مظلم تمامًا، ثم يعلو ذلك موجًا متلاطمًا عند عمق مائتي متر ثم ظلمات مختلفة ومتدرجة حتى الوصول إلى الموج على سطح البحر الذي يعلوه السحاب، ولقد أشاروا لهذا العالم في أحد مؤتمرات الإعجاز القرآني بعد اكتشافه هذا بأن القرآن الكريم أشار إلينا بتلك الحقيقة وأعلمها للنبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام حيث لم يكن هناك مثل هذه الغواصات وذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠).

ولقد قال العالم متعجبًا هذه حقيقة لا يمكن أن يعرفها إلا من يغوص بالغواصات ولا يمكن أن يكون ذلك إلا الوحي من السماء[(١)]، ذلك يثبت لي أن محمدًا رسول الله ولقد تم التقاط الصور للبحار بخاصية تُعرف بالخاصية الحرارية، وبسبب

---

(١) مناظرة علمية بعنوان «شهادات علماء الغرب»، للشيخ عبد المجيد الزنداني ومنهم كيث المور، ومرشال جنسون، ودورجاروا، وجولي سامسونج، وغيرهم.

اختلاف درجات الحرارة في البحار لاختلاف درجات الملوحة فيها وجد العلماء أن كل بحر يظهر بلون مختلف عن الآخر فبعضها أزرق قاتم، وبعضها أسود، وتتفاوت الألوان وتتدرج بين ذلك، ولقد وجدوا بين كل بحر وآخر لونًا يختلف تمامًا عن البحرين كأنه يفصل بين كل بحرين، يختلفان في صفاتهما ويميز حدود كل بحر عن الآخر، فقام العلماء بدراسة هذه المنطقة بين كل بحرين.

فوجدوها مساحة من المياه الفاصلة كأنه سور من المياه يختلف تمامًا عن البحرين في درجة الملوحة والكثافة وكأنه محطة لتحلية المياه من صفة إلى أخرى، فإذا كان أحد البحرين ملوحته شديدة عن الآخر فإن مياهه حين تعبر هذا الفاصل يمتص جزء من ملوحته لتصل المياه إلى البحر الآخر بنفس درجته من الملوحة والكثافة، ولقد اعترف بذلك البروفيسور«شرايدر» من أكبر علماء البحار بألمانيا الغربية فترجموا له قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن:١٩-٢٠). قال: لا يمكن أن يكون ذلك من كلام البشر، إنه الوحي من السماء.

٥٣- من روائع الإعجاز في عالم البحار:

لقد كان اكتشاف الظلام الكوني بعد مسافة ٢٠٠كم من الأرض اكتشافًا هائلًا وأضاف للمسلم حقيقة أشار إليها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام، حيث تبدو الشمس بعد تلك المسافة في قلب الفضاء الكوني كقرص أزرق في صفحة سوداء وكذلك النجوم الأخرى تبدو بألوان تختلف تمامًا عن شكلها المعتاد والذي نراه دائمًا حيث إن الغلاف الغازي بما يحتوي من ذرات الغبار وبخار الماء يساعد على تحليل أطياف ضوء الشمس إلى هذا الضوء الأبيض الجميل، ومن يصعد بعد مسافة الـ٢٠٠كم يشعر أنه سُكر بصره.

حيث يتغير كل شيء حوله وتتغير مظاهر الأشياء والنجوم من حوله وكأنما اعتراه شيء من السحر يغير في عينيه كل شيء، ويشير الله تعالى إلى ذلك حين طلب المشركون الآيات من النبي ﷺ وأرادوا أن يطّلعوا على غيب الله في السموات ليؤمنوا برسالته يقول تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤-١٥).

وهذا ينطبق تمامًا مع ما قاله أحد رواد الفضاء حين صعد إلى هذا الظلام الكوني وشاهد تلك الحقائق حيث ردد قائلًا بما يشبه نص الآية القرآنية.

- I have a most lost my eye sight or something magic has come over me.

وهي بمعنى: أنا فقدت بصري تقريبًا أو اعتراني شيء من السحر، وسكر البصر في اللغة معناه فقده لشدة الظلام وهذه الظلمات لا تقتصر على الفضاء الكوني فقط بل تمتد إلى أعماق البحار حيث يصبح البحر مظلمًا تمامًا يقول تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ (النور: ٤٠).

ويشير العلماء إلى أن متوسط أعماق البحار هو ٤كم وقد يمتد إلى ١١كم، وأن ما يصل إلى سطح الأرض من أشعة الشمس هي نسبة تصل إلى ٥١٪ ترتد نسبة كبيرة منها عن طريق أمواج البحر السطحية، ثم يتحرك جزء صغير داخل مياه البحر أو المحيط وعندما يتحرك هذا الضوء داخل مياه البحر يتحلل إلى أطيافه السبعة وتبدأ الأمواج في امتصاص تلك الألوان، فأول ما يُمتص هو اللون الأحمر.

فإذا أصيب غواص وسال دمه على عمق ١٠م لا يرى هذا الدم؛ لأن الطيف الأحمر قد تم امتصاصه بالكامل، وتظل هذه الأطياف تُمتص بالتدريج، وكل لون يتم امتصاصه يعطي ظلمة معينة وما بعدها يكون أشد، وهكذا حتى يبقى الطيف الأزرق

وهو أكثرها استمرارية ولذلك يبدو البحر باللون الأزرق، كما تبدو السماء باللون الأزرق، وتظل تتدرج الظلمات بامتصاص ألوان الطيف السبعة حتى مسافة ٢٠٠م فقط من عمق البحر، ويسميها العلماء طبقة لا يرى الإنسان يده حيث لا ينفذ شيء من ضوء الشمس بعد تلك المسافات العميقة، يقول تعالى مشيرًا إلى تلك الظلمات: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍۚ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ (النور: ٤٠).

ولقد اكتشف العلماء بعد مسافة ال٢٠٠م موجًا آخر متلاطم يفوق كل الأمواج السطحية التي نراها في قوة اندفاعه وفي طول الموجة وارتفاعها، ولقد أشار الله تعالى كما أشرنا سابقًا إلى أن البحر يحتوي موجين، وهو الموج على سطح البحار، وهذا الموج المعروف الذي اكتشفه العلماء، بالغواصات التي لم تكن في عهد الرسول ﷺ بعد عمق مائتي متر يقول تعالى ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ﴾ (النور: ٤٠).

وبالفعل فإن صفة البحر بعد مسافة ٢٠٠م عمق، وحتى الوصول إلى ١٠٠٠م فبعدها، عبارة عن بحر لجي مظلم تمامًا «يغشاه موج» وهو الموج الموجود بعد تلك المسافة في الأعماق «من فوقه موج» وهو الموج على سطح البحر، ثم بعد ذلك يكون السحاب، ومن العجيب في عالم البحار الذي تتجلى فيه قدرة الله تعالى حيث إنه بإمكانية التصوير من الفضاء لمياه البحار عن طريق الأقمار الصناعية ومراكب الفضاء وجد العلماء أن الماء في البحر الواحد عبارة عن بقع متجاورة تختلف عن بعضها البعض في الشكل، حيث تختلف درجات الحرارة في البحار، وبالتالي تختلف درجات الملوحة.

حيث إنه كلما زادت الملوحة زادت برودة المياه، فالبحار ليست موحَّدة التكوين، وحين تم التقاط الصور بخاصية تُعرف باسم الخاصية الحرارية، ظهرت كل منطقة

بلون مختلف عن الآخر حسب درجة حرارة البحر تبعًا لدرجة ملوحته، وتم تصوير فاصل يفصل كل منطقة عن الأخرى ويفصل كل بحر عن الآخر.

وحين قام العلماء بدراسة تلك الفواصل وجدوا أنها عبارة عن مساحة من المياه الفاصلة وكأنه سور من المياه يختلف تمامًا عن البحرين في درجة الملوحة، والكثافة، والأحياء المائية، وتفسير ذلك أن الماء به كَمٌّ من الأملاح تتأين، والتأين هو تفكك الجزيئات إلى مكوناتها وهي إما شحنات موجبة أو سالبة، هذه الشحنات تقف على حواف الماء للتنافر مع شحنات متشابهة من الماء المجاور وتجعل من هذا الحاجز المائي مانعًا حقيقيًا يحول دون اختلاط الماء أو امتزاجه، ولقد وجد العلماء أن مياه البحار تتمايز رأسيًا وأفقيًا، أي أن هناك فواصل تمتد في كل كيان البحر وأعماقه حتى تختلف البيئات المائية، وبذلك تتنوع الكائنات بداخل البحر، وحيث إنه بتلك الفواصل لا يستطيع الكائن الحي أن ينتقل إلى منطقة أخرى تختلف في ملوحتها وصفاتها ولو انتقل فإنه يموت، ولكن بفطرته لا ينتقل لأن هناك حاجزًا وحجرًا يمنعه من ذلك والحجر هو الحجز والمنع، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٥٣).

ومن اكتشافات العلماء أيضًا من عالم البحار، أن نسبة الماء على سطح الكرة الأرضية هو حوالي ٧١٪ من مساحة الكرة الأرضية، ومساحة اليابس حوالي ٢٩٪ والغريب أنه بمقارنة تلك النسبة، بنسبة المواد الصلبة إلى الماء في جسم الإنسان فهي نفس النسبة كذلك فإن تبخر مياه البحار يعمل على تنقيته مما علق به من مخلفات الكائنات والتلوثات التي يحدثها البشر، فدورة الماء تساعد على تنقية مياه البحار، وإلا لفسد الماء الموجود على سطح الكرة الأرضية في البحار، لولا عملية التجديد المستمرة

بأمر الله تعالى، ومن عظيم صنع الله أن الماء هو السائل الوحيد الذي تقل كثافته عندما يتجمد فيطفو الثلج فوق البحار ويحتفظ الماء بخواصه أسفل تلك الطبقة، وأي مادة غير الماء في حالة سيولتها تكون أقل كثافة من حالتها عند التجمد حيث تغوص في القاع عند تجمدها، ولكن لا يحدث ذلك بالنسبة للماء.

وهي من آثار رحمة الله حفاظًا على الكائنات الحية في أعماق البحار، بل وإن ذرات الثلج الباردة هذه تتجمع وتندفع لأعلى وتترك الماء خلفها دافئًا لا يقضي على الحياة أسفلها، كذلك ومن تسخير الله تعالى للبحر أن السفن تستطيع أن تخترق الجليد وتسير،والعجيب أن المراكب والسفن التي تسير بالموتورات العملاقة وبالفحم والبترول والمراكب الشراعية تتوقف في البحار لو سكنت الريح كما أشرنا سابقًا؛ لأن كل جهاز احتراق إذا انعدم الريح يتوقف تمامًا لأن الأكسجين الذي يوجد في الهواء والرياح له دورة في عمليات الاحتراق الداخلي، فهو وسيلة الاحتراق الموجودة في الجو يقول تعالى مشيرًا إلى ذلك: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (الشورى: ٣٣).

ومن الحقائق التي أشار إليها العلماء في عصرنا عن البحار أن البحار التي من حولنا كان ماؤها عذبًا وازدادت ملوحتها عن طريق دورة المياه، حيث ينزل ماء المطر عذبًا ثم يسقط على اليابسة فيذيب أملاح اليابسة لتذهب إلى البحار والمحيطات وتكرار هذه الدورة بمرور السنين منذ بداية الكون زاد في ملوحتها حتى وصلت لتلك الدرجة المناسبة لحياة الكائنات يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

وبرحمة الله تعالى يتبخر الماء نقيًا من الأملاح حتى يسقط على الأرض نقيًا منها ومن نعم الله على الإنسان أن ثاني أكسيد الكربون إذا زادت نسبته على سطح الأرض عن النسبة المفروضة تمتصه مياه البحار ليظل هناك التعادل باستمرار، ولكن لو زادت عملية الإفساد من الإنسان حيث مصانع حرق القمامة وأدخنة المصانع المختلفة، وعوادم السيارات التي تملأ مساحات كبيرة من الأرض التي نعيش عليها، والعادات السيئة من إلقاء المخلفات البترولية والآدمية في البحار، فبذلك يتم تلويث البحار وتلويث الغلاف الغازي للأرض، وتكون الأمطار الحمضية التي تؤثر على النباتات وبقية الكائنات على سطح الأرض يقول تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١).

وبالفعل يجد الإنسان الآن أن الرجوع إلى الطبيعة التي فطر الله عليها الكون هي الأصلح دائمًا لصحته ولبقاء الكائنات التي سخرها الله تعالى للإنسان لذلك نجد أن هناك محاولات للرجوع إلى طبيعة الأشياء بالصورة التي فطر الله عليها الكون بما يعود بالنفع دائمًا على كافة الكائنات الحية.

٥٤- الشمس ومصدر الطاقة:

أثبت العلم في عصرنا أن المادة والطاقة شيء واحد لذلك فإن تفجير قنبلة نووية يعني تحويل المادة فيها إلى طاقة، وبذلك تكون الطاقة والمادة شكلين لأمر واحد، والمعروف أن مصدر الطاقة بالنسبة لنا على الأرض هو الشمس، وفي كل ثانية تفقد الشمس من كتلتها على هيئة طاقة ما يعادل ٤٠٦ مليون طن في كل ثانية تنتشر في الكون وجزء من هذه الطاقة يصل إلى الأرض وفي طبقات الغلاف الغازي يتشتت حوالي ٤٩٪ من هذه الطاقة.

ويصل إلى الأرض حوالي ٥١٪ منها فتمتص الصخور جزءًا من تلك الطاقة، وعند غروب الشمس تعمل الصخور على إخراج هذه الطاقة لتدفئة الغلاف الغازي والأرض، ولولا هذه الخاصية لتجمدنا وتجمدت الحياة من حولنا بمجرد غياب الشمس، والجزء الآخر من هذه الطاقة يمتصها النبات، ولقد زود الله تعالى النبات بالقدرة على تحويل طاقة الشمس إلى روابط كيميائية، فالنبات يمتص غذاءه من أملاح الأرض، ويأخذ ثاني أكسيد الكربون وهو يحتوي على المادة الخضراء الكلوروفيل، ويقوم في وجود طاقة الشمس بعملية التمثيل الضوئي، وهي تحويل هذه الطاقة إلى طاقة كيميائية يكون بها سكريات ونشويات وبروتينات ودهنيات، ويتم اختزان طاقة الشمس في داخل تلك المركبات الكيميائية، وليس هذا لغير النبات.

ونحن نرى لذلك أن أغلب الزيوت تُستخرج من النباتات، كذلك نجد أن الأشجار الخضراء في نموها تكون هذا الجزع الخشبي الذي يُعتبر مصدرًا للوقود، وكذلك فإن الزيوت هي مصدر للطاقة، وكذلك فإن الشجر الأخضر إذا جف يتحول إلى خشب، أو قش أو تبن، وكل هذه مصادر للوقود والتي كان مصدرها الأول اختزان طاقة الشمس في صورة روابط كيميائية كون بها هذا الخشب وتلك الزيوت ومختلف الثمار التي هي مصدر الطاقة للإنسان، والخشب إذا جف وأُحرق بمعزل عن الهواء يتحول إلى فحم نباتي، وإذا دُفن تلقائيًا يتحول إلى فحم حجري، والفحم الحجري إذا زاد عليه الضغط والحرارة يتحول إلى غاز طبيعي، والنبات وهو أخضر إذا أكله الحيوان يفرز مواد فيها مصدر للطاقة، ونلاحظ هذا في الريف حيث يقومون بتجفيف هذا الروث الذي يُخرجه الحيوان ليكون مصدرًا للوقود، وإذا دُفن الحيوان الذي تغذى على هذا الشجر الأخضر بمعزل عن الهواء يتحول إلى بترول، وإذا زادت

درجة الحرارة يتحول إلى غاز طبيعي، أي أن الثروات البترولية في العالم أصلها كائنات حية مدفونة عبر آلاف السنين، وبذلك نجد أن كل مصادر النار أو كل مصادر الطاقة الناتجة وننتفع بها مصدرها على سطح الأرض هي الشمس، والذي يستطيع أن يحبس هذه الطاقة ويقدمها للإنسان هو الشجر الأخضر، والقرآن الكريم يشير لنا عن تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (يس: ٨٠).

ومما يثبت أيضًا أن الشجر الأخضر مصدرًا للطاقة أنه قديمًا كان ينبت لدى العرب في الصحراء شجرتان وهما المرخ والعفار، وكانوا إذا قاموا بتدليك فرعين من هاتين الشجرتين تنطلق شرارة كانوا يوقدون منها، ولقد لاحظ العلماء أن الصخور تحتفظ بجزء من طاقة الشمس، ومن خلال دراساتهم وجدوا أن درجة الحرارة تزداد درجة مئوية كل عمق ٣٠م وفي باطن الأرض حتى تصل إلى ٦٠٠٠ درجة مئوية في لُبِّ الأرض وهي نفس درجة حرارة الشمس، وهذا يثبت أن الأرض كانت في يوم من الأيام جزءًا من الشمس، مما يدعم نظرية الأصل الواحد للكون.

ولقد وجد العلماء أن الماء الذي يسقط في المناطق الغزيرة الأمطار يتسرب عبر مسام الصخور ويتخللها حتى يصل إلى مناطق حرارتها مرتفعة، فيسخن هذا الماء حتى يخرج منه البخار على هيئة نافورات بخارية شديدة الحرارة، ويحدث ذلك في بعض المناطق مثل ماليزيا، واليابان، وإندونيسيا، ولقد فكر العلماء في الاستفادة من هذا البخار الناتج من تلك الحرارة الشديدة عن طريق التكثيف إلى ماء عذب يُستخدم في الشرب، وفي الصناعة، والزراعة وغير ذلك، وبخاصة في المناطق الصحراوية، وذلك عن طريق حفر آبار يتصاعد فيها البخار ويمر في مواسير ملتوية، حيث يخرج البخار في

درجة حرارة حوالي ٤٠٠م وفي حالة من الضغط تصل إلى ٤٠ مرة ضعف الضغط الجوي، ثم يدخل على توربينات يتم بها توليد الكهرباء، وحين يُكشف هذا البخار يستخدم كماء عذب، فسبحان الذي قدر فهدى إلى ما ينفع الإنسان في كل زمان.

٥٥- شهادة العلماء الباحثين:

إن كل ما يكتشفه العلماء الباحثون في جميع المجالات يشهد بالوحدانية لله تعالى، وهم يعترفون بذلك كلما اكتشفوا من خلال بحثهم وتأملاتهم آية جديدة من آيات الله تعالى.

يقول (بيلفن) أحد علماء الغرب: الكون كله بنجومه التي لا حصر لها تندفع في جميع الاتجاهات كأنها شظايا قنبلة متفجرة والذي يبهر، هو رؤية هذا الكائن البشري الذي يعيش على شظية من شظايا نجم صغير في زاوية صغيرة من زوايا مجرة، لا تختلف شيئًا عن الملايين، من أمثالها من يجرؤ فيتحدى ثم يجرؤ فيحاول أن يعرف الكون.

ويقول سيكنا: لا يستطيع المرء أن يرفع بصره نحو السماوات العُلى إلا ويغضه إجلالًا ووقارًا، إذ يرى ملايين من النجوم الزاهرة الساطعة، ويراقب سيرها في أفلاكها وتنقلها في أبراجها وكل نجم، وكل كوكب، وكل سديم، وكل سيار، إنما هو دنيا قائمة بذاتها أكبر من الأرض وما عليها وما حولها، ولقد نظر هؤلاء العلماء في السماوات بواسطة أجهزة مكبرة تمكنهم من رؤية هذه النجوم على حقيقتها، وهم إذا نظروا إلى تلك النجوم مرة، فهم لا يملكون في الثانية إلا الوقوف إجلالًا ووقارًا وإحساسًا بالضعف أمام قدرة الله والنظر في ملكوته...

يقول تعالى في ذلك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣-٤).

ولقد وجد العلماء أن الجزء المدرك من الكون تحيط به درجة حرارة ثابتة مما يشير أن الكون نشأ نتيجة انفجار جرم عالي الكثافة، وفي ذلك يقول أحد علماء الفلك والذي يُرشح أن يكون في مستوى أينشتين لنبوغه في الكثير من الاكتشافات، أن من طبيعة الانفجار تناثر المادة بلا مقاييس ولكن انفجار يؤدي إلى كون به مدارات ثابتة وعلاقات ثابتة، وأجرام مختلفة تدور في أفلاكها بلا اختلال لا يمكن أن يكون إلا بتدبير متقن وإله خبير، وكما أشرنا من قبل إلى اكتشاف العلماء أن مياه البحار مختلفة التكوين، فهناك الماء العذب، والماء المالح، والمتوسط الملوحة، والوسط بين الملح والعذب.

وغير ذلك من الدرجات المتفاوتة في خصائص البحار، والعجيب أن هذه المياه تحتفظ بصفاتها المختلفة رغم اختلاط أجزاء البحار ببعضها، ويتعجب العالم الفرنسي وهو أحد علماء البحار من تلك الحقيقة، وهي أن الماء يعتبر أعظم مذيب، ومع ذلك لا تختلط المياه العذبة بالمالحة أو المالحة بالأقل ملوحة، ولقد ازداد تعجبه حين علم أنه البرزخ الذي أشار إليه الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩-٢٠).

وذلك حين علم أن تلك الإشارة أخبرنا بها الله تعالى منذ ألف وأربعمائة عام من قبل تجاربهم وأبحاثهم، ويشير العالم «يوشيدي كوزاي» أنهم صوروا نجومًا في السماء تتخلق من الدخان الكوني، وقد بدى النجم كتلة من الدخان في وسطها جزء مضيء

وله حافة حمراء دليل على ارتفاع درجة الحرارة، بعكس الضباب الذي يتصف بأنه بارد، وقد كانوا يعتقدون منذ سنوات أن أصل السماء هو الضباب وليس الدخان ولقد تعجب العالم حين أخبره العلماء المسلمون أن الله تعالى أشار إلى ذلك بوحيه إلى نبيه ﷺ في قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١).

قال: إن العلم لم يصل إلى هذه الحقيقة إلا منذ فترة بسيطة وذلك بواسطة أجهزة وتلسكوبات فلكية تكبر آلاف المرات عن العين المجردة، وبعد الصعود إلى الأفق البعيد بسفن الفضاء، إنَّ تعجب هؤلاء العلماء يأتي من خلال معرفتهم بأن تلك الحقائق قيلت منذ ألف وأربعمائة عام، حيث لم يكن هناك مثل هذه الأجهزة الحديثة، مما يثبت لهم وبلا أدنى شك أن ما جاء به النبي ﷺ هو الوحي من السماء.

٥٦- وصف انشقاق السماء بالوردة:

لقد أخبرنا الله تعالى بأن السماء حين تنشق يوم القيامة سوف تشبه الوردة في مظهرها وذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ (الرحمن: ٣٧).

ولفظ وردة يفيد أنها سوف تشبه الوردة في مظهرها، واللفظ التشبيهي كالدهان يفيد أنها تكون محمرة كالأديم الأحمر، ويكون ذلك حين يطوي الله تعالى السماء بما تحتويه من النجوم والكواكب فتتجمع كلها في جرم واحد ثم انشقاقها، حيث تُبدل الأرض غير الأرض والسماوات ليكون العرض على الله تعالى يوم الحساب، ولقد وجد العلماء أن هذا الوصف ينطبق على ما يحدث عند انفجار أي جرم في السماء، حيث ينفجر وتخرج منه ألسنة من اللهب فيصير كالوردة التي تتفتح تمامًا.

حيث يتحول قلبه وأطرافه إلى اللون الأحمر، وتكون ألسنة النار المنبعثة شكلًا يشبه تمامًا الوردة في مظهرها ولونها، فسبحان الله العليم الخبير، ولقد عرض الدكتور زغلول النجار، وهو من أبرز علماء الجيولوجيا وعلوم الأرض في أحد البرامج المرئية صورة لجرم سماوي في حالة الانفجار، فكانت الصورة مطابقة تمامًا لشكل الوردة من حيث تعرجات أطرافها المتمثلة في ألسنة اللهب، واحمرار لونها لارتفاع درجة الحرارة.

٥٧- تباعد النجوم والأصل الواحد للكون:

إن علماء الفلك توصلوا إلى حقائق كونية كثيرة بفضل الله وتوفيقه ليرى البشر آيات الله في الآفاق كما وعد الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فُصِّلَتْ :٥٣).

ولقد استنتج العلماء أن الكون الذي نعيش فيه نتيجة انفجار نجم عالي الكثافة، والدليل على ذلك أن النجوم تتباعد عن بعضها بسرعات هائلة، فالإنسان لا يمكن أن يرى النجم على الإطلاق، ولكن الذي نراه هو موقع النجم وآثار الضوء،فالإنسان لا يمكن أن يرى النجم بذاته بل يرى موقعه في السماء وآثار ضوئه وإلا فقد الإنسان بصره، لذلك أقسم الله تعالى بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الْوَاقِعَةِ :٧٥-٧٦).

وبالنسبة لسرعة النجوم التي تتباعد بسرعة قد تصل إلى ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية فإن هذا التباعد والاتساع يصفه الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذَّارِيَاتِ :٤٧).

ويعلل العلماء هذا التباعد بأنه تغلب القوة الدافعة إلى الخارج على قوى الجاذبية بين النجوم وذلك نتيجة للانفجار الهائل الذي بدأ به الجرم الابتدائي في بداية الكون،

والذي يثبت أن أصل الكون واحد، حيث إن كل هذه النجوم والكواكب التي تسبح في السماء نشأت من انفجار هذا الجرم عالي الكثافة، والدليل على ذلك أنهم أخذوا عينات من تربة القمر فوجدوها من نفس عناصر تربة الأرض وكذلك وجدوا بقية الأفلاك كلها من عناصر واحدة، كذلك تشابه النباتات على سواحل البحار يثبت أن التربة واحدة حيث كان الكون كتلة واحدة قبل الانفجار ويشير الله تعالى لذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ ﴾ (الأنبياء:٣٠).

ويضيف علماء الجيولوجيا نظرية يقولون فيها إن الكون لا يمكن أن يستمر للنهاية بهذا الاتساع فقوة الدفع الناتجة عن الانفتاق الأول لابد وأن تقل لأن الجاذبية بين النجوم تبطئ من هذا الاندفاع، وحين تضعف القوة الدافعة للخارج، وتتغلب الجاذبية وهي اللامة للداخل يحدث التلاقي، وتتلاقى النجوم والمجرات والكواكب مرة أخرى في جرم واحد وهو الذي انفجر في بداية الخلق وكأنها إعادة للخلق والله تعالى يؤيد ذلك في قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ ﴾ (الأنبياء:١٠٤).

ويضيف العلماء أن هذا الكوكب سوف يتكدس على ذاته بدرجة كبيرة لتجمع كل النجوم والكواكب فيه، وسوف تعلو كثافته وينفجر مرة أخرى وتنشأ منه كما حدث للجرم الأول أرض أخرى ،وسماوات جديدة، وتلك النظرية يؤكدها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (إبراهيم:٤٨).

إنه إبداع القدرة وإلهام الخالق لبني البشر ليروا آيات الله فيعرفوا أن دين الإسلام هو الدين الحق، وهو طريق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

٥٨- خلق ما لا نعلم ومحو آية الليل:

أخبرنا الله تعالى منذ ألف وأربعمائة عام أنه سيخلق لنا السيارات، والقطارات والطائرات، وغير ذلك ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٨).

والآية تعني خلق ما لم يعلم الإنسان في العصور السابقة من هذه المواصلات التي لا يعرفها، كذلك كل ما يراه الإنسان من وسائل مواصلات جديدة لم تكن في العصر الذي قبله... إن كل ما يخلقه الله تعالى يكون لحكمة ولخدمة البشرية، ومن حكمة الله تعالى تلك المسافة المناسبة بين القمر والأرض، فلو اقترب القمر من الأرض أكثر من ذلك لأغرق المد سطح اليابسة كلها، ولغرقت القرى والمدن، حيث إن حركة المد هي الناتجة من جذب القمر للأرض لوجود قوى الجاذبية بينهما، وجذب القمر للماء أكبر من جذبه لليابسة كلها، وينتج لذلك حركة المياه المعتادة حيث يرتفع سطح المياه في عملية تسمى المد وتنخفض في عملية تسمى الجذر، ومن حكمة الله تعالى أنه زود الأرض بحزامين يحيطان بها من كل جهة يرقان عند القطبين، والحكمة من ذلك أنهما يردان عنا الأشعة الكونية المهلكة، هذه الأشعة حين ترتطم بالغلاف الغازي للأرض تجعله يشتعل ويضيء لذلك فهذه الأشعة تنير عند القطبين لضعف هذين الحزامين في تلك المنطقة ورقتهما، ولو لم يوجد هذان الحزامان لظل الليل مضيئًا باستمرار بسبب تفاعل تلك الأشعة مع الغلاف الغازي للأرض، لذلك فالمناطق القريبة من القطبين يرى الناس فيها في منتصف الليل إضاءة تفوق إضاءة الفجر الساطع.

وسميت هذه المشاهدة بظاهرة الفجر القطبي، ويرى العلماء أن هذين الحزامين لم يكونا موجودين عند بدء الخلق، ولكنهما تكونا على مراحل طويلة بفضل الله تعالى رحمة

بالخلق عندما خلق الإنسان حماية له وللحياة على سطح الأرض من خطر الأشعة الضارة[١]، ولقد كان ليل الأرض كله يضيء بظاهرة الفجر القطبي قبل تكوين حزامي الإشعاع، ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص:٧٢).

ويقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء:١٢).

والآية معناها: هي الشيء الجلي الواضح المنير، فآية النهار هي الضوء الواضح الذي نتمتع به طوال النهار، وآية الليل كانت هي الإضاءة المستمرة التي كانت موجودة قبل تكوين حزامي الإشعاع والتي محاها الله تعالى بخلق هذين الحزامين، لذلك يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء:١٢).

حتى يكون هناك تبادل بين الليل والنهار، وليستريح الإنسان بعد عناء العمل بالنهار، ويعلم عدد السنين والحساب... إن كل ما أخبر به العلماء للقرآن الكريم السبق في الإشارة له، فهناك لم تزل جبال فيها البيوت التي كان ينحتها قوم عاد في تلك الجبال، وهناك لم يزل هذا الردم النحاسي الذي صنعه ذو القرنين، وهناك لم يزل مكان أهل الكهف، وقبور الأنبياء، وقبور الصحابة، وقبر النبي ﷺ ونجد ذلك من

(١) «الإعجاز العلمي في القرآن» الدكتور/ زغلول النجار في شرح ظاهرة الفجر القطبي.

الحقائق والآثار التي يعرفها من يطالعون الصحف الإسلامية، أو يزورون تلك الأماكن، فليشعر كل مسلم بالعزة والقوة والأمان لأنه يؤمن بهذا الكتاب الحق، ودستور النور للبشرية كلها..القرآن الكريم.

٥٩- رحمة الله في إمساك السماء:

إن بالسماء نجومًا قد تصل أعدادها إلى حبات الرمال على شواطئ البحار، ومنها ما يفوق الأرض والشمس حجمًا بمئات المرات... ولولا رحمة الله تعالى لوقعت السماء على الأرض بما تحتويه من تلك النجوم الهائلة وأهلكت الحرث والنسل.

ومن رحمة الله تعالى تلك النيازك التي تسقط على الأرض في الصحاري البعيدة بعيدًا عن المناطق الآهلة بالسكان، وهي تزود الأرض بما تفقده من معدن الحديد بسبب استهلاك الإنسان لهذا المعدن في أمور معيشته، وحتى تظل الأرض محتفظة بمجالها المغناطيسي، بوجود معدن الحديد في باطنها، والنيازك هذه أو الكسف، هي حجارة سماوية كبيرة الحجم ضخمة الجرم تسقط من الغلاف الجوي وتخترقه إلى سطح الأرض، يقول تعالى في ذلك: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

(سبأ: ٩)

ويقول سبحانه: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ (الحج: ٦٥).

وفي إحدى المناطق الصحراوية بمنطقة تسمى الأريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية تنقل الأخبار التاريخية عن سقوط نيزك احدث فجوة في الأرض عرضها ٤٢٨٠ قدمًا وعمقها ٦٠٠ قدم، وهناك العديد من الفوهات والفجوات والحفائر العميقة على كوكب الأرض في المناطق النائية، ومنذ فترة قريبة سقطت مجموعة من النيازك أو الكسف على سيبريا.

وهي المنطقة التابعة لجمهورية روسيا، فذهب ضحية ذلك ألف وخمسمائة شخص، وتقصفت الأشجار على مساحة مائة ألف ميل مربع تقريبًا وسمع الناس دويًا هائلًا على بعد أربعمائة ميل نتيجة هذا الارتطام فسبحان القادر على أن يسقط علينا كسفًا من السماء بذنوبنا فيهلكنا جميعًا ولكنه الغفور الرحيم.

٦٠- مغرب الشمس والعين الحمئة:

لقد أثبتت العلوم الحديثة الكثير من الحقائق والمعلومات التي لم يكن يُعرف عنها شيء من قبل كتباعد النجوم، واتساع الكون والنجوم الطارقة، والكانسة، والمراحل التي تمر بها النجوم من الانكدار، والطمس، وظلمات البحار، واكتشاف البرزخ، وغير ذلك من الحقائق المطابقة للقرآن والسنة النبوية... كذلك لقد اكتشف العلماء نافورات الماء الساخن الموجودة في بعض أطراف وبقع الدائرة القطبية الشمالية[(١)]، وهي عيون من الماء الحار تتصف بها تلك الأماكن ويخبرنا الله تعالى عنها في قوله تعالى عند الحديث عن ذي القرنين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾ (الكهف: ٨٦).

٦١- الليل وإغشاء الشمس:

اكتشف العلماء أن الليل الدامس بظلمته الحالكة يمتد في كل الفضاء ليغشى كل الأجرام حتى أنه يغشى الشمس ذاتها، وهي مصدر الضياء، ولقد رآها رواد الفضاء على حقيقتها بعد عبور مسافة الضوء وهي ٢٠٠كم ابتداءً من سطح الأرض، فكانت كقرص أزرق في صفحة سوداء، ووجد العلماء أن وهج الشمس لا يرى ضوءًا إلا بعد عبور طبقات معينة في الغلاف الجوي تحتوي بخار الماء، وجزيئات الغبار العالق،

(١) «الله والعلم الحديث» عبد الرازق نوفل، وملخص مجموعة أبحاث علمية عن تلك الحقيقة.

والذي يشتت طاقة الشمس إلى ضوء النهار كما أشرنا سابقًا، ولقد أشار الله تعالى إلى تلك الحقيقة التي لم يكتشفها العلماء إلا قريبًا بعد ارتياد الفضاء، حيث يسيطر الليل في الفضاء الكوني بعد طبقة النهار على كل شيء حتى على الشمس ذاتها قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ (الشمس:١-٤).

ويصف الله تعالى الظلمة الشديدة في السماء في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ ﴾ (النازعات:٢٨-٢٩).

وهناك دليل قرآني آخر يثبت أن الليل في الظلام الكوني يستر كل شيء قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ (النبأ:١٠).

٦٢- حقيقة الحجر الأسود:

لقد أثبت أحد علماء بريطانيا أن الحجر الأسود ليس حجرًا أرضيًا، حيث إنه حصل على عينة منه ليجري عليها أبحاثه المعملية، ليعرف السر وراء تقبيل المسلمين لهذا الحجر واهتمامهم به في مناسك الحج، ولقد اعترف هذا العالم بأن عناصره تختلف تمامًا عن عناصر تكوين الأرض، فهو يحتوي على عناصر غريبة تثبت أنه ليس من الأحجار الأرضية، ولقد وردت الأحاديث عن النبي ﷺ والتي تشير إلى تلك الحقيقة، وأن هذا الحجر قد أُنزل من السماء وهو من أحجار الجنة.

ولقد أخبرنا ﷺ عن الجنة وأن ملاطها المسك وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ والياقوت[1]، وبالفعل من يقترب من هذا الحجر حتى الآن يشم

(١) جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا.

رائحة المسك الطيبة، ولقد نشر هذا العالم البريطاني[١] تلك الحقيقة في أحد الكتب العلمية التي قام بنشرها عن أبحاثه الجيولوجية في لندن ١٩٥٦ ميلادية.

٦٣- الميزان الإلهي في صنع الأرض:

اكتشف العلماء في عصرنا دوران الأرض وحركتها الدائمة حول نفسها وحول الشمس، ويسأل الإنسان أحيانًا نفسه: لماذا لا نتأثر نحن سكان الأرض بدورانها؟ والجواب هو أن الأرض تدور بسرعة شديدة يُقدرها العلماء بألف ميل في الساعة الواحدة، ويمثل العلماء وجودنا عليها بمثل حصاة موضوعه على محيط عجلة تدور بسرعة مذهلة، وتوشك الأرض أن تقذف بنا في الفضاء لولا أن الله تعالى المقدر لكل شيء جعل نعمة الجاذبية الأرضية تجعل الأرض لا تقذفنا بعيدًا بل تجذبنا نحوها بقوة.

والعجيب أن حجم الأرض ومكانها المناسب بالنسبة للشمس هو بالفعل ما يناسب حياة الكائنات على سطحها، فلو كانت الكرة الأرضية مثلًا أصغر من حجمها الحالي، أي مثل حجم القمر، لتغيرت جاذبيتها وأصبحت سدس جاذبيتها الحالية، وبذلك يستحيل أن تُمسك الماء والهواء من حولها، فسوف يبتعد الهواء عن مجالها إلى الفضاء الكوني البعيد وتنسكب مياه البحار والمحيطات بعيدًا عن مجاريها الحالية، وهروب الهواء منها سيكون نتيجته شدة حرارتها نهارًا حتى يحترق كل ما عليها وبرودتها ليلًا حتى يتجمد كل ما فيها.

وعلى العكس من ذلك فلو أن حجم الأرض أكبر من حجمها الآن وكان قطرها ضعف قطرها الحالي لتضاعفت جاذبيتها وبذلك ينكمش غلافها الجوي وهو الذي يبعد

---

(١) بحث جيولوجي، نشره العالم البريطاني في لندن عن حقيقة الحجر الأسود.

عنا حوالي خمسمائة ميل إلى ما دون ذلك فإن بانكماشه سوف يقترب من الأرض وبذلك يرتفع الضغط الجوي على الأرض، وبذلك تتأثر حياة الكائنات الموجودة عليها فلو أن الأرض وصل حجمها مثل حجم الشمس مثلًا لصارت قوة جاذبيتها أقوى مما هي عليه الآن بمائة وخمسين مرة، وبذلك يقترب الغلاف الجوي نتيجة الجاذبية الأرضية الشديدة حتى يقترب بدلًا من خمسمائة ميل إلى أربعة أميال فقط على سطحها، فبدلًا من أن يكون خمسة عشر رطلًا لكل بوصة مربعة فإنه سيصبح طنًا واحدًا لكل بوصة مربعة، وبذلك يُضغط حجم الإنسان ويهبط من حجمه الحالي إلى حجم فأر كبير[(١)]، وهذا ما يستحيل معه وجود المخ في الإنسان الذي يقتضي وجوده حجمًا معينًا يتناسب مع وظائفه الحالية بالإضافة إلى اختلال ضغط الدم في جسم الإنسان، كذلك لو أن الغلاف الجوي للأرض أقل سمكًا مما هو عليه الآن لاخترقت النيازك والشهب الثقيلة والملتهبة كل يوم غلاف الأرض وبذلك تظل الأرض مهبطًا للأجرام السماوية فتظل مضيئة ليلًا ونهارًا نتيجة الوهج الناتج عن تفاعل تلك الشهب مع الغلاف الجوي واختراقه.

كذلك فإن الجبال تثبت الأرض، حيث إن أسفلها طبقة منصهرة تسمى الوشاح السائل، ينشأ عنها ضغوط وحركة في ألواح الأرض الصخرية، والجبال بدورها تثبت قشرة الأرض، وتجعلها لا تميد ولا تتحرك، كذلك لو اقترب القمر من الأرض أكثر مما هو عليه الآن لتمكن من جذب الغلاف المائي فيرتفع منسوب المياه في البحار حتى يُغرق المد سطح اليابسة كلها، ولكن ارتفاع منسوب المياه الآن بظاهرة المد التي نعرفها هو نتيجة الجذب المحدود من القمر للغلاف المائي، إنه تقدير الله العليم الخبير، والمالك للسماوات والأرض يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

---

(١) «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان [ص: ٥٦].

٦٤- تمهيد الأرض وإبداع الخالق:

إن رحمة الله تعالى تتجلى في جعل الأرض صالحة للعمران، وفي خلق الإنسان بعد دحو الأرض وبسطها، وإخراج ما يحتاجه الإنسان من الماء والغذاء، ويشير العلماء في عصرنا بأن تضاريس الأرض الحالية هي نتيجة صراع طويل بين العمليات الداخلية البانية، والعمليات الخارجية الهدمية، والتي استغرقت حوالي الخمسة بلايين من السنين بمقاييس البشر، وتشير الدراسات الحديثة للأرض إلى أن هذا الكوكب بدأ على هيئة كومة من الرماد والسيليكون ثم رُجم بوابل من النيازك الحديدية التي تحركت إلى قلبه بحكم كثافتها العالية فانصهرت، وساعدت على صهر كومة الرماد تلك وعلى تمايزها إلى سبع أرضين، لب صلب داخلي أغلبه الحديد والنيكل يليه إلى الخارج لب سائل يغلب على تركيبه أيضًا الحديد والنيكل، ثم أربعة أوشحة متمايزة تقل كثافتها، كما تتناقص نسبة الحديد فيها باستمرار من الداخل إلى الخارج، ثم الغلاف الصخري للأرض، ومع تبرد قشرة الأرض وتيبسها، ومع بدء الأنشطة البركانية العنيفة فيها تصاعدت الغازات والأبخرة التي كونت غلافها الغازي والمائي، كما تصاعدت الطفوح والحمم والأجزاء الصخرية البركانية التي جددت الغلاف الصخري للأرض، وهي مرحلة دحو الأرض، وإخراج الماء والمرعى بتصاعد الغازات الهامة كثاني أكسيد الكربون الهام في عملية البناء الضوئي، وبتكون الغلاف المائي للأرض أحيط كوكبنا بمحيط غامر غطى سطحه بالكامل، وتحت مياه هذا المحيط الغامر بدأت عمليات التصدع في تمزيق قاعة إلى عدد من الألواح التي بدأت في التحرك متباعدة عن بعضها البعض أو منزلقة عبر بعضها البعض في حركة ديناميكية ساعدها دوران الأرض حول محورها، وتدفق الصهارة الصخرية والحمم البركانية عبر صدوع القاع في هذا المحيط الغامر، وتيارات الحمل في نطاق الضعف الأرضي من تحتها.

وبنمو تلك الجزر البركانية والتحامها مع بعضها تكونت القارة الأم التي طفت بصخورها الخفيفة نسبيًا فوق قاع المحيط الغامر الذي تكون من الصخور البازلتية الأعلى كثافة، وبتكرار تصادم الألواح الصخرية في قاع المحيط تكونت السلاسل الجبلية التي ألصقت بحواف تلك القارة بالتدريج، لتضيف إلى مساحتها مساحات جديدة وتبطئ من حركتها التي بدأت سريعة، وبارتفاع الحرارة تحت أحزمة محددة من الكتلة القارية الأولى بسبب التحلل النووي للعناصر المشعة فيها تكون ما يسمى بالنطاق الحار، وباندفاع تيارات الحمل في نطاق الضعف الأرضي تفتت تلك القارة إلى عدة قارات وبدأت الحركات الداخلية للأرض في دفع تلك القارات للتباعد أو التقارب من بعضها البعض.

وكذلك ساهمت تلك الحركات في دفع الألواح الصخرية المكونة لقيعان المحيطات لتتباعد عن بعضها لتتحقق بذلك ظاهرة توسع قيعان البحار والمحيطات، وباصطدام تلك الألواح الصخرية بكتل القارات تتكون السلاسل الجبلية باستمرار، ولا تتوقف هذه الحركات الأرضية العنيفة إلا باصطدام قارتين بعد تلاشي قاع المحيط الذي كان يفصل بينهما وباصطدامهما تتكون أعلى السلاسل الجبلية كما حدث عند اصطدام الهند بالقارة الأسيوية، وحين ينغلق محيط من المحيطات باصطدام قارتين كانتا مفصولتين عن بعضهما البعض، فقد تنقسم قارة من القارات بواسطة تصدع في أحد أجزائها فيتحول إلى غور عميق أو وادي خسيف أو بحر طولي شبيه بالبحر الأحمر، ويستمر نشاط اتساع القاع في هذا البحر حتى يتحول إلى محيط كالذي تم غلقه، وتأتي المياه إلى هذا الغور أو الوادي عن طريق انخفاض منسوبه عن منسوب مياه البحار والمحيطات من حوله فتندفع المياه فيه حتى يتحول إلى بحر كما أشرنا، ومن ذلك نجد أن القارات تبدأ بسلاسل من الجبال شديدة الوعورة قاسية التضاريس لا تصلح

لزراعة ولا لصناعة أو انتقال أو عمران ثم يسخر الله تعالى العمليات الجوية والبيئية المختلفة حيث عوامل التعرية، والترسيب بواسطة كل من الرياح والمياه والجاذبية الأرضية والتي تساعد في تحويل الأحزمة الجبلية المعقدة إلى تلال متوسطة الارتفاع يتم بريها إلى سهول منبسطة مع الزمن، وكما يتم شقها بواسطة أودية تجري فيها الأنهار وتحمل رسوبيتها إلى السهول والمنخفضات ثم إلى أعماق البحار التي تصب فيها، وهناك أيضًا دور الصخور التي تؤثر فيها عوامل التعرية والبري، والتآكل، فتعمل على تسوية الأرض، وتمهيدها وشق السبل، وتكوين التربة الصالحة للزراعة والإنبات، حيث يتحول البازلت الموجود في الصخور إلى طمي وتربة خصبة بها نسبة عالية من الأملاح المعدنية، وكذلك تزويد البحار والمحيطات بالأملاح اللازمة لحفظ مياهها من الفساد، وهكذا تظل عمليات تعرية الصخور حتى تتحول المناطق شديدة التضاريس إلى سهول، وهكذا تتكرر الدورة وتتكون أنواع الرسوبيات المختلفة، وكلما ضعفت قشرة الأرض نتيجة عوامل التعرية، أو تأثرها بالتعرض لأحمال زائدة، فينتج عن ذلك تحرك وزن مكافئ من الصهارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي تحت نفس المنطقة وتسمى الأولى بالتضاغط الأرضي، والثانية بالارتداد التضاغطي، وهكذا تظل عمليات الاتزان الأرضي مستمرة مع عمليات التعرية طوال دورات البناء، ومن العجيب توقف عمليات التعرية حين يصل سطح الأرض إلى مستوى سطح البحر، وقد يرتفع منسوب المياه ويزحف إلى الأرض نتيجة الظواهر الجوية المختلفة وهكذا حتى أصبحت الأرض صالحة للعمران ممهدة وتحتوي على تربة خصبة صالحة للزراعة وملائمة لحياة الإنسان، ولقد ظلت تضاريس الأرض عبر ملايين السنين تعتريها عمليات البناء.

والهدم منذ اللحظة الأولى لنشأتها حيث تأثرت بعوامل الهدم الخارجية من رياح ومياه جارية، وعمليات المد والجزر، وأعمال الكائنات الحية والنباتات التي خلقها الله تعالى، والتي ساهمت بقاياها في إثراء باطن الأرض بمختلف المواد البترولية والوقود الذي يحتاجه الإنسان، والتي تترسب على مر الزمن في صورة الرسوبيات أو الصخور الرسوبية.

ولقد ساهم كل ذلك في جعل الأرض صالحة للعمران وصالحة للإنبات لينتفع الإنسان بخيراتها، ولقد تمت عمليات تسوية الأرض ودحوها لجعلها صالحة للعمران على فترات زمنية يعلمها الله تعالى ولقد استهلكت من الطاقة والوقت ما لا تستطيع البشرية مجتمعة عبر عصور وجودها على هذا الكوكب وبكل ما جمعت من قوة وثروات أن تقوم بالوفاء بتكلفته، إنه التمهيد الرباني والإبداع الإلهي، والقوة التي لا يمكن لبشر أن يمتلكها لإجراء تلك التسوية، يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ (الذاريات:٤٨).

٦٥- تدبير الخالق وتصريف الرياح:

لقد وجد العلماء أن الرياح التي تتحرك من حولنا أو الهواء الذي يختلف من النسيم، إلى العواصف الشديدة، لم يتحرك هكذا دون تصريف أو تدبير، حيث تتأثر الرياح بالجاذبية الأرضية، والاحتكاك بسطح الأرض، والضغط الجوي، وفي الطبقات العليا تتأثر الرياح بالكهربية الجوية، والمغناطيسية، وعمليات المد والجزر الهوائيين وتُقسم الرياح بالنسبة إلى ارتفاعها عن سطح الأرض إلى:

١- رياح سطحية تمتد من مستوى سطح البحر بضعة كيلو مترات قليلة فوقه.

٢- رياح متوسطة وتمتد فوق الرياح السطحية إلى ارتفاع ٣٥ كم فوق سطح البحر.

٣- رياح مرتفعة تمتد من ٢٥ كم إلى ٦٥ كم فوق سطح البحر، والنوع الأول القريب من سطح الأرض، وهو الرياح السطحية ينقسم حسب شدته إلى هواء ساكن، ثم ريح خفيفة يصفها الله تعالى بالريح الساكن، ثم هناك نسيم عليل، ونسيم رقيق ونسيم معتدل، ونسيم منعش.

ويصفها الله تعالى بالريح الطيبة، ثم هناك النسيم الشديد وشبه الزوبعة، والزوبعة أو الريح الهوجاء ويسميها الله تعالى بالريح العاصف، وفي تصنيف العلماء[١] هناك الزوبعة الشديدة والعاصفة، والعاصفة المدمرة، والإعصار، ويسميها الله تعالى بالريح القاصف يقول تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ (الإسراء:٦٩).

وتتأثر الرياح عند توزيعها وتصريفها بالمناطق ذات المناخ الاستوائي والمناطق ذات المناخ المعتدل الرطب والمناطق ذات المناخ الجاف كالصحاري، والمناطق ذات المناخ البارد الرطب، والمناطق ذات المناخ القطبي، والمناطق ذات الجبال والمرتفعات وبذلك تصرف الرياح المختلفة شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا منحرفة ومستقيمة، دافئة وباردة بتدبير الله تعالى وفق تصميمه في هذا الكون المليء بالإبداع، ولقد جعل الله سبحانه حركة الرياح تتأثر بحركة الأرض حول محورها أمام الشمس حيث تتدفق التيارات الهوائية الساخنة من المناطق الاستوائية في اتجاه القطبين، وتدفق التيارات الباردة من القطبين في اتجاه المناطق الاستوائية فيكون الناتج موجات هوائية دافئة ورطبة ترتفع إلى أعلى، وبعضها باردة، وجافة، ومتوسطة، تهبط إلى أسفل، وبذلك فإن فرق درجات الحرارة والتضاريس على سطح الأرض كالجبال، والتلال، والهضاب،

---

(١) انظر: «سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة»، الشيخ عبد المجيد الزنداني في تصنيف الرياح ووصف الظواهر الجوية.

ودوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق والذي يؤدي إلى دفع الهواء المحيط بالمنطقة الاستوائية في اتجاه الغرب، والهواء المتحرك في اتجاه القطب ينحرف تبعًا للعزم الزاوي للهواء ناحية الشرق، وهكذا يختلف تصريف الرياح بما ينفع البشر بقدرة الله الذي يصرفها بعلمه؛ حيث عن طريقها تتكون السحب، وينزل المطر في فصوله المناسبة وتساعد الرياح في تفتيت الصخور بعوامل التعرية، وبذلك تتكون التربة المختلفة وتعمل الرياح أيضًا على تنقية الجو وتطهيره، ولقد أدرك العلماء في عصرنا وبعد دراسات كثيرة أن الرياح لا تتحرك وتتنوع بذاتها ولكن بتدبير وتصريف وإبداع يقول تعالى: ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (الجاثية:٥).

٦٦- خلق الظلمات والنور:

تحدثت مراكز الفضاء في عصرنا عن حقيقة توسع الكون في مطلع القرن العشرين واستنتج العلماء أن كوننا بدأ خلقه من نقطة متناهية الصغر، حيث تتكدس المادة والطاقة فيها إلى أعلى درجة، وأن هذه النقطة انفجرت فتحولت إلى سحابة من الدخان خُلقت منها السماوات والأرض، مع توسع الكون ثم تبرده من مئات البلايين من الدرجات المطلقة إلى حوالي ثلاث درجات مطلقة تقاس اليوم على جميع أطراف الجزء المدرك من الكون أو السماء الدنيا، ولقد تكونت المادة ومختلف صور الطاقة بعد ذلك على مراحل منها:

عصر الكواركات والجليونات:

وقد استمر لجزء من مائة ألف مليون جزء من الثانية بعد عملية الانفجار العظيم وفيها خلقت اللبنات الأولى للمادة وأضدادها من الدخان الكوني، وفيها انفصلت القوة الشديدة عن القوة الكهربية الضعيفة.

عصر اللبتونات:

وقد استمر إلى جزء من مليون جزء من الثانية، وفيه تميزت الإليكترونات والنيوترونات وأضدادها عن الكواركات، وانفصلت القوة الكهربية الضعيفة.

عصر النيوكليونات وأضدادها:

وقد استمرت إلى ٢٢٥ ثانية بعد عملية الانفجار، وفيه تم تكوين البروتونات ونقائضها والنيوترونات ونقائضها.

عصر تخلق نوى ذرات العناصر:

وفيه تم الاندماج النووي، وتكونت نوى ذرات الهيليوم الناتجة من اتحاد نوى ذرات الأيدروجين، ثم بعد ذلك عصر تخلق الأيونات، وفيه تكونت أيونات كل من غازي الأيدروجين والهليوم، واستمر الكون في الاتساع والتبرد ، ثم تلي ذلك عصر تخلق الذرات، وفيه تكونت ذرات العناصر وترابطت بقوى الجاذبية، وأصبح الكون شفافًا بعد أن كان دخانًا كثيفًا مظلمًا وامتد في الفترة من عشرة ترليونات ثانية إلى ألف ترليون ثانية بعد عملية الانفجار، ثم تلي ذلك عصر تخلق النجوم المستعرات وغير ذلك من العناصر وذلك من نحو عشرة بلايين من السنين، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت :١١).

وقد تدرج الكون في الظلمات حتى تحول إلى النور والشفافية فهناك:

الظلمة الأولية للكون: وقد تميزت بالكثافة العالية لمادة الكون الأولى وهي الدخان وتميزت بالعتمة الكاملة والإظلام التام.

الظلمة الحالية للكون: وهي أن النجوم بدأت في إرسال أضوائها إلى فسحة السماء ولكن أغلب تلك الأضواء هي أشعة غير مرئية كالأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية والسينية وأشعة جاما، لذلك فإن أغلب الكون ظلام، ولا يرى الضوء إلا في المسافة المعروفة وهي ٢٠٠كم بداية من سطح الأرض وحتى الغلاف الجوي.

ظلمة أعماق البحار والمحيطات: حيث تنفذ أشعة الشمس إلى داخل كتلة الماء وتتعرض لعمليات عديدة من الانكسار، وكلما زاد العمق كانت الظلمة أشد، حيث تمتص أطياف الضوء بالتدرج حسب أطوال موجاتها بدءًا بالأحمر، وانتهاءً بالبنفسجي ولقد اكتشف العلماء نوعًا من الموج العميق يحول دون وصول الضوء عند عمق معين إلى قاع البحار يقول تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (النور: ٤٠).

وهناك ظلمات الأرحام، وظلمة القبر، وغير ذلك من أنواع الظلمات، والتي نرى تعددها، وأما النور فهو مفرد غير متعدد تبدو به الحقائق، وقد أشار الله تعالى لذلك وجمع كلمة الظلمة، وجعل النور مفردًا وذلك قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١)

٦٧- آيات بينات:

إن الكعبة المشرفة بها الكثير من الآيات البينات منها أن أفئدة من الناس تهوي إليها، ومن يذهب بالفعل يتعلق فؤاده بالرجوع إليها مرة ثانية، كذلك فإن الطيور لا تحط عليها ولا تُلقي فضلاتها عليها، ولا تمر من فوقها ولكن تمر حولها، وكذلك فإن الطيور الجارحة لا تختلط بالطيور حول الكعبة وترجع عند الوصول إليها، كذلك فإن جبل مزدلفة رغم أنه مرتفع صغير ويرجم الناس من حصاه منذ بدأت أعمال الحج

وحتى وقتنا هذا وهو لا ينفد، ولقد وجد العلماء وثبت لهم في منتصف الستينات من القرن العشرين أن أرضنا في مرحلة من مراحل خلقها كانت مغمورة بالماء غمرًا كاملًا لم يدع منها شيئًا مكشوفًا من اليابسة حيث أن ٣/ ٤ مساحة الكرة الأرضية ماء يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٧).

ثم حدثت ثورة بركانية ظلت تلقي بحممها والتي تراكمت فوق بعضها وكونت سلسلة جبلية وسط هذا المحيط، وظلت تنمو تلك السلسلة حتى كونت أول جزء من أجزاء اليابسة على هيئة جزيرة بركانية، ثم بدأت في النمو حتى كونت القارة الأم، وشاءت إرادة الله أن يقسم تلك القارة بواسطة الصدوع العميقة والحركات الأرضية، وتحولت إلى القارات السبع الحالية.

ومع ظاهرة تزحزح القارات وصلت إلى مواقعها التي هي عليها اليوم، ويعرف العلماء تحول المحيط المائي إلى اليابسة بواسطة الثورات البركانية المتكررة فتتكون الجزر البركانية المرتفعة التي تنمو فتتحول إلى قارة ثم بواسطة تصدع وخسف أجزاء من تلك القارة تنفصل إلى كتلتين متوازيتين يفصلهما بحر طولي شبيه بالبحر الأحمر، يظل يتسع باستمرار حتى يتحول إلى محيط ويخبرنا ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام بقوله «**كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض**». وبذلك تكون الصخور أسفل الكعبة من أقدم الصخور، وقد أثبت العلماء أنها صخور من نوع خاص تقاوم الزلازل، وكذلك فإن مكة المكرمة هي مركز دائرة تمر بأطراف جميع القارات وبذلك تكون هي مركز اليابسة.

وقد اكتشف العلماء أن الأرض هي مركز السماوات السبع وذلك لأن قطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفيه مرورًا بمركزه، وتشير الآية القرآنية إلى

انطباق أقطار السماوات رغم ضخامتها على أقطار الأرض رغم ضآلتها مما يثبت أن الأرض هي مركز الكون وذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ﴾ (الرَّحۡمَٰن: ٣٣).

ويدعم ذلك ذكر الأرض دائمًا مقابلة للسماوات: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ﴾ (المَائِدَة: ١٧).

كذلك أثبت العلماء أنه لا يوجد أي قدر من الانحرافات المغناطيسية على خط طول مكة المكرمة، بينما يوجد عند جميع خطوط الطول الأخرى، وأيضًا وجد العلماء الباحثون أن الكعبة المشرفة مبنية بأضلاعها الأربعة في الاتجاهات الأربعة الأصلية تمامًا، فضلعها الذي به المرزاب، والمطل على حجر إسماعيل والذي يضم الركنين العراقي والشامي يقام في اتجاه الشمال الحقيقي، ويقابله في اتجاه الجنوب الضلع الذي يضم ركن الحجر الأسود والركن اليماني، وضلعها الذي به الباب والملتزم يواجه الشرق تمامًا ويقابله الضلع الغربي الذي يضم كلًا من الركنين الشامي واليماني، وتحديد تلك الاتجاهات بهذه الدقة في زمن موغل في التاريخ كالذي بنيت فيه الكعبة المشرفة ينفي إمكانية كونه عملًا بشريًا، كذلك روى أُبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحجر الأسود نزل به ملك من السماء**».

وحين عرف المستشرقون بمثل هذا الحديث عن الحجر الأسود فقد استأجرت الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية ضابطًا بريطانيًا باسم ريتشارد فرانسيس بيرتون، جاء إلى الحجاز في هيئة حاج أفغاني وذلك سنة ١٨٥٣م بهدف سرقة جزء من الحجر الأسود والفرار به إلى بريطانيا، وبالفعل تم له ذلك وبدراسة العينة المسروقة ثبت أنها من أحجار السماء، فهي تشبه أحجار النيازك ولكن تتميز بتركيب كيميائي ومعدني خاص، ولقد كان هذا الاكتشاف سببًا في إسلامه.

وقد سجل قصته في كتاب في جزأين بعنوان «رحلة إلى مكة» كذلك فإن مقام إبراهيم به أثر قدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يرفع القواعد، ولين هذه الصخرة الصلدة إلى هذا الحد معجزة بكل المقاييس، يقف العلم عاجزًا عن إمكانية تفسيرها يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**الحجر والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة**».كذلك فإن تدفق الماء من بئر زمزم على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة من قلب صخور نارية ومتحولة شديدة التماسك والتبلور، إضافة إلى طمرها وحفرها عدة مرات، ولم يُعرف مصدر هذا الماء المتدفق إلى البئر إلا بعد حفر الأنفاق حول مكة المكرمة.

حيث أدرك العاملون في حفر تلك الأنفاق أن الماء يتدفق من تشققات شعرية دقيقة تمتد لمسافات بعيدة خارج حدود مكة المكرمة وفي جميع الاتجاهات من حولها، وهذه الملاحظة تؤكد وصف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه البئر بأنها نتجت عن طرقة شديدة من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**هي هزمة جبريل وسقيا الله لإسماعيل**». والهزمة في اللغة هي الطرقة الشديدة،كذلك وصفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن فيه: «**طعام طعم وشفاء سقم**».

فلو تناوله الحاج لعدة أيام دون طعام فإنه يمد الجسم بالعناصر الغذائية اللازمة له، كذلك فإن أعداد كبيرة من الأنبياء والصالحين مدفونة في الحرم المكي، وقد طاف بالبيت الكثير من الأنبياء وآثارهم لا تزال موجودة في تلك البقعة المباركة كحجر إسماعيل ومسجد الحيف ويروى أن هناك قبر سبعين نبيًا، ويروى عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لو كنت في أهل مكة ما أخطأتني جمعة لا أصلي فيه، ولو يعلم الناس ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل» كذلك فإن جزيئات المادة في دوران مستمر عكس عقارب الساعة كالطواف حول البيت الحرام، وقد جعله الله تعالى ﴿ **مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا** ﴾ ومثابة

أي: رجوعًا، وبالفعل كل من يذهب لزيارته يرغب في الرجوع إليه ثانية وأيضًا فيه الأمن حيث تضاعف فيه عقوبة من يقترف السيئة.

٦٨- انضباط الكون:

لقد أثبتت الدراسات الخاصة بعلوم الأرض أن هذا الكوكب يرجع عمره إلى أكثر من ٤،٦بليون سنة مضت، بينما يرجع عمر أقدم أثر للحياة في صخور الأرض إلى ٣،٨ بليون سنة مضت، وهذا يعني أن عملية إعداد الأرض للحياة استغرقت أكثر من ثمانمائة مليون سنة، وجاء الخلق على مراحل متطاولة بهدف إعانة الإنسان على تتبع سنن الله في الأرض وأن لا يكون عجولًا، وكذلك فإن تلك السنين تمر في حساباتنا بطيئة ولكنها عند الله تعالى ربما كلمح البصر حيث إن الله تعالى لا يحده زمان ولا مكان، وكان الماء يغمر الكون كما أشرنا سابقًا، يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ (هُودٌ:٧).

حيث جعل الله تعالى منه كل شيء حي، وخلق الله تعالى السماوات والأرض وأمسكهما برباط لا يقدر عليه غيره وجعل كونه محكمًا بعدد من القوى التي أودعها بين الجزيئات والأجرام كالقوى النووية الشديدة التي تعمل على تماسك نوى الذرات، والقوى الكهرومغناطيسية التي تحكم ذرات العناصر وتجعلها في جزيئات ومركبات تنطلق في صورة فوتونات، وطاقة حرارية أو ضوئية ينتفع بها البشر، والقوى الذرية الضعيفة التي تُمسك بلبنات المادة داخل الذرات ولولا ذلك لأصبح الكون مليئًا بنوى الذرات فقط، وهناك قوى الجاذبية، وهي القوى التي تمسك بأطراف السماء وبكل أجرامها، ولو زال هذا الرباط لانفرط عقد الكون وانهارت مكوناته، إنه البناء المحكم

لكل أجرام الكون يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

(البَقَرَة: ٢٢)

ولقد جعل الله تعالى الجبال رواسي في الأرض حيث اكتشف العلماء أن الجزء البارز من الجبال فوق سطح الأرض هو في الحقيقة ليس إلا القمم البارزة لكتل هائلة من الصخور التي تطفو في نطاق الضعف الأرضي كما تطفو جبال الجليد في ماء المحيط حيث تطفو ألواح الغلاف الصخري للأرض فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة، وهو ما يُعرف بنطاق الضعف الأرضي، وبذلك فإن الجبل يطفو ويغوص بأوتاده حتى يخترق القشرة الأرضية إلى المنطقة شبه المنصهرة؛ لذلك وصف الله تعالى الجبال بالرواسي، حيث ترسو بأوتادها في نطاق الضعف الأرضي كما ترسو السفينة في ماء البحر على مرساتها، وهذا يقلل من ترنح الأرض عند دورانها حول محورها، ويجعل حركتها أكثر انتظامًا تمامًا كما تفعل قطع الرصاص التي توضع حول إطار السيارة للتقليل من اهتزازاتها لتنتظم حركتها، وبذلك أصبحت الأرض مهيئة للعمران بمختلف صور الحياة يقول تعالى في ذلك ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (النَّحل: ١٥).

ويبدو الإعجاز القرآني في ربط الله تعالى الأنهار بالسبل، حيث اكتشف العلماء أن الأنهار بعد جفافها لتغير الظروف المناخية أو تعرضها للانتقال البطيء بمرور الزمن، فإنه بجفاف مجرى النهر، أو تغييره فإن المجرى القديم يترك سبيلًا ميسرًا لحركة كل من

الإنسان والحيوان[١]، حيث إن جريان الماء بين الصخور يسبب شقًا وسبلًا بمرور الزمن يسهل السير فيها بعد ذلك.

وقد تعرضت الأرض في فترات إعدادها للحياة إلى الكثير من الفترات الزمنية التي تغمر بعض أجزائها الماء ثم تجف، ثم يكون الغمر في مناطق أخرى ثم الجفاف، وهكذا حتى مهد الله تعالى الأرض للحياة مع ما تركته الرياح وعوامل النفاذية والصدوع، والطفوح البركانية، وتحرك القارات من آثار على فترات زمنية متباعدة تمهيدًا لأن تكون الأرض فراشًا للإنسان يسهل له السير فيها وعمارتها بالزراعة والصناعة والانتفاع بما فيها من الثروات، وهذا هو السر في قدم عمر الأرض بالنسبة لنا ولكن الفترات الزمنية عند الله تختلف، فربما هي كلمح البصر أو أقرب، ولنا مثل في إسراء النبي ﷺ بقدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ورؤية آيات كثيرة وذلك في جزء قليل من الليل.

ولكن بقدرات البشر كانوا يضربون أكباد الإبل شهرًا بتلك المسافة الأرضية، فما بالنا بالعروج أيضًا، ورحلة السماء، فسبحان الذي جعل الأرض فراشًا والسماء بناءًا، ومن عظيم حكمة الله تعالى في إحكام كونه أنه ضبط الليل والنهار لتصل الطاقة إلينا من النجوم بالقدر الذي يعين الإنسان على عمارة الأرض، فلو زادت كمية الطاقة التي تصلنا من الشمس ولو قليلًا لأحرقت كل ما حولنا، لذلك أشار القرآن الكريم إلى ثبات عدة الشهور باثني عشر شهرًا منذ خلق الله السماوات والأرض وهو تأكيد

---

(١) «الإعجاز العلمي في القرآن» الدكتور/ زغلول النجار - حول إبداع الله تعالى في خلق الأرض، وتنظيم حركتها، وتمهيدها للحياة.

ضمني على انضباط كتل وأحجام وأبعاد وسرعات الأرض، وجميع أجرام الكون منذ بداية الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإلا لانهار بناء الكون.

والمعروف أن سنة أي كوكب هي الفترة الزمنية التي يستغرقها ليتم دورة كاملة حول النجم وبسرعة محددة حسب طول مدار الكوكب حول النجم وكتلة الكوكب بالنسبة للنجم وذلك مرتبط بالجاذبية وحسب قانون تكافؤ المساحات مع الزمن فكلما اقترب القمر من الأرض أو اقتربا معًا من الشمس لابد من ازدياد السرعة المحيطة لكل منهما لتزداد قوة الطرد المركزي وإلا ارتطم كل منهما بالآخر وبالتالي تزيد عدة الأيام والشهور ولكن القرآن الكريم يشير إلى انضباط الكون في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (التوبة: ٣٦).

إنه الوحي الحق من الله علام الغيوب يقول تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

٦٩- حقائق وإعجازات:

كلما كانت الأبحاث البشرية كانت الإعجازات القرآنية سابقة... يعترف سير برنار لوفيل مؤسس ومدير محطة الأرصاد الجوية التي تعمل بالتلسكوب الراديوي في إنجلترا أن أصل الكون ما زال علم الإنسان عنه ضئيلًا رغم ما توصل إليه العلماء من اكتشافات يقول تعالى: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

(الكهف: ٥١)

كذلك فلقد دعت المنظمة الدولية للكفن المقدس «الفاتيكان» لإعلان نتائج الأبحاث العلمية التي أجريت على الكفن المقدس في كاتدرائية تورينو، وقالت إن نتائج الأبحاث تثبت نظرية المنظمة بأن المسيح لم يمت على الصليب وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٧).

كذلك اعترف علماء البحار بأن البحر ظلمات متدرجة، فنجد قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ (النور: ٤٠).

وحين اكتشف علماء الفضاء أن أصل السماء هو الدخان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت: ١١).

وغير ذلك الكثير من الحقائق، إنه الوحي الإلهي الحق، فالحمد لله أنه سبحانه يرينا آياته فنعرفها فنثبت على الإيمان واليقين بقدرته، يقول سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

٧٠- ليس في خلق الرحمن من تفاوت:

سبحان الله العلي الكبير... سبحان الملك المحيط... لقد رصد العلماء بواسطة علم الفلك الراديوي وهو أدق رصدًا للنجوم من التلسكوبات المعروفة، نجومًا يطلق عليها أشباه النجوم، أو الكوازارات، قوة إضاءة الجرم الواحد منها يعادل قوة الإضاءة المنبعثة من عشرين مجرة بما تحتويه كل مجرة من أعداد هائلة من النجوم،ومعدل الطاقة المنبعثة من النجم الواحد يعادل الطاقة المنبعثة من عشرين مجرة بما تحتويه كل مجرة من أعداد هائلة من النجوم، أي أن معدل الطاقة المنبعثة من النجم الواحد يعادل الطاقة المنبعثة من عشرين مجرة بما تحتويه كل مجرة من أعداد هائلة من النجوم أي أن معدل الطاقة المنبعثة من النجم الواحد يعادل الطاقة المنبعثة من ألف مليار شمس كشمسنا

التي نظن أنها هائلة، إن هذه النجوم يعترف العلماء أن لها قوة جذب هائلة تفوق الخيال، إنها قوة الجذب التي يصير أمامها الكوكب أو الكرة الأرضية التي نعيش عليها تنكمش وتصير كبيضة الدجاجة في حجمها، وصدق سبحانه وتعالى في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ (غَافِر: ٥٧).

كذلك فإن كل مخلوق يتكون من ذرات وكل ذرة لا يختلف نظامها عن الأخرى فذرة الهيدروجين في قطرة الماء، هي تمامًا كما في النبات وكما في جسم الإنسان أو في الهواء، أو الكواكب، يقول تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (المُلْك: ٣).

فسبحان مالك الملك أمر بعدم الذل إلا له، فعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**»، ومع قدرته أمر بالرحمة وكظم الغيظ، لذلك كان من فطنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لا يولي رجلًا يغضب لنفسه حتى لا يظلم أحدًا وقدوتنا في ذلك رسولنا ﷺ كان حليمًا لا يغضب ولا يُستفزُّ إلا إذا انتهكت حرمات الله، وأمر بالرضا بحدوده وابتلائه وقضائه، فالرجم للزاني المحصن، والنار للعاصي، والفقر والغنى لحكمة يقدرها الله سبحانه، فمن العباد من إذا أغناه الله لفسد حاله، ومن إذا أفقره لفسد حاله، فسبحان الحكيم الخبير، علام الغيوب، من يؤتيه الله الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، لقد كان الحسن البصري زاهدًا في الدنيا، وفيما عند الناس، لذلك كان محبوبًا يلتف الناس حوله، يسألونه في أمور دينهم، إنها الحكمة التي منَّ الله تعالى عليه بها حيث إنه زهد في الشهوات التي يضعف أمامها الكثير من الخلق ومن أمثلتها النساء، والمال، والبنون والطعام، وغيرها، وهي في النهاية تنتهي إلى لا شيء، فالإنسان لا يذكر الأمس أو طعام الأمس، أو المال الذي أنفقه بالأمس، كلها إلى زوال ثم تنتهي

كلها بالموت، ومن فهم ذلك كان قانعًا راضيًا في كل حال وازداد حكمة وبصيرة حيث لا يكتمل الإيمان، حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن صاحب العقل السليم يجب أن يكون سليمًا في فكره دقيقًا بليغًا في كلمته لا ينظر إلى الحرام أو يمد عينيه إلى ما متع الله به غيره، ولا يتصرف في المواقف بما ينقص قدره، يحب إخوانه في الله دون مصلحة أو مكسب، حيث يقول تعالى في الحديث القدسي: «**المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي**»، والمؤمن بطبيعته يجب أن يكون كما وصفه ﷺ «**هَيِّن لَيِّن ألف مألوف**» وقد ورد عنه ﷺ أن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، والله تعالى يؤيد عبده الصابر وينصره، لذلك كن دائمًا مع ربك، إذا أنس الناس بالدنيا فأنس أنت بالله، وإذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله، إن من يترك داره يحن إليها مهما سافر وانتقل في البلاد، ولقد كان أبوينا آدم وحواء في الجنة قبل أن يخرجا منها بسبب إغواء عدوهما إبليس اللعين، إن دار أبوانا كانت الجنة، ألا نَحِنُّ لتلك الدار، لقد كان خروجهما بسبب طاعة هذا العدو، ألا نعصه نحن ونتعلم من الخطأ السابق لنعود إلى الدار التي رضيها الله لنا، ولا يكون مصيرنا إلى ما يرضاه لنا إبليس بالمخالفة والمعصية إلى جهنم وبئس المصير، فعلينا بتعلم العلم وتبليغه يقول ﷺ: «**مَنْ تعلَّم علمًا لا يتعلمه إلا ليصيب عرضًا من أعراض الدنيا لا يرح عَرْف الجنة يوم القيامة**»، أي يجب أن يبتغي بالعلم وجه الله ليكون نفعه طريقًا لك إلى الجنة واعلم أنك إن أقرضت قرضًا وأنظرت المعسر، فإن كل يوم يمر يزيد لك في الأجر أضعافًا مضاعفة، **لذلك فمن يعفو** عن هذا الدين فإن له أجرًا كبيرًا عند ربه لذلك يقول سبحانه: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

وإن عاهدت الله فلا تخلف لقوله تعالى في حق من عاهد النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له بأن يكثر ماله وسوف يتصدق ويشكر الله، ولكنه أخلف وبخل فكانت النتيجة قوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ (التوبة:٧٧).

وإن تدخل الشيطان وجعلك تكره زوجتك وألحَّ عليك بفراقها فتذكر قوله تعالى ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩). وعلى المؤمن أن يكون كريمًا لقوله ﷺ: «**الشحيح لا يدخل الجنة**»، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة خبٌ ولا منان ولا بخيل**» والمؤمن لا يحسد لأنه زهد في الدنيا وفيما عند الناس، بل يتمنى الخير لإخوانه ويدعو لهم بما يحب لنفسه حيث هناك ملك وكِّل عند دعائك لأخيك المسلم يقول: «آمين ولك بمثل ذلك» وعلى المؤمن أن يصبر على أمر الدعوة كما صبر ﷺ حيث أدميت قدمه الشريفة ولاقى الكثير من المشركين، واستمر في دعوته ولم يتراجع، وانتشر الإسلام شرقًا وغربًا. ولا تنظر إلى الغد أنه جوع، وفقر، ومرض؛ لأن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، والله يعد بمغفرة منه وفضل، يقول تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ (البقرة:٢٦٨).

إن أصابك هم أو غم فامنح غيرك معروفًا، أو أعط محرومًا، أو انصر مظلومًا، أو أنقذ مكروبًا، أو أطعم جائعًا، أو عُدْ مريضًا، فسوف تجد السعادة تغمرك، ويزول همك ومع تلك السعادة يفرج الله عنك من كربات يوم القيامة، واعلم أن الرزق ليس في المال فقط فالزوجة الصالحة رزق، والأولاد رزق، والعلم رزق، والطعام والشراب رزق، والإيمان رزق، والرضا والقناعة رزق، والصحة رزق، هناك أمراض ينفق صاحبها كل ما يملك رغبة في الشفاء وعندها يدرك أن كل ما يمنحه الله ليعبده هو رزق يستوجب

الشكر والقناعة، **فعليك أخي المسلم** بالصبر على دينك وإن قتلت وحرقت، لقد كان يؤتى بالرجل ممن كانوا قبلنا فينشر بالمنشار من مفرق رأسه حتى قدمه فلا يثنيه ذلك عن دين الله، لذلك لابد أن يعلو حبك لله فوق كل شيء فهو الباقي، وكل ما منحه هو من عطائه، فله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله بلا نهاية على فضله، ورحمته، ومنحه وطيباته، وسبحان الله الرحيم المعطي.

٧١- المصابيح والسماء الدنيا:

أثبت العلماء في عصرنا أن الغلاف الجوي وهو التابع للسماء الدنيا يحتوي طبقات متأينة تجعل النجوم مضيئة متوهجة كالمصابيح، ولكن من يعبر طبقة الغلاف الجوي إلى أعلى يرى الكون مظلمًا والنجوم تبدو حمراء ملتهبة ليس لها النور الأبيض المتوهج الذي نراه بأعيننا، مما يثبت أن الغلاف الجوي جعله الله تعالى لإظهار النجوم في السماء الدنيا زينة كالمصابيح يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ (الملك: ٥) كذلك ثبت علميًا وجود أنواع مختلفة من الكائنات في الأرض تحت الثرى كالفطريات، وبعض أنواع القواقع، والديدان، والعقارب، والثعابين، وغيرها، وتحت الثرى هناك آبار المياه وآبار البترول ومختلف المعادن، وغيرها، من مختلف النعم يقول تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ (طه: ٦).

كذلك من الإشارات القرآنية المعجزة قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ (الحشر: ١٤).

ونجد أن اليهود منذ عهد النبي ﷺ كانوا يتحصنون في الحصون ويتضح ذلك في غزوة خيبر وغيرها حيث كانوا يهدمون المنازل قبل جلائهم، وفي

عصرنا الحالي يشهد المؤرخون أنهم برعوا في تصميم الملاجئ، والخنادق، والدشم، والحصون، وفي حرب أكتوبر تحصنوا بخط بارليف والآن يقومون ببناء الجدار الواقي بارتفاع ثمانية أمتار مزود بآلات تصوير للمراقبة، وبه خنادق عميقة، وبه حواجز من الأسلاك الشائكة، وقد يصل هذا الجدار إلى ألف كيلو متر، كذلك أشار سبحانه إلى أضرار الخمر والميسر حيث إن الخمر يُذهب العقل، والميسر يُذهب العقل بسبب الخسارة الكبيرة فتنتشر العداوة والبغضاء بين الناس، إنه القرآن المعجز في كل عصر.

فعلى كل مسلم أن يعتز بدينه وأن يثق في وعد ربه، وأن يكون سخيًا كريمًا لأن ربه كريم، لقد تصدق عثمان بن عفان بسبعمائة بعير كانت قادمة له من مصر لفقراء المدينة أثناء محنة القحط التي عاصروها ورفض مساومات التجار، حيث زادوه الدرهم بدرهمين، فقال: زادني غيركم، فزادوه الدرهم بثلاثة فقال: زادني غيركم حتى قالوا لا نرى تجارًا غيرنا بالمدينة فمن زادك؟ فقال: زادني ربي الدرهم بعشرة، وعلى المسلم أن يكون قويًا يملك نفسه عند الغضب، عزيزًا لا يزل نفسه في موقع، لا يهن ولا يحزن، ويصبر عند البلاء، لقد كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وحده أمة، حيث صبر في مواقف كثيرة عند تركه لأهله في صحراء قاحلة ثقة في وعد ربه وعندما همَّ بذبح ولده طاعة لربه، وعندما أُلقي في النار لأنه يدعو إلى عبادة الله وحده، وغير ذلك الكثير من المواقف التي يجب أن يتعلم منها المسلم **فالله تعالى يصطفي** الصابرين العابدين الرحماء، حيث يدفعون بالتي هي أحسن، شيمتهم صلة من قطعهم وإعطاء من حرمهم، والعفو عمن جهل عليهم، يفرحون بفضل الله وبرحمته، والوعد برؤيته، والتنعم في جنته، وليست فرحتهم بشهوات الدنيا الزائلة، هم راضون بما قسمه الله لهم لأنهم يعلمون أن الله هو المانع والمعطي، هم يوقِّرون الكبير، ويرحمون الصغير، لقد أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعليم

الطفل الصلاة عند عمر سبع سنين، والضرب عليها عند عمر عشر سنين، وهذا من رحمته التي ألهمه الله بها، حيث اكتشف العلماء أن إدراك الطفل قبلها لم يكتمل بالصورة التي تجعله أكثر تمييزًا وعقلًا، وهم عن اللغو معرضون، وهم من عذاب ربهم مشفقون، فعلينا بالتوبة وفعل الخير، فالأعمال بالخواتيم، ومن شهد له أربعة من جيرانه الأدنين، يقول الله: قبلت شهادتكم فيه وغفرت له ما لا تعلمون، فاللهم اجعلنا من أهل الجنة، واختمها لنا بالأيمان فإن يوم القيامة يوم عصيب، فيه تدنو الشمس من الرؤوس، ومن الناس من يكون عرقه إلى ركبتيه، ومنهم من يكون العرق إلى كتفيه، ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا، يُحشر الجميع عرايا، يتمنى الناس أن ينتهوا من هول الموقف وينفضوا ولو إلى النار، من الناس من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذه بشماله، يود المجرم أن يفتدي من العذاب ببنيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعًا وينجو من العذاب.

إن المحن القادمة على الإنسان شديدة، عليه أن يستعد لها؛ سكرات الموت، وظلمة القبر وضمته، ويوم القيامة حين تزلزل الأرض وتُخرج أثقالها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، فعلينا أن نتوب إلى الله تعالى ونصلح قبل أن يأخذنا الله تعالى بالسنين والقحط، إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين دعى على قومه ابتلاهم الله بالجدب والقحط وأرسل عليهم الجراد الذي أتلف مزارعهم، والقمل بأنواعه التي تصيب الماشية، والتي تصيبهم بالأمراض الوبائية المختلفة، ومنه أنواع كالسوس وغيره، كانت تأكل الحبوب وتتلفها، وأما الضفادع فقد تكاثرت وأفسدت المياه، واكتشف العلماء في عصرنا أنواعًا من الضفادع السامة تقتل من يلمسها على الفور، ومنها أنواع تصيب من يلمسها بالشلل، حيث إن الضفادع تتنفس عن طريق الجلد، وتدافع عن نفسها بإفراز

المواد السامة على جلدها، وهناك ما يقرب من ٢٥٠٠ نوع من الضفادع يتفاوت ضررها باختلاف أنواعها، إنها الإعجازات في كل المجالات بأمر خالق الكون يأذن بها حين يأتي ميعاد إظهارها للعباد. وحين تقدمت علوم الحاسبات والكمبيوتر في عصرنا ظهر الإعجاز الرياضي[١]. إن أقرب مسافة تقترب منها الشمس للأرض في دورتها هي ٩١ ألف مليون ميل وسورة الشمس هي السورة رقم ٩١، وسورة النحل من الآية٢ حتى الآية ١٨ يخبرنا الله فيها عن نعمه التي أنعم بها على الإنسان والمجموع ١٧ آية وفي الآية رقم ١٨ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (إبراهيم: ٣٤). ونجد أن سورة النحل هي رقم ١٨ بالمصحف. والذي يقوم بالتجربة لو أحضر خيطًا أبيض وآخر أسود لا يستطيع أن يميزها قبل أذان الفجر، وعندما يؤذن الفجر يصل أول إشعاع من الشمس، والذي به يتمكن الإنسان أن يميز الخيط الأبيض من الأسود، وقد أخبرنا الله تعالى عن تلك الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

٧٢- وحي الله وتكوير الكون:

لقد أوحى الله تعالى إلى بعض خلقه، فلقد أوحى إلى الأنبياء وأوحى إلى أم موسى، وأوحى إلى النحل، ووحي الله لا يأتي إلا بالخير، وتتجلى فيه العظمة والإبداع، ومن يتأمل خلية النحل يجد الكثير من صور هذا الإبداع، فهناك فريق يقوم بترتيب الخلية، وفريق من الشغالات يجمع الصمغ من الأشجار ليسد الشقوق، ويحيط

(١) «معجزة القرآن الرياضية» - دكتور عبد الله البلتاجي، وله مؤلفات كثيرة عن الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

بالحشرات المهاجمة حتى لا تتعفن، وهناك فريق يقوم بتهوية الخلية في الصيف وذلك بتحريك أجنحته، وآخر ينضم إلى بعضه البعض لتدفئة الخلية في الشتاء، والنحل يعيش في جماعات، ومن ينعزل عن الجماعة يموت، ولقد وجه الله تعالى الخطاب للمفردة من إناث النحل ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ ووجد العلماء أن الشغالة بالفعل هي التي تقوم ببناء الخلية وصيانتها وحراستها ونظافتها وترميمها وتكييفها وتهويتها، والنحل لا يلوث الخلية أو يُهمل فيها بل يعمل دائمًا على ترتيبها ونظافتها، ولابد أن يكون ذلك فلقد جعل الله من العسل شفاءً للناس[١].

ولقد أمر سبحانه السماوات والأرض أن تقوم بإذنه فكانت على أحسن ما يكون، حيث قامت بغير عمد نراها، وحين زعم الماديون أن الكون لا نهائي بلا بداية أو نهاية فهو أزلي غير مخلوق لينكروا وجود الخالق، أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة أن الكون مكور على بعضه كالكرة، فهو محدود الحجم كالكرة لمن ينظر إليه من بعيد لكن من يعيش بداخله يظن أنه لا توجد له بداية أو نهاية، ولقد اكتشف العلماء كروية السماوات والأرض.

وليست الأرض فقط كما يظن البعض، تلك الحقيقة ذكرها النبي ﷺ منذ ألف وأربعمائة عام، حيث روى الإمام أحمد عن زيد بن أسلم قال: «ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كُنَّ حلقة مبهمة ونزلت عليها لا إله إلا الله لقسمتها». وفي حديث آخر يشير إلى أن السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة، أي صحراء، ونلاحظ التعبير بالحلقة تعبير عن الكروية، لقد

---

(١) «العسل والشفاء» - «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» للدكتور أحمد شوقي إبراهيم الحديث عن حياة النحل.

شبه أحد علماء الغرب، هذا النظام الكوني بالكتب المختلفة المتراصة بلغات مختلفة، وشبه الإنسان كطفل ينظر ويتأمل كيف ألَّفها المؤلف، وكيف رتب كلماتها وصاغها بتلك اللغات التي لا يعلم عنها شيء وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يفهم كل أسرار الكون المخلوق فما بالنا بالخالق ربِّ هذا الكون.

ولقد أوحى إلينا بشريعة الخير، فعلينا أن نقيم تلك الشريعة على أحسن وجه حتى نفوز فلقد أمرنا بالطاعة وفعل الخير والإحسان إلى الغير، وعدم اليأس من رحمته حيث إن الله تعالى في كل نفس مائة ألف فرج قريب، وقد أمر الإنسان أن يفكر بقدر حدود عقله ولا يسأل عن أشياء فوق طاقته لأن عقله محدود ولا يمكن أن يحيط بكل العوالم، ويكفي أن نعرف أن أقدم أثر عن عالم النحل في صخور القشرة الأرضية يرجع إلى أكثر من مائة وخمسين مليونًا من السنين.

فيجب على كل مسلم أن يطبق ما شرع الله به ليفوز في الدنيا والآخرة، لقد عاهد النبي ﷺ الصحابة على السمع والطاعة، وعلى العزة فلا يسألوا الناس شيئًا، وعلى كلمة الحق فلا يخشى أحدهم في الله لومة لائم وعلى النصح لكل مسلم فهم قدوة لنا، ومن يسير في طريق الله يجد النور في كل مكان، وما دون الله مخلوقات له، لا يملكون من قطمير، فالفضل كله لله.

ولقد رأينا أن رسالة الله تعالى هي الرسالة المعجزة في كل زمان، حتى لقد كان في عتاب الله لرسوله ﷺ حين جاءه الأعمى، وفي مسألة أسرى بدر دليل آخر على أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، حيث إنه لا ينكر آية فيها العتاب له، وهذا هو إثبات من الله ودليل ليدرك به العقلاء أن النبي ﷺ كان لا ينطق عن الهوى، بل هو الوحي من السماء، وعلينا أن نُخلص في العبادة، حيث خلقنا الله لعبادته،

فهو الغني عن خلقه، ويكفي أن من يقوم الليل ويناجي ربه يلبسه من نوره في الدنيا والآخرة، **واعلم أخي المسلم** أن عدوك الشيطان يعقد عليك قبل نومك ثلاث عقد، فإذا استيقظت انحلت عقدة، وإن توضأت انحلت الثانية، وإن صليت انحلت الثالثة، فتصبح نشيطًا طيب النفس، هناك شيطان موكل لكل من بدأ يسير في طريق الهدى، يأتي الشاب ليضله ويوسوس له بكل ما يبعده عن طريق الإيمان، ومن تمسك بطريق الله ينصره الله، هناك شيطان يوسوس لك في الصلاة حيث يعلم أنه ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها، فاحذر عدوك.

يقول ﷺ : «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**»، فتحلى بالصبر والإتقان والثقة بوعد الله في كل الأمور ولا تيأس من روح الله لتنجو بثباتك، ويقينك، ورحمة ربك، واعلم أن المعوذتين ما تعوز متعوذ بمثلهما، لقد أخبرنا ﷺ أنه: «**لو كان شيء يسبق القدر لكانت العين**»، واحذر الفراغ فشر الناس المكفي الفارغ ليس في عمل دنيا أو آخرة، واعلم أن الله تعالى لم يكن يجمع أمة الإسلام على ضلالة فكن مع الجماعة، فمن شذَّ شذَّ في النار.

واعلم أن أمة الإسلام تخرج من الأزمات أشد صلابة، ولنا مثل في حروب المرتدين، والحروب الصليبية، وقهر التتار وغير ذلك الكثير من الانتصارات في كل زمان، واعلم أخي المسلم أن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وأن الرحمة تشمل ما حولك من الكائنات لقد صلى النبي ﷺ يومًا صلاة الكسوف، حيث كُسفت الشمس في ذلك اليوم، ولقد تأخر في صلاته إلى الخلف وتأخرت الصفوف معه، ثم تقدم مرة أخرى وحين سأله الصحابة عن سر ذلك حيث إنه أطال في الصلاة ولم ينته منها حتى طلعت الشمس قال: «**إنه ليس من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، ولقد جيء**

بالنار فذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، حتى قلت: أي رب وأنا فيهم، ورأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن به قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت جوعًا، وجيء بالجنة، فذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي فمددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل»[(١)].

ولقد روى هذا الحديث أيضًا الإمام مالك عن ابن عباس وفيه قول الرسول ﷺ: «**ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء**» قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: «**لكفرهن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**ويكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»[(٢)].

وفي حديث آخر رواه أحمد عن أسماء بنت أبي بكر وزاد فيه «**وقد أريتكم تفتنون في قبوركم يسأل أحدكم ما كنت تقول، وما كنت تعبد فإن قال: لا أدري رأيت الناس يقولون شيئًا فقلته، ويصنعون شيئًا فصنعته، قيل له: أجل على الشك عشت وعليه مت هذا مقعدك من النار، وإن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قيل: على اليقين عشت وعليه مت هذا مقعدك من الجنة**»[(٣)].

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد عن جابر بن عبد الله رقم [١٣٨٩٧].

(٢) جزء من الحديث عن الإمام مالك رقم [٣٩٩] في كتاب «النداء على الصلاة».

(٣) جزء من الحديث الذي رواه أحمد عن أسماء بنت أبي بكر رقم [٢٥٧٥٢].

وكما أشرنا سابقًا أن النبي ﷺ رأى في رحلة الإسراء والمعراج أيضًا جزاء المتكاسل عن الصلاة حيث تُرضخ رأسه بالحجارة، وجزاء الزناة حيث يرفعهم لفح النار ويخفضهم، وغير ذلك من المشاهد التي تثبت لنا أن وعد الله حق فالتأمل والفطرة إثبات للكثير من الإعجازات، وكذلك الاكتشافات العلمية، ونبوءات الرسول ﷺ، وما يشهده البشر من مشاهد للعبرة والتذكرة كأقراص العسل، وسعف النخل حيث يقرأ المتأمل بوضوح كلمة التوحيد، وثبوت عالم الملائكة، وعالم الجن، وتحقق رؤيا المؤمن، وتحذير الله تعالى للعصاة بالمواقف والتبليغ والرؤى.

ولقد أقسمت لي إحدى النساء أن معاملتها لزوجها المصلي كانت لا تُرضي الله، وكانت تمنع الماعون عن الناس، فرأت من يأمرها بالإحسان إلى الزوج والانتهاء عن تلك الخصلة، ولقد سمع سارية قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر: يا سارية الجبل أي اجعل الجبل من خلفك وأنت تقاتل العدو، وهناك كرامات الصالحين وغير ذلك من آيات الله التي يُرِيها لعباده في كل حين، فالحمد لله أنه يرينا آياته فنعرفها، والحمد لله أن لنا ربًا هدانا للإيمان وإلى طريق الهدى، وإلى طريق القرآن المليء بالإعجازات، والذي يدعو إلى الرحمة ولقد قتل الصليبيون سبعين ألفًا في ساحة المسجد الأقصى وقتلوا كل من لجأ إلى الأزقة والمساجد والأماكن المقدسة، وحين تمكن منهم صلاح الدين، ذكَّرهم بما فعل آباؤهم فظنوا هلاكهم، وأدركوا ما سيفعله بهم ولكنه عفا عنهم كما فعل رسول الله ﷺ بالمشركين يوم فتح مكة.

فعلينا بتطبيق منهج الله، والثقة بالله كما وثق موسى عليه السلام حين قال أصحابه إنا لمدركون، والتواضع لله، ألا يخشى من يتكبر أن يأخذ كتابه بشماله فيدعو بالثبور والهلاك. إن الله يستجيب دعاء عباده في أي وقت ويسمح بالوقوف بين يديه في أي

وقت ولا ينهي المقابلة قبل أن تنتهي من صلاتك رغم أنه هو الملك العلي الكبير فسبحانه...

واعلم أخي المسلم أننا جميعًا قبل دخول الجنة لابد أن نعبر الصراط، فهو أرق من الشعرة، وأحد من السيف، والنار أسفلنا تتأجج وتفور، والمكان مظلم، وكل إنسان يأخذ نورًا بقدر عمله ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الحديد: ١٢).

وأما المنافقون يقولون ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (الحديد: ١٣)، إنها محنة صعبة، يخبرنا النبي ﷺ أن هناك ناجيًا سليمًا، وناجيًا مخدوشًا، ومن يقع في النار، حيث إنه على الصراط كلاليب تخطف المقصر في حق الله، والظالم للعباد، فعلينا بفعل الخير وعداوة الشيطان، والإيمان بأن الخالق هو الرازق، وهو المجيب حتى ننال حب الله، لقد دعى ﷺ لأبي هريرة وأمه أن يحبهم الناس فلا يسمع بأبي هريرة أو أمه أحد إلا أحبهم، ..هناك من رأت أنوارًا كأنها الملائكة، وشعرت كأنها طافت بالكعبة وهي على سطح منزلها، وهي من النساء الصالحات، ولقد دعى أمين السماء جبريل عليه السلام بالخيبة والخسران وأمَّن أمين الأرض رسولنا محمد ﷺ على كل من أدرك رمضان ولم يُغفر له، أو أدرك والديه ولم يُغفر له أو ذُكر اسم النبي ﷺ ولم يُصَلِّ عليه.

لقد دعى ثلاثًا وأمَّن النبي ﷺ فلنحذر من الغفلة في رمضان وغيره، ولنحذر من عقوق الوالدين، وعدم الصلاة على النبي ﷺ ... إن الدين الإسلامي هو رسالة الخير والأمن في كل زمان، فكل ما نهى عنه كان في صالح العباد، وكل ما أمر به كان خيرًا للعباد، وهو الرسالة الزاخرة بالمعجزات، ففي المجال الطبي رصد العلماء سبعة وثمانين ألف نوع من الذباب يتغذى على النفايات والمواد العضوية

المتعفنة، ولقد خلق الله تعالى لكل نوع من البكتريا والفيروسات والجراثيم ما هو ضده، كذلك الذباب، يحمل الجراثيم والبكتريا على أحد أجنحته ومضادات هذه الجراثيم والبكتريا على الجناح الآخر.

وقد أجرى العلماء فحصًا مجهريًا لسائل غمس فيه الذباب بعد وقوعه، وآخر لم يغمس، ولاحظوا حركة الجراثيم في السائل الذي لم يُغمس فيه الذباب وخلو الآخر من الجراثيم...

لقد عالج الإسلام كل مشكلات المجتمع، **عالج السلبية** حيث قال ذو القرنين: ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة، وعالج المسكرات **وعالج البخل**، وجاء بمثل أصحاب الجنة الذين بخلوا فأصبحوا وقد وجدوا حديقتهم محترقة كالصريم، **وعالج الكذب** حتى تظل الثقة بين الناس، **وعالج الاكتئاب** حيث إن كل شيء بأمر الله ولا ضرر ولا نفع إلا بإذنه سبحانه، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأمر بالزكاة والعطف على الفقراء، فعلينا بالتمسك بالإسلام ومحاسبة النفس فلقد خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، هناك سكرات الموت، وضمة القبر، والوقوف ليوم الحساب، وعبور الصراط، وغير ذلك فلابد من الاستعداد لتلك المحن، إن ضربة بألف سيف أهون على العبد من سكرات الموت، ولكنها تهون على المؤمن الصادق العارف بربه والمتوكل عليه، والذي يُحسن الظن به، لكن الحساب يثقل على قوم لم يحاسبوا أنفسهم في الدنيا، فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه، ويدرس العلم ليزداد إيمانه وينفع غيره ويدعو على بصيرة، لقد أخبرنا ﷺ بقوله: «**إذا اشتهى مريض أحدكم شيئًا فليطعمه**».

وقد اكتشف العلماء في عصرنا أن جسم الإنسان إذا احتاج شيئًا من العناصر يصدر إشارات وميول فطرية لتناول الأطعمة التي تحتوي العناصر اللازمة، وقد نشر بحث في عام ١٩٣٢م بعنوان حكمة الجسد للعالم الغربي «وولتر بكانون» عن هذا الموضوع وقد كان السبق للإعجاز النبوي منذ ألف وأربعمائة عام، فعلينا بالثقة واليقين بالله وصلة الرحم والصلاة على النبي ﷺ الذي تنقل بين الأصلاب الطاهرة، والعبادة الخالصة لله في كل حال، في الصحة والمرض، وفي الغنى والفقر؛ لأن الجميع في ابتلاء واختبار واعلم أن الدعاء مخُّ العبادة، لقد دعى ﷺ في غزوة بدر حتى سقطت جُبَّته، وعليك بالاستغفار حتى ينزل الله عليك الخير كله، لقد رزق الله تعالى مريم ابنة عمران في محرابها، وأنزل مائدة من السماء لحواري عيسى عليه السلام.. إن المؤمن يكفيه أن معه الله الخالق، معه كتاب يتحدى به العالم.

إن شفاء العالم كله وقوته ونجاته لن تكون إلا إذا لجأ الجميع إلى هذا الكتاب، يكفي أن فيه النجاة من النار والزمهرير، وعليك أن تسأل نفسك كم يستحق الله من الشكر وقد جعلك مسلمًا، وكم يستحق من الشكر وقد وعدك بالنظر إلى وجهه الكريم، وكم يستحق من الشكر حين يعينك على عبور الصراط ومن أسفلك النار وهي تفور... إن الله تعالى يحب لنا الجنة، وسيخرج من النار يوم القيامة من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، كم يستحق الشكر على نعمه الكثيرة علينا، كم يستحق من الشكر على شربه الماء في يوم شديد الحرارة لذلك لابد من الاختبار، كان في حادث الإسراء والمعراج، وتحويل القبلة، وغير ذلك من الأحداث، بالخوف، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات، هي اختبارات لمعرفة صدق الإيمان.

والفائز من يصبر وينجح في هذا الاختبار. إن أحباب النبي ﷺ قوم آمنوا به ولم يروه، فعلى كل راعٍ أن يأمر أهله بما أمر به الله ورسوله من الصلاة والخشوع فيها، والصدقة، وإنكار المنكر، وأعمال البر، والتزام الزى الإسلامي حتى لا يطردنا النبي ﷺ عن حوضه يوم القيامة، ذكِّر أهلك بالصراط الذي لابد من عبوره قبل دخول الجنة، حيث إن مسافته لا يعلمها إلا الله، ومن أسفلنا ستكون النار المتأججة.

فهل المتبرجة ستعبر هذا الصراط الدقيق كالبرق؟ وهل المتكبر، وهل الظالم للناس وهل العاق لوالديه سيعبر كالبرق أم تزلَّ قدمُه وتخطفه الكلاليب إلى النار المتأججة والتي يسمع الجميع شهيقها وهي تفور، والتي تكاد تميز من الغيظ، وهي السوداء الحالكة والتي رغم شدتها فالمنافقين في الدرك الأسفل منها، ويسبح العصاة في دركاتها فهل نفيق من غفلتنا؟ إن التفكير في محنة الصراط فقط كافية لأن ينسى الإنسان التفكير في كل أمور الدنيا، حين سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ: «هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟» أخبرها: «**إلا في ثلاث مواضع عند عبور الصراط، وعند تطاير الصحف وعند الميزان**» فعلينا بلين الكلام...

أمر سبحانه موسى عليه السلام أن يقول لفرعون قولًا لينًا لعله يتذكر ويخشى رغم أنه اغتر بنفسه فقال: أنا ربكم الأعلى، فالمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء...

اجعل أخي المسلم حياتك كلها لله صلاتك ونسكك، ومحياك ومماتك، ولا تلتفت في صلاتك إلى أمور الدنيا، فإذا التفت العبد التفت عنه ربه، حيث ينصب الله وجهه تجاه عبده إذا صلى. وعليك بالصدقة، والصوم الذي يشمل الجوارح، فمن خُتم

له بصوم خالص دخل الجنة ومن ختم له بصدقة خالصة دخل الجنة، فعلينا بالإخلاص لله والدعاء، إن من لا ترد دعوتهم كما أخبرنا ﷺ: «**الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع، والإمام العادل**» وعلينا بأخذ الدين بقوة، والثقة في مالك الملك، وتربية الأولاد على الصدق، والقوة في الدين، ومحبة الله ورسوله، والشجاعة كما كان يفعل السلف الصالح في تربية أبنائهم، ويجب أن نستقبل الخير بقلوبنا، ففي الماضي كان هلال رمضان تترقبه جميع طوائف الشعب، بمجرد ظهوره كان يلتزم الجميع بفعل الخير، والعطف على الفقراء، وقراءة القرآن، وقراءة «صحيح البخاري» في الجامع الأزهر، وكان السلطان برقوق يذبح كل يوم من أيام رمضان ٢٥ بقرة يتصدق بلحومها على الفقراء، والمساكين وكان يفطر جموعًا غفيرة من الصائمين، ويأمر بتوزيع الصدقة عليهم، وقد اعتاد سلاطين المماليك أن يعتق الواحد منهم في شهر رمضان ثلاثين عبدًا أي: بعدد أيام الشهر.

وعلى كل مسلم أن يُدرك نعمة الله عليه حيث لم يشدد الله علينا في شيء، ولكن شدد على بني إسرائيل لتكذيبهم، فحرم عليهم كل ذي ظفر من الأنعام، والطير، وغيرها، وكانوا يقصون مكان النجاسة، ويقتلون أنفسهم عند التوبة، لقد أضلهم الشيطان، فعلينا بالاستعاذة منه، ومخالفته واتخاذه عدوًا، لقد ضرب الله مثلًا للمؤمنين في التوراة أنهم «ركعًا سجدًا»، وفى الإنجيل أنهم «كزرع أخرج شطأه» هو مثل روحي في التوراة لليهود عن الركوع والسجود لأنهم ماديون، ومثل مادي بالزرع للنصارى لأنهم تغالوا في الروحية.

وحين سُئل عيسى عليه السلام في مسألة المواريث؛ قال: إني لم أُبعث مورثًا، ولكن القرآن الكريم جاء شاملًا لكل جوانب الكون والحياة الدنيا والآخرة، وجاء بكل مثل

ليظل دستورًا إلى يوم القيامة، فمن ابتغى القوة في غيره قصمه الله، ومن تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم فالحمد لله على نعمة الإسلام، ونعمة البعث بعد أن صرنا عظامًا نخرة، والوعد بالخلود في الجنة بعد أن كنا ترابًا لا ذكر لنا، ورغم أننا عباد فقراء خلقنا سبحانه من الماء المهين فلا منة لنا على ربنا، ورغم ذلك نعصيه ويغفر لنا فهو الحنان المنان، وهو الملك، وهو الوارث، وهو الباعث، وهو الرشيد الصبور سبحانه، فعلينا بالنصح للمسلمين والأهل لأن كل راعٍ مسئول عن رعيته...

جاء في كتاب «أماه عودي إلينا» وهو دعوة لصيانة المرأة في بيتها، ما نصه: ما الذي زاد عليها بسبب العمل غير الجرأة وذهاب الحياء، وضياع الأولاد، ما الذي زاد عليها سوى كثرة الخلافات مع الزوج والتفريط في حق دينها، أتدرون ما الفرق بين أولاد المرأة العاملة وأولاد المصونة في البيت؟! إن أولاد الأولى فيهم القسوة والجرأة وانعدام الحياء، وأولاد الثانية تبدو عليهم أمارات الأدب والحياء.

إن هول العذاب شديد يوم القيامة، فما أشد عذاب النار، وما أصبر العصاة على الزمهرير، وما أصعب لحظة عبور الصراط والنار تفور من أسفلنا، فماذا تظنون بمصير من تكبر، وعق والديه، وترك الصلاة، وأي فرحة وأي وصف لسعادة من نجا ولا مفر من الحساب، حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ فلابد أن يتحقق وعد الله، وكما أشرنا سابقًا أن كل آيات الله تتحقق؛ لذلك فوعد الله لا محالة واقع، وما يتمناه الإنسان في الدنيا من أماني وأحلام لينال السعادة لن يجدها إلا في التمسك بهذا الكتاب الكريم، ليس عليك شيء إلا أن تدعو ربك بيقين ولا تستعجل الإجابة، وتتحرى الحلال، فمع الدعاء رزق سبحانه مريم ابنة عمران في محرابها بغير حساب، ومنح الولد لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجعل مع التقوى بركات من السماء والأرض فعلينا كما نصحنا

رسولنا ﷺ بالتوبة قبل المهمات والمبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن نشغل ونصل ما بيننا وبين الله بكثرة الذكر والصدقة في السر والعلانية، فيكون الثواب كما وعد ﷺ تُرزقوا، وتنصروا، وتجبروا، فعلينا بتنفيذ تلك الوصايا.

يخبرنا ﷺ أن لحم وجه العبد يتساقط يوم القيامة خجلًا حين يسأله عن تنفيذ تلك الوصايا، لقد أخبرنا أن إلقاء السلام على الأهل عند دخول المنزل والتسمية على الطعام تجعل إبليس يخبر أتباعه، أن لا مبيت لكم ولا عشاء، لقد أوصانا برحمة الناس، ورعاية الجار وقد أشرنا إلى صندوق الفقراء الذي يشارك فيه أهل الحي، حيث أقسم ﷺ أنه لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع، ويمتد ذلك إلى أخيك المسلم الذي يجاهد الأعداء في أقصى البلاد فلا تَنسَ الوقوف بجانبه، ولا تنسَ المقاطعة، ولا تنسَ أن الدعاء سلاح المؤمن.

لقد أوصى ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بترك الجدال ولو كنت محقًا لتنال قصرًا في الجنة، وأمر بلزوم المرأة لبيتها صيانة لها ولأولادها وأمر بالزهد، فكلنا سيفارق الدنيا ونعيمها الزائل إلى الآخرة الباقية، فكن بيقينك واثقًا من لقاء ربك ووعده لتكون أغنى الناس لا يضرك إذا لم تملك شيئًا من حطام الدنيا الذي يزول.

لقد خلق الله سبحانه آدم عليه السلام بيديه وليس بالأمر كن، وهو دليل العناية من الله بهذا المخلوق الذي أسجد له ملائكته، وجعل فطرته السليمة تهتدي إلى الخير قبل أن يُشرع له، ولنا مثل في عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان ينزل القرآن وفق ما يتمنى، إنه عهد الذر ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ إن الله تعالى حكمة في كل شيء، لقد نزل القرآن منجمًا تثبيتًا لقلب النبي ﷺ والصحابة، ولكي يكون مناسبًا مع الموقف

وزمنه، ومراعاة لعقول الناس حتى يسهل الاستيعاب، وليكون نظامًا لتلقي العلم حيث يُراعى مستوى الطالب الذهني فيعطى على قدر طاقته، وكذلك لتيسير جمعه وسهولة حفظه فعلينا بطلب العلم فهو مؤنس الوحشة، والصاحب في الغربة، وهو السلاح على الأعداء، به يُعرف الحلال والحرام، وبه توصل الأرحام، وبه يوحد الله ويعبد، وهو ميراث النبوة، وبه يبلغ صاحبه مرافقة الأبرار والدرجات العلى في الآخرة، والعلم يضيء القلب **ويحلو كلما كررته** حيث تتضح المعاني الغائبة بالتأمل، لذلك كلما طلبت العلم حصلت على الكثير من عطاءاته بفضل الله، ولله قوم بحفظ الدين قد قاموا، وبالعلوم ونشر الفضل قد هاموا...

يقول شجاع بن الوليد: صحبت سفيان الثوري ذات يوم فما فتر لسانه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذهابًا وإيابًا... لقد أفلح من دعي إلى الله وتحدث بنعمه، خلق سبحانه اللسان والشفتين، ولولا ذلك لما تحدث الإنسان أو نطق بالحروف، ولولا الأذن ما سمع الإنسان، وما عرف أسماء الأشياء، حيث ينطق الإنسان بما يسمع، فسبحان الذي خلق ما ينفع، وأمر بما فيه الخير، حين خالف الصحابة أو أمر الرسول ﷺ وأرادوا الدنيا وجمع الغنائم كان تمكن الأعداء منهم وكُسرت رباعية النبي ﷺ وشيع أن النبي ﷺ قد قُتل، فالمخالفة معناها الذل، والهلاك... إن كل هذه النتائج كانت لخطأ أو مخالفة واحدة فما بالنا بمن يخالف كتاب الله وسنة النبي ﷺ في نواحي متعددة، إنها النتيجة الحتمية، تداعي الأمم علينا من كل صوب لتدمير عدة المسلمين وهويتهم ومبادئهم، وفي حُنَين عندما أُعجب المسلمون بكثرتهم، أوشكت الهزيمة أن تحل بهم لولا رحمة الله، فليحذر الإنسان أن ينسى ربه ولو لحظة، ربما كانت هي الخاتمة، والأعمال بالخواتيم، **حين تكبر فرعون** كان

هلاكه بسبب هذا الكبر، وحين بخل أصحاب البستان على الفقراء أصبحوا وقد حُرق بأمر الله، وهلك قوم لوط، وقوم صالح، وقوم هود، وثمود؛ لأنهم خالفوا أوامر الله وعصوا الرسل وأصروا على فسادهم...

حين أوصى النبي ﷺ بعدم الصخب والشجار في رمضان كان التفسير العلمي هو إفراز هرمون الأدرنالين بكثرة، وهو يضيق الأوعية الدموية الطرفية ويعمل على اتساع الشرايين التاجية فتزداد عدد ضربات القلب، ويرتفع ضغط الدم وتتحلل نسبة من الجليكوجين في الكبد، وتتأكسد الدهون، وترتفع نسبة الكولسترول في الدم، مما يسبب تصلب الشرايين، وكانت وصيته ﷺ للصائم بأن لا يرفث ولا يصخب وإن سابه أو قاتله أحد فليقل إني صائم، ولقد أخبرنا ﷺ أن في رمضان يزيد رزق المؤمن، وبالفعل نجد ذلك في رمضان، إنها رسالة المعجزات ويكفي إعجاز القرآن الكريم أنه إذا قُرئ بتدبر ومعرفة عبر القلوب، لذلك فهناك مثلًا خمسة عشر أوكرانيًا أعلنوا إسلامهم حين استمعوا إلى الشيخ الخشت لخشوعه وجمال صوته.

إن من نذر نفسه لله وفقه الله لكل خير، إن الحجر يلين له، وربما أخرج اللبن والعسل، لقد أخرج الله تعالى لصالح عليه السلام الناقة دمًا ولحمًا تدر لبنًا من الصخرة الصماء، **ولقد أمر** ﷺ بعدم النفخ في الإناء لأنه وسيلة لنقل العدوى حيث هناك البكتريا بالفم، والتي تخرج مع النفخ أو النفس في الإناء وأخبرنا ﷺ بأن قيعان البحر مسجرة بالنيران وهي بالفعل كذلك، وأخبرنا ﷺ بأن في الصوم صحة للإنسان ولقد أثبت العلم الحديث أنه يقي من أخطار السموم ويهدئ من الغريزة الجنسية، وهو يساهم في عدم تكوين حصيات الكلية وإذابة بعض الأملاح، ويساهم في علاج مرض السكر، وضغط الدم، ويقي جهاز المناعة حيث تزداد

الأجسام، المضادة في الجسم، وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني منخفض الكثافة، إنه الدين الحق والخير، لقد أعد الله تعالى لأهل الجنة الكثير من الخير، ومنه نظره سبحانه إليهم، وأنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ورضوان الله تعالى عليهم أكبر، حيث يُديم عليهم هذا النعيم، ويكفي أن الله تعالى يتولى الصالحين يوصينا ﷺ أن يكون زادنا من الدنيا كزاد الراكب ولابد أن ندرك أن الصدقة برهان الإيمان، وأن صلة الرحم تجعل الله تعالى يتقبل العمل، ويبسط الرزق، ويبارك في العمر.

وعلينا أن ندرك أننا في اختبار، وأن علينا واجبات كالعمل، والدعوة إلى الله، والتربية الصالحة، ونصرة المسلمين، وإطعام الفقير، وغير ذلك، وهناك الأعداء في الخارج حيث يتربصون لتنصير المسلمين، ووقف الإغاثة في المحن الاقتصادية، والمناداة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ونشر الفرق المختلفة، والسيطرة على الإعلام، وهناك إبليس حيث ترتفع حوادث قتل الأبناء، وقتل الآباء، والزنا، والمقاهي، والفساد، حتى في ليل رمضان، وربما نهاره رغم أن مردة الشياطين تتسلسل، فعلينا أن نتخذه عدوًا، ونأخذ الكتاب بقوة، ونحمد الله أن ربنا الله جعلنا مسلمين، وهدانا للإيمان والعلم واليقين بأعلى معرفة وأصدق حديث.

لقد قام الإسلام على أسس الخير كلها فهو يقوم على أساس التحرر الوجداني من كل استعباد، وخضوع، فلا خوف، ولا خضوع إلا لله، وهو يقوم على أساس المساواة، فلا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، ويقوم على أساس التكافل بكل صوره، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فرعاية الوالدين والزوجة والأولاد ومساعدة المحتاجين كلها من صور التكافل التي أمر الله بها تعالى، وجعل عقوبة المقصر

فيها من أشد العقوبات فلا يدخل الجنة قاطع رحم، ولا يدخل الجنة عاق لوالديه، وأقسم النبي ﷺ أنه لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم.

فعلى المسلم أن يعيش كأنه يسير على الصراط، حيث لابد من المرور عليه، ومن أسفلنا النار تغلي ويسمع شهيقها، فهل تتيقن يا من كنت مقصرًا في الصلاة أن تعبر الصراط كالبرق، وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف، وهل تتيقن يا من كنت تصلي فرضًا وتترك الآخر أن تمر كالبرق دون أن تقع في النار، وهل تثق يا مدخن ، يا من تُقبل النار، وتبتلع دخانها منذ سنين أن تمر كالبرق ولا تقع فيها، إنها محنة لو تصورها كل إنسان لما ضحك أبدًا.

يقول ﷺ : «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» ولو سمع الناس عذاب القبر لصعقوا وما تدافنوا، يقول النبي ﷺ : «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**».

لقد زُلزل الذين من قبلنا حتى قالوا متى نصر الله، ولقد اجتهد النبي ﷺ في الدعاء في غزوة بدر حتى سقطت جبته من فوق كتفيه... إن الله ينصر المظلومُ، لذلك لابد أن يكشف صاحب الجريمة ولو بعد حين والله إذا أحب قوم ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. إن تارك الصلاة يُضرب في قبره فيصرخ صرخة يسمعها كل شيء إلا الثقلين وهم الإنس والجن لذلك نفرت دابة رسول الله ﷺ حين مر بها على قبر أحد المشركين، وكل إنسان يحمل ذنوبًا لا يعلمها إلا الله.

يقول ﷺ : «**لو تكاشفتم ما تدافنتم**» فعلينا بالتوبة، والرفق بكل شيء، ولين الكلام، وإطعام الطعام، وقيام الليل، حتى تُضاء قبورنا وحتى نعبر الصراط

كالبرق، وعلينا أن ندرك أن هناك ثلاث محن لا يذكر أحدنا أهله كما أخبر ﷺ وهي عند عبور الصراط، وعند تطاير الصحف، وعند الميزان، فما يجعلك تعبر الصراط دون عناء صلاة الجماعة، فمن صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع، وجاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، وكذلك صلة الرحم، وتسهيل أمور المسلمين، والرحمة بالخلق، ولكي تأخذ كتابك بيمينك لابد من التواضع، وعدم الكبر، والإخلاص في سائر العبادات، والخشوع فيها، ومراقبة الله في كل شيء، ولكي يثقل ميزانك؛ عليك بالصدقة، فالعبد يتصدق بالدرهم فيلقى الله وهو مثل الجبل ويقول ﷺ: «**أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة الصمت وحسن الخلق**»، ويخبرنا ﷺ بكلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان حبيبتين إلى الرحمن: «**سبحان الله وبحمده... سبحان الله العظيم**».

كذلك فإن قراءة القرآن كل حرف بعشر حسنات والصفحة الواحدة يفوز قارؤها بما يقرب من خمسة آلاف حسنة تثقل ميزانك يوم القيامة فلا يمر يوم عليك دون أن تقرأ جزء، أو نصف جزء، أو ما تيسر من القرآن، واستمر على ذكر الله، واجعل لسانك دائمًا رطبًا بذكره سبحانه، ليظل عداد حسناتك يعمل ليل نهار حتى لا تغلبك السيئات التي يحاربك بها الشيطان، ولا تنسَ غض البصر، والإعراض عن اللغو، والغيبة. حتى لا تضيع كل ما تعمل، وتصبح مفلسًا يوم القيامة رغم فعلك كل الخيرات السابقة، وكن أخي المسلم من الصالحين، فإن الله تعالى يصلح بالرجل الصالح ولده وولد ولده ودويرات حوله، ولا يزالون في حفظ الله ما زال فيهم.

واعلم أن الهدى رغم كل ذلك من الله، واعلم أن ما يزيد إيمانك طهارة القلب، فلا يكن في قلبك مرض يضعفك أمام الشهوات، ولا تشغل فكرك وقلبك إلا بذكر الله

تعالى وما سمح به... إن ذره من أعمال القلوب تعدل جبالًا من أعمال الجوارح واحذر خلف الوعد فإنها من خصال المنافقين، وأد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك ولا تتبع عورات الناس حتى لا يفضحك الله ولو كنت في جوف بيتك، وما يزيد الإيمان أيضًا الانشغال بالله وذكره، وقراءة القرآن، والمداومة على الطاعات كما أخبرت السيدة عائشة، كذلك مجالسة الصالحين، وغض الطرف عن الحرام والإخلاص في العمل، فمن أمسى كالًا من عمل يده أمسى مغفورًا له، ولقد أخبر ﷺ أنه ما من عمل أنجى من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يَضرب بسيفه حتى ينقطع**» ثلاث مرات، وفي الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام أنه قال: سمعت ربَّ العزة يقول: «**لا إله إلا الله حِصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي**» ولولا أن الشياطين تجوب حول ابن آدم لرأى ملكوت السماوات، فعلينا بالمداومة على ذكر الله والاستعاذة من الشيطان، وتذكر الموت، وأن الأعمال بالخواتيم، فمن خُتم له بلا إله إلا الله مخلصًا بها دخل الجنة، وعلينا بالحركة في الخير كالسمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، ولزوم الجماعة والدعوة إلى الله، والنتيجة بركة في العمر، والمال، والعلم، والصحة، وكلها من رزق الله وعلينا بإمساك اللسان فلا يُكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، وعلينا بلزوم الجماعة فالله تعالى لا يجمع الأمة على ضلالة.

ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام، **ولنحذر من ثلاثة أشياء تمنع** النطق بالشهادة: (قطع الرحم، وعقوق الوالدين، والإصرار على الكبيرة) فيجب عليك أن تقسم رحمك إلى أقارب للأب وأقارب للأم، وتقوم بزيارة الجميع بعد كتابة أسمائهم جميعًا، وتكرر الأمر حتى يبسط الله لك في رزقك ويبارك في عمرك، كذلك فإن

صلة الرحم يتوقف عليها قبول أعمال العباد فلا يدخل الجنة قاطع رحم، أو نمام، أو عاق لوالديه وينصحنا النبي ﷺ بصلة الرحم، صلوا أرحامكم ولو بالسلام...

إن الصلة تشبه سقي الماء للزرع، ومن وصل الرحم وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، **أي**: لا يتقبل منه عمل، أو صيام، أو صلاة أو غير ذلك من سائر العبادات، فالحمد لله أن ربنا لا يأمر إلا بالخير، والحمد لله أن ربنا الله، والحمد لله على نعمة الإسلام، ونسأل الله أن لا يجعل الدنيا هي غاية همنا حتى لا يفرق شملنا، وأن يجعل الآخرة هي غاية همنا حتى يجمع شملنا، ويجعل الغنى في قلوبنا، وتأتينا الدنيا وهي راغمة.

٧٣- من أنوار القرآن الكريم وإعجازه:

الشمس: إن نصف الكرة للشمس بلاده عليها نهار، والبعيد بلاده عليها ليل كما أشرنا من قبل، وبذلك فإن النهار هو الذي يجلي الشمس ويُظهرها بسبب حركة الأرض واحتوائها على الغلاف الجوي الذي يُظهر لنا النهار لمسافة ٢٠٠كم ابتداءًا من سطح البحر إلى أعلى أما بعد ذلك فالكون حالك الظلام والشمس تبدو كقرص أزرق في صفحة السماء الحالكة الظلمة، ولو كان القرآن من عند بشر لقال إن الشمس هي التي ترينا النهار لا أن النهار هو الذي يجليها، ولقال إنها تختفي فتسبب الليل، ولا أن الليل هو الذي يغشاها ويخفيها، ويتجلى ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ (الشمس:١-٤).

المطر: لقد وصفه سبحانه وتعالى بأنه الماء الطهور، وبالفعل لقد أثبت العلم الحديث في عصرنا أنه يطهر الأرض، ويغسل الجو وينقيه من الشوائب والأتربة العالقة به، والجراثيم المختلفة، وهو أثناء جريه في الأرض يُذيب الكثير من مختلف العناصر

والمركبات ويدفعها إلى مجاري البحار والأنهار، حيث يتبخر هذا الماء مرة أخرى عن طريق أشعة الشمس بما تحتويه من أشعة فوق بنفسجية فتقتل الجراثيم، والتي تستخدم حاليًا في عمليات التعقيم(١)، وكذلك فإن غاز الأوزون، والبرق، والمركبات الكيميائية، الموجودة في طبقات الجو العليا تقوم بقتل الميكروبات وإعدام الأحياء الدقيقة الضارة التي تحملها الرياح، وبالتالي ينزل المطر نظيفًا طاهرًا خاليًا من الجراثيم والميكروبات ويسبق القرآن الكريم كل العلوم ويُصرح بتلك الحقيقة التي لم يكن يعلمها أحد منذ ألف وأربعمائة عام، حيث لم يعلموا بمثل تلك الأشعة والمركبات الكيميائية التي هي بالفعل يستخدمها العالم في عصرنا للتعقيم والتطهير ويتجلى ذلك أيضًا في قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان:٤٨).

أم القرى: مكة المكرمة هي بالفعل كما اكتشف العلماء مركز العالم كما أشرنا سابقًا ولقد كانت الصور التي التقطها العلماء بواسطة الأقمار الصناعية من ارتفاع ٩٠٠كم في الفضاء حيث ظهرت الكرة الأرضية تشتمل على القطبين الشمالي، والجنوبي، وبواسطة أجهزة تكبير تستخدم لفحص هذه الصور اتضح أن مكة المكرمة هي متوسط الكره الأرضية بين أقصى يابسة في القطب الشمالي، وأقصى يابسة في القطب الجنوبي، ولقد تمكن عالم أمريكي متخصص في علم الطبوغرافيا بإجراء بحوث استنتج منها أن مكة هي المركز المغناطيسي للكرة الأرضية(٢) وقد بحث العالم عن مصدر التجاذب الرئيسي بين الأجسام ليكون هذا المركز هو أساس هذه القوة الجاذبة، وبعد بحثه ودراساته إذا

---

(١) وصف ماء المطر بأنه: الماء الطهور، وإثبات العلم الحديث لتلك الحقيقة دكتور/ أحمد فؤاد باشا.

(٢) هو عالم متخصص في علم الطبوغرافيا، من نتائج بحثه أن مكة المكرمة هي مركز تلاقي الإشعاعات الكونية، فهي المركز المغناطيسي للكرة الأرضية، وقد توصل لنفس النتيجة العالم المصري/ حسين كمال - رئيس قسم المساحة التصويرية.

به يجد أن هذا المركز والذي تتلاقى فيه الإشعاعات الكونية، هو موقع مكة المكرمة، ولقد توصل لنفس النتيجة المصري حسين كمال رئيس قسم المساحة التصويرية، وهذا يفسر لنا ظاهرة الطواف حول البيت الحرام، وهو المركز كما تطوف الأليكترونات والنيترونات حول نواة الذرة وهي المركز، وهذا أيضًا يفسر لنا أشواق البشر وتلبية الله تعالى بالحج إلى بيت الله الحرام يقول تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧)، فسبحان علام الغيوب.

الكون: أثبت العلماء أن الأنهار قد تكونت أولًا بعد الانفجار العظيم، حيث خرجت كميات هائلة من الأبخرة والغازات التي تكثفت ثم عادت مطرًا غزيرًا كون الأنهار والبحار يقول تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (هود: ٧).

ثم (الحقب الأركى- الابتدائي) ثم ظهرت النباتات غير المزهرة، والسرخسيات في العصر الذي يليه (الباليوذوي) وهو حقب الحياة القديمة، ثم ظهرت سلاسل الجبال في عصر الحياة الحديثة، ولقد أخبرنا ﷺ بذلك بوحي من ربه، ولم تكن مثل هذه الدراسات الحديثة قد أجريت، وهو يخبرنا بترتيب معجز حيث الأرض أولًا ثم النبات (المرعى) ثم الجبال، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ (النازعات: ٣٠-٣٢)، فسبحان الملك المهيمن.

الليل والنهار: لأن نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس بلاده عليها نهار، ونصف الكرة البعيد بلاده عليها ليل، وبذلك فإن أمر الله تعالى إذا نزل بالعباد فيكون نهارًا عند البعض ويكون ليلًا عند البعض الآخر، ولقد أخبرنا النبي ﷺ بتلك الحقيقة المعجزة التي لا تخطر بعقل بشر، وذلك بوحي من ربه وذلك قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ (يونس: ٢٤).

ويقول تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٧-٩٨). فسبحان الملك الذي لا حدود لملكه ويكفينا أن نعرف أن الشمس ومجموعاتها الكوكبية تدور دورة كاملة حول مركز المجرة مرة كل ٢٠٠ مليون سنة بسرعة ٢٥٠كم/ ث تقريبًا، فما بالنا بحدود هذا الكون، وسبحان من يعلم بكل شيء في كونه، فحركة الشمس، والقمر، والأرض ودورانهم في مدارات وأفلاك ثابتة منتظمة لم يعلمها العلماء إلا حديثًا ولكن يخبرنا سبحانه بقوله: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٤٠). فسبحان العليم الخبير.

الأمر: إن الأمر كله لله، وإذا نظرنا إلى الإنسان نجد أنه خُلق بأمر الله: كن، وأنه سيموت بأمره: مت..، وأنه سيقوم للحساب بأمره قم، وأنه سينال جزاؤه بأمره نل، وإذا قمنا بوصل هذه الأوامر الأربع نجد أنها تكون ملخص أمر الله للإنسان بأن يتق الله ويعبده وحده لا شريك له، فإذا نظرنا لوصل تلك الأوامر نجد أنها تكون أمرًا شاملًا هو كن متق وتبقى الحروف (م ن ل) ووصلها بحسب ترتيبها الأبجدي هو أداة الاستفهام لمن؟ والإجابة على تلك الأداة الاستفهامية هي كما أخبر سبحانه لله الواحد القهار.

الكرسي والعرش: أخبرنا ﷺ أن السماوات السبع والأرضين السبع عند الكرسي كحلقة ملقاة بأرض في فلاه، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة، أي: أن السماوات السبع والأرضين السبع إذا تم اتصالهم بمساحتهم الشاسعة فهم بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في صحراء، كذلك فإن الكرسي هو كحلقة ملقاة في صحراء بالنسبة لعرش الله سبحانه، وذلك يثبت لنا أن السماوات السبع والأرضين السبع ما هم إلا جزء صغير لا يكاد يُذكر من هذا العالم الذي لا يعلم

حدوده إلا الله الخالق سبحانه، وربما هناك عوالم أخرى تتلقى الأمر من الخالق سبحانه لا نعلمها: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الحاقة: ٣٨-٣٩).

ويقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ (الطلاق: ١٢).

ويقول تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (المؤمنون: ٨٦)

القيامة: إن تصورات وفروض العلم الحديث تنحصر بقدر حدود العلم في احتمال انفجار الشمس وخروج ألسنة اللهب منها حتى تصل إلى الأرض فيهلك كل شيء، ثم تُسجر وتشتعل البحار، ونتيجة لهذا التغير تتناثر الكواكب وذلك لانعدام القوة الجاذبة للكواكب من الشمس، وحين يختل ذلك تتناثر الكواكب يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾ (الانفطار: ١-٣).

ويقول أيضًا: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ (التكوير: ٦). إنه علم الله المحيط ووحيه لنبيه الأمي الذي كان لا ينطق عن الهوى.

الفلك: سخر الله تعالى للإنسان الكثير من النعم، والفلك التي تجري في البحر وهي من تسخير الخالق لعباده حتى ينتفعوا بما تحمله من أقوات ومتاع وغير ذلك مما ينتفع به الناس، ولقد سبب الله تعالى الأسباب لسير الفلك، فلو قلت كثافة الماء في البحر،أو زاد ضغط الهواء فوق سطح البحر، أو ثارت التيارات المائية أو الهوائية أو اختلت درجة الحرارة عن الحدود التي تبقي الماء ماءًا في صورته السائلة لما استطاعت الفلك أن تجري ويشير سبحانه وتعالى لتلك الحقيقة بقوله: ﴿ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦). إنه الوحي من الله علام الغيوب.

أهل الكهف: حيث كان العرب يعملون بالتقويم القمري في جزيرة العرب عند بدء الرسالة الإسلامية، كانت الحضارات السابقة تعمل بالتقويم الشمسي، ولما كان أهل الكهف يعاصرون فترة زمنية يعمل أهلها بالتقويم الشمسي لذلك صرح القرآن الكريم بفترة مكثهم بالتقويم الشمسي ثلاثمائة سنة.

ولما كان العرب يعملون بالتقويم القمري فقال تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ وبالفعل أثبت العلماء ذلك حديثًا حيث وجدوا أن ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تعادل ثلاثمائة وتسع بالتقويم القمري، كما أشرنا سابقًا فسبحان الله الحسيب العليم، والذي يخبرنا في إشارة أخرى أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، والأيام الستة ينبغي أن تقاس بأيام الناس، حيث إن اليوم عندنا مساوٍ لدورة الأرض حول نفسها مرة واحدة بزمن قدره ٢٤ ساعة على الأرض، وقد يساوي اليوم ستة أشهر نهارًا، وستة أشهر ليلًا عند القطبين الشمالي والجنوبي، ويسمى باليوم القطبي، وقد يصل اليوم في أجرام أخرى إلى ثلاثمائة مليون سنة إذا قيس بأيامنا التي تخضع لدوران الأرض حول نفسها في مثل هذا الزمن[١]. فما أضعف الإنسان أمام قوة ربه وما أفقره أمام علمه المحيط، فلا حول ولا قوة إلا بالله، إذا قالها العبد يقول سبحانه: أسلم عبدي واستسلم.

دوران الأرض: إن دوران الأرض حول نفسها ينشأ عنه الليل والنهار، ودورانها حول الشمس ينشأ عنه فصول السنة، ولقد لاحظ العلماء ورواد الفضاء أن تلك الكرة المعتمة وهي الأرض حين تدور أمام تلك الكرة المضيئة وهي الشمس فإن مواضع

---

(١) ملخص ما أضافه الدكتور أحمد شوقي إبراهيم، والدكتور زغلول النجار في الحديث عن نسبية الزمن.

الظلمة تتداخل فيها، فشيئًا فشيئًا يطول الليل وهو يأكل من النهار في مقدم الشتاء، وكذلك يطول النهار وهو يسحب من الليل في مقدم الصيف، ولا يمكن أن يدعي إنسان أنه يُمسك بخيوط هذه العملية الكونية أو بطرقها، وبخاصة في أمة أمية منذ ألف وأربعمائة عام ينظر فيها الإنسان للأرض، ويعتقد أنها ثابتة لا تتحرك ولا تدور، ولا يعرف عن سر تعاقب الليل والنهار، وأن نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس يكون مضيئًا، والبعيد يكون مظلمًا، ويأتي التحدي من الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (آل عمران: ٢٧).

ما بين السماء والأرض: اكتشف العلماء في عصرنا أن المادة تنتشر في أجزاء الكون فنحن نرى ما بين السماء والأرض فراغًا ولكن وجد العلماء انتشار المادة في فسحة الكون، وهي عبارة عن خليط من الغازات والجسيمات الصلبة المتناهية، كذلك يتصاعد من فوهات البراكين الأرضية كمية من الغازات والأبخرة الهائلة، والتي تكون مع مادة ما بين الكواكب ما يعرف بالغلاف الغازي للأرض، كما تم اكتشاف زوجين من الأحزمة الهلالية تحيط بالأرض وهي أيضًا ما بين السماء والأرض، والإعجاز هنا يتجلى في أن من ينظر بين السماء والأرض يرى فراغًا، ولا يخطر بعقله وبعينه المجردة أن هناك مادة وأحزمة هلالية وأبخرة وغازات ينتفع بها الإنسان، كالأكسجين، وثاني أكسيد الكربون، وغير ذلك، ولكن يخبرنا ﷺ بوحي من ربه منذ ألف وأربعمائة عام بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾ (ق: ٣٨). فسبحان من خلق كل شيء وعلم بكل شيء يقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة: ٢٩).

الماء: أنزله سبحانه بقدَرَ وهو يعلم بما يحتاج عباده فينزله رحمة منه، أو يمسكه غضبًا عليهم لغفلتهم وبخلهم وقد أنزله الله تعالى بقَدَر ولا يملك ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، بقَدَر من ناحية الكمية فلا يكون سيولًا مهلكة، وبقَدَر من ناحية النوعية، فماء المطر به جزء من الأملاح الذائبة لا يتجاوز ٢٠ جزء في المليون، وبذلك يكون عذبًا زلالًا، ولو زادت الأملاح عن ذلك لصار ملحًا أجاجًا لا ينبت زرعًا ولا شجرًا، ويعجز الإنسان أن ينزل المطر، أو يقدره، أو يمنع السيول، أو يطهره، فيجعله ماءًا طهورًا، ويخبرنا سبحانه بتلك الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف: ١١).

التفكر: يدعونا الله سبحانه وتعالى للتفكر والنظر في خلق السماوات والأرض وما يحتويه من دلائل القدرة، وتسخير ما ينفع الإنسان، كنزول المطر، وإنبات الزرع، وتسخير الدواب وتقدير الأقوات، وغير ذلك، ثم تبادل الليل والنهار حيث يجد الإنسان بالفعل أنه يحتاج إلى العمل بالنهار، لكنه يحتاج أيضًا إلى الراحة بالليل، فكلما احتاج الإنسان شيئًا وجد أن الله قد حكم كونه بما ينفع الإنسان وما يحتاجه، وهذا يثبت لأصحاب العقول الراجحة أن ما في الكون من تناسق وراءه يد تنسق ووراء ما فيه من نظام عقل يدبر، ووراء ما فيه من إحكام سننًا كونية تتحرك طائعة لأمرها بلا تخلف، ومن يتفكر في الماضي وصل إلى ذلك ومن تفكر في عصرنا حيث الاكتشافات الحديثة يصل إلى تلك الحقيقة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بإشارة واضحة، والنظر في كون الله، وهو كتابه المفتوح والمليء بمختلف النعم يقرؤه من يشاء أن يتأمل ويصل إلى ربه وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

اليوم الكوني: لم يكن العرب من قبل يعرفون شيئًا عن اليوم الكوني، وأن الزمن نسبي[١] يختلف من جِرْم إلى آخر بحسب دورانه في مجموعته، والملائكة والروح يعرجون بالأمر إلى الله ويتنزلون في أيام تختلف عن أيام الدنيا التي نعرفها، وعبر كون منحنى يعبر عن السير فيه بالعروج، وقد يصل اليوم في أجرام أخرى إلى ثلاثمائة مليون سنة، وهناك يوم قطبي عبارة عن ستة أشهر ليلًا وستة أشهر نهارًا، ويتجلى الإعجاز القرآني في الإخبار عن تلك الحقيقة التي لم يعرفها العلم إلا حديثًا في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤).

وذلك يثبت لنا أن النبي ﷺ كان لا ينطق عن الهوى حيث إنها حقائق لا يخبر بها إلا العليم الخبير الذي يملك السماوات والأرض، والسماوات هي كل ما يعلو فوق الأرض مع اعتبار أن طبقات الغلاف الجوي الأثيرية كالأيونوسفير وغيرها هي أغلفة تابعة للأرض وتعمل على حمايتها، لذلك يرى البعض أن الأرضين السبع هي كرات أثيرية تحيط بالأرض وتتخللها، ويرى البعض الآخر أن الأرض سبع طبقات وهي لب الأرض الصلب، ثم اللب السائل، ثم وشاح الأرض من ثلاث نطق ثم الغلاف الصخري للأرض، وهو من نطاقين أعلاهما القشرة الأرضية، ويرى البعض الآخر أن في كل سماء أرضًا مثل أرضنا، فيكون جميعًا سبع أرضين، ويدبر الله تعالى أمر السماوات والأرض، وينزل الأمر، ويعطي ويمنح بما فيه الخير لعباده، وبرحمته يمسك السماء أن تقع على الأرض يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

(الطلاق: ١٢)

---

(١) «الإعجاز العلمي في الحديث النبوي» أحمد شوقي إبراهيم.

وبالفعل فإن تلك الآية تعد من روائع الإعجاز القرآني حيث إنها تثبت لنا وتفرض سؤالًا هو مَن الذي أخبر النبي الأمي، والذي كان يعيش في أمة لم يكن بها ما يساعد على إثبات أن تلك الأرض التي يعيشون عليها ليست أرضًا واحدة، ولكن سبع أرضين، وأن السماوات التي تُظلهم هي أيضًا سبع سماوات، فحقًا إنها آية نعلم منها أن الله على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا.

الجزء الثاني

الإعجاز العلمي في آيات الله والعلوم الطبية

١- الاستنساخ والإشارة القرآنية:

في عصرنا وفي بعض الدول تمكن الشيطان من بعض العقول وحفزها على تغيير خلق الله عن طريق الاستنساخ، وقد ثبت علميًا أن الخلايا لها أعمار محددة وتتجدد باستمرار، لذلك فأي عملية استنساخ يبدو عليها علامات الكبر بسرعة، بالإضافة لحدوث الكثير من التشوهات أثناء هذه العملية، وهناك من حضروا المؤتمرات وشاهدوا صور الأجنة التي عُبث بها وراثيًا، وفي النهاية نرى أن الاستنساخ هو صورة طبق الأصل تمامًا، لذلك فهناك الحاجة منهم إلى وضع العلامات على آذان الأنعام المستنسخة لتمييزها عن غيرها، وذلك يبين أن خلق الله فيه التنوع، وعدم التشابه، فهو العليم الحكيم، ويبين لنا الله تعالى أن الشيطان سيأمر البشر بذلك يقول تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾.

(النساء: ١١٩)

كذلك هناك أمراض وراثية تنتقل للإنسان عن طريق نقل أعضاء مستنسخة من إنسان أو حيوان فما أروع خلق الله، وما أشد غرور الإنسان!!

٢- الرحم والقرار المكين:

وصف علماء الطب رحم الأم بأنه يحتوي على أربطة شديدة لتحمي الجنين من الميل أو السقوط، هذه الأربطة تطول وتقصر حسب ارتفاع الجنين أو انخفاضه، ويقول أحد العلماء المسلمين: إن من يدرس تشريح الرحم وموضعه المكين الأمين في أسفل بطن الأم حيث جداره العريض السميك، وحيث تلك الأربطة العريضة والمستديرة والتي تطول مع تقدم الحمل، وتقصر إلى طولها الطبيعي تدريجيًا بعد الولادة، إن من

يدرس كل ذلك ثم يعرف تكوين الحوض، وخصائص عظامه، يعرف جليًا صدق قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (المؤمنون: ١٣). فسبحان العليم القدير.

٣- منهج الرسالة والطب النفسي:

لقد كانت رسالة الله تعالى رحمة للبشرية كلها، فلقد حرم الظلم، والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وأوجب على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٣).

ويقول تعالى في تحريم الفواحش: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (الأعراف: ٣٣).

ولقد حرم الله البغي وقتل النفس، وقتل الأبناء خشية الفقر، ووأد البنات، وحرم الكبر وأمر بالتواضع وبر الوالدين، ورعاية الجار، وأمرنا بالتوكل عليه وأخبرنا أن الأمور كلها بيده، وأنه الرزاق والوهاب، وأنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتبه الله له، حتى تستقر النفس ويعيش المسلم راضيًا في كل حال دون الانفعالات التي تصيبه بالأمراض.

يقول «وليم جيمس» أحد فلاسفة الغرب: إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان، ففي إحصائيات البلاد الأخرى التي لا تعرف إلا طريق المادة، والغرق في الشهوات، فإن حوادث الانتحار، والأمراض النفسية، والجنون، تكثر فيها بينهم، ولكن المسلم يجد الأمل والرحمة إذا مسه الضيق في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح: ٥).

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

فما أعظم رحمة الله بالبشر، وما ألطفه بنا حينما تشتد بالإنسان صعوبات الحياة[١] ويجد المؤمن أن الله مالك الملك قريب منه ومجيب لدعوته، وهو الخالق الذي يملك الأرض بما عليها ويملك الكون بما فيه يقول تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩).

٤- الإعجاز العلمي في تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير:

أثبت العلم في عصرنا حكمة الله تعالى في تحريم الميتة، وذلك لسرعة تحلل الدم بها، وثبت أن الدم الموجود بالميتة تجتمع فيه السموم التي تفرزها الكائنات المتطفلة في الجسم، وكذلك فإن الموت يمكن أن يكون نتيجة لمرض عضوي قد أصيب به الحيوان أو طفيلي، أو تسمم، أو غير ذلك من الأمراض، وكذلك تحريم الدم للأسباب السابقة، ولأن دورة حياة كثير من الطفيليات تمر بالدم، وتفرز سمومها به، وأما الحكمة من تحريم لحم الخنزير، فلقد وجد العلماء أن الخنزير معرض للإصابة بعدد كبير من الطفيليات، فهو العائل الوحيد للدودة الشريطية التي تصيب الإنسان.

كذلك يتعرض من يربي الخنازير أو يذبحها أو يبيع لحمها إلى مرض الزحار البلنتيدي، وتتسبب الخنازير في الإصابة بالوشائع الكبدية والمعوية، وهي تنتشر أنواع منها بكثرة في الصين، والبنغال، وبورما، واليابان، وكوريا، وغيرها ويرقات الدودة الشريطية قاتلة إذا انتشرت في عضلات الإنسان، أو أصابت المخ والنخاع الشوكي،

---

(١) راجع «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والشفاء النفسي» دكتور أحمد شوقي إبراهيم.

والقلب، وغيره من الأعضاء، ويضيف أحد علماء الكيمياء بالدانمارك وهو الحائز على جائزة نوبل في مجاله، أنواعًا أخرى من الأمراض مثل حصى المرارة وانسداد قنواتها، وتصلب الشرايين، وأمراض القلب؛ وذلك لأن دهن الخنزير يختلف عن الدهون الأخرى في درجة تشبعه.

وبخصوص تحريم لحم الميتة فلقد أثبت العلماء بواسطة الأجهزة الحديثة، أن كل جزء في الكائن الميت يحتوي على مئات الآلاف من أصناف البكتريا الرمية، وبخصوص تحرير الدم، فلقد وجدوا أن تحليل الدم يثبت أصل المرض لوجود الميكروبات به، إنه العلم والإعجاز من علام الغيوب، والذي علم الإنسان ما لم يعلم، ويخبرنا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ (المَائِدَة :٣).

٥- الإعجاز فيما يسمح به الله أو ينهى عنه:

إن كل ما يأمر به الله تعالى فيه النفع للإنسان، وفيه السعادة للبشرية كلها، فحين حرم الظلم، وشرب الخمر، والقتل، وعقوق الوالدين، وغير ذلك مما أمر به الله تعالى نجد أنه ينسجم تمامًا مع النفس البشرية، ومتطلباتها، وحين أحل الله الطيبات، وأمر ببر الوالدين ورعاية الجار وأمر بالطهارة والصدق في القول والعطف على الفقير، وغير ذلك من أفعال الخير، فإن ذلك أيضًا ينسجم مع النفس البشرية، ونجد أنه من الإعجاز الإلهي أن الله تعالى حرم الميتة والدم ولحم الخنزير، وثبت بالفعل أضرارهم على صحة الإنسان بشهادة الأطباء.

وحين أباح الله ذلك عند الاضطرار فنجد أن العلماء قد فهموا الحكمة من ذلك فالموت المؤكد أشد من الضرر المحتمل من تناول هذه الأشياء، كذلك ثبت طبيًا أن

الجائع تنتبه أجهزة هضمه فيتغلب على المواد الضارة التي تدخل إلى الجسم، ولذلك لا يصح للمضطر أن يتجاوز حد الضرورة وصدق الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة:١٧٣).

كذلك حرم الله تعالى أن تعطي أموالك للموظف أو الحاكم المسئول عن أي جهة من أجل أن يمنحك حقًا ليس لك، بل هو حق لغيرك من الناس، وهي إشارة واضحة لتحريم الرشوة وما لها من أضرار على نفسك وعلى الغير، يقول تعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨).

وكذلك تجد في أمور القضاء أن من أدق المسائل القانونية لإثبات الحق في القوانين والأعراف الماضية والحديثة هي إثبات الحق بالكتابة والإشهاد، يقول تعالى في ذلك: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (البقرة:٢٨٢).

كذلك حين حرم الله تعالى الربا نجد أن الاقتصاديين يقررون أن المال لا يؤدي وظيفته في الحياة إلا إذا كان رصيد أرباحه= صفر في حالة القرض، أي أن الجنية لا يزيد على المقترض الفقير، وتعجبوا كيف أن الغني معه المال ويزيد والفقير لا يملك المال ولا الزيادة، فكيف نطلب من الفقير أن يعطي الفوائد للغني الواجد، كذلك يقررون أن طرق الكسب أربعة؛ ثلاثة منتجة والرابعة غير منتجة، والمنتجة هي الزراعة، والصناعة، والمخاطرة، أي: نقل التجارة من مكان إلى مكان وأما الغير منتجة هي الفائدة أو الربا، فصاحب المال في قلق، والمدين في قلق، ولقد أقر الأطباء أن ضغط الدم والنزلات القلبية

هي أمراض تكثر في حالة الربا وتكثر الاضطرابات النفسية، والخلل في السلوك والتصرفات، تمامًا كمن أصابه مس الشيطان وذلك عقاب من الله تعالى وحرب على هؤلاء المخالفين، الذين نسوا أن المال هو مال الله فهو الخالق الرزاق.

٦- الإعجاز في إخراج اللبن من بين الدم والفرث:

ضروع الماشية تحتوي على غدد خاصة لإفراز اللبن تمدها الأوعية الشريانية بخلاصة مكونة من الدم والكيلوز، وهو خلاصة الغذاء المهضوم وكلاهما غير مستساغ طعمًا فتقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من هذين السائلين وهما الدم والكيلوز[(١)] وتفرز عليها عصارات خاصة تحولها إلى لبن يختلف عنها رزقًا للعباد فسبحان الذي لا يعجزه شيء فهو الذي أخرج الناقة دمًا ولحمًا تُدر لبنًا من الصخرة الصماء لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الذي خلق الهيكل العظمي، والأمعاء الملتفة والريش الأسود من المادة الصفراء والبيضاء في البيضة المغلقة، إنها قدرة الله كن فيكون وكذلك الخروج يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ (النحل: ٦٦).

٧- الإعجاز في تقديم السمع على البصر والليل على النهار:

ومن إعجاز الله تعالى أيضًا أنه قدم السمع على البصر في القرآن الكريم، وقد أثبت الطب أن السمع يبدأ مبكرًا، ويكتمل في شهر الجنين الخامس فيسمع وهو في رحم أمه ولكن البصر يكون بعد ذلك، ولا يتم تركيز الإبصار إلا بعد الولادة بفترة، أما الفؤاد وهو جهاز الإدراك والتمييز فلا يميز الطفل أو يدرك إلا بعد مرحلة كبيرة

(١) «الإعجاز في إخراج اللبن من بين الدم والفرث» الدكتور/ أحمد فؤاد باشا.

من عمره وهذا هو ترتيب ممارسة الحواس في العلوم الطبية، ويخبرنا الله تعالى عن ذلك الترتيب منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ (النحل:٧٨).

كذلك وجد العلماء أن أغلب الفضاء الكوني هو ليل، والنهار هو طبقة تظهر لنا من خلال وظائف الغلاف الجوي، ونجد أن الله تعالى يقدم الليل على النهار في آيات القرآن الكريم..إنها قدرة الله علام الغيوب.

٨- الشيخوخة وخلايا الإنسان:

لقد لاحظ علماء الطب أنه عند الكبر يحدث الضمور في بعض أنسجة الجسم وأجهزته المختلفة مما في ذلك من الأثر على إضعاف الجسم كله، وبذلك يقل الدم الذاهب إلى جميع أجزاء الجسم فيظهر ضعف الإنسان وتبدو عليه آثار الشيخوخة، والتي يرى العلماء أن من أسبابها زيادة قوى الهدم على قوى البناء في الجسم، فإذا كانت نسبة تجدد الخلايا كنسبة هلاكها لا تظهر أعراض الشيخوخة، أما إذا زادت نسبة هلاك الخلايا على نسبة البناء فتظهر بذلك الأعراض وكلما تقدم السن بالإنسان قلت نسبة التجدد في الخلايا، كالأغشية المبطنة للقنوات الهضمية وقنوات الغدد وغير ذلك من خلايا البشرة وغيرها يقول تعالى في ذلك: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس:٦٨).

٩- الخير في إنزال المن والسلوى:

اكتشف العلم أخيرًا حقيقة علمية تشير إلى أن تغذية الإنسان بالمواد البروتينية التي تكون من أصل حيواني كلحوم الحيوانات والطيور، ومنها السمان (السلوى) أفضل من تغذية الإنسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوي

واستفادة الجسم منها، كما أن المن الذي أساسه المواد السكرية والتي تُعد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الإنسان، والمنُّ عبارة عن مادة حلوة لزجة كالعسل كانت تسقط على الشجر بأمر الله مع طلوع الشمس، وكان طير السلوى يأتيهم بكرة وعشيًا، ولكن بني إسرائيل رفضوا هذه النعمة واختاروا ما تنبت الأرض من البقول وغيرها، وهي أقل في القيمة الغذائية عن هذا الطعام المنزل إليهم باختيار الله تعالى فكان الرد الإلهي عليهم قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البَقَرَة:٦١).

١٠- علاقة الشمس بالإبصار:

لقد وجد العلماء في عصرنا بعد الكثير من الأبحاث والدراسات في العلوم الكونية وبعد ارتياد الفضاء، وتسجيل ملاحظاتهم واكتشافاتهم عن باطن الشمس شديد الحرارة والذي يفوق درجة الحرارة المنبعثة من سطحها، ورغم ذلك فهو مظلم لأنه يُصدر إشعاعات غير مرئية مثل أشعة جاما، وأشعة أكس، والأشعة فوق البنفسجية، ولكن هناك **طبقة في الغلاف الجوي** تقوم بتحويل الإشعاعات الغير مرئية المنبعثة من باطن الشمس إلى أشعة مرئية في صورة ضوء الشمس المرئي، وهذا من إبداع الله ورحمته، ومن الإعجازات القرآنية، أن الله تعالى يصف لنا تلك الحقيقة في القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

(الإِسْرَاء:١٢)

وآية النهار هي علامته حيث إن الطبقة الخارجية للشمس والعالقة في الغلاف الجوي تحول حرارة الشمس إلى ضوء مرئي فنُبصر الأشياء، وذلك بانعكاس الضوء على

الأشياء مرتدًا إلى العين فبذلك يتم الإبصار، وهذا يثبت أن العين لا تُبصر بذاتها بدليل أننا لا نرى في الظلام، ولكن الرؤية تتم بوجود النهار وانعكاس الأشعة على الأشياء وبذلك تكون آية النهار هي المبصرة، ولم يقل الله تعالى العين هي المبصرة أو الشمس هي المبصرة كما يظن الإنسان بخواطر عقله المحدود، والذي يؤيد ذلك رواد الفضاء، حيث وجدوا أنه بعد مسافة ٢٠٠كم من سطح البحر، الكون يبدو مظلمًا تمامًا، والشمس تظهر كقرص أزرق في صفحة السماء الحالكة الظلمة، أي أن طبقة الغلاف الجوي هي التي تحول أشعة الشمس الحرارية إلى ضوء.

١١- من الإعجاز في علم الأجنة:

إن علماء الأجنة قد سجلوا الكثير من الاكتشافات بفضل التقدم العلمي وبواسطة الأجهزة الحديثة، والميكروسكوبات التي تكبر آلاف المرات، ومن صور الإعجاز ما قرره الدكتور بارتان رئيس قسم التشريح بفينتوبا بكندا، وله مؤلفاته العديدة وبحوثه الكثيرة فهو يقرر أن الصورة للجنين في اليوم السابع والثلاثين لا تمييز فيها للإنسان، والصورة في بداية اليوم الثاني والأربعين ليس فيها شكل الإنسان أبدًا أما في نهاية اليوم الثاني والأربعين فقد تم تصوير الجنين فكانت الملاحظة أنه أصبح واضح المعالم، وهذا ما يقرره الرسول ﷺ في الحديث الشريف الذي رواه مسلم وهو قوله ﷺ: «**إذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وجلدها وعظامها ثم قال: يا ربِّ أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء**».

ويعترف الدكتور سامسونج في أحد مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بالسعودية(١): بأن الإنسان يُخلق من اجتماع نطفة الذكر وبويضة الأنثى، وبعد ذلك يتقرر البرنامج الوراثي في الكروموزومات التي هي مرحلة النطف وهذا الاعتراف ينطبق تمامًا مع قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ (عَبَسَ: ١٧-١٩).

إنها حقائق قرآنية تثبت للإنسان أنه لا يعلم إلا ما سمح الله له به من العلم يقول تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العَلَق: ٥).

فلقد كان البشر حتى منتصف القرن الماضي يتصور أن الجنين يتكون من دماء الحيض فقط، وعندما تم اختراع الميكروسكوب في القرن السابع عشر اكتشفوا وجود الحيوان المنوي، واعتقدوا أن كل خلية منوية تحمل كائنًا بشريًا كاملًا، وفي القرن الثامن عشر اكتشفوا البويضة بواسطة الأجهزة الأكثر دقة كالميكروسكوبات الإليكترونية التي تكبر آلاف المرات، وبذلك أدرك العلماء أن الجنين خُلق من خليط من ماء الرجل والمتمثل في الحيوان المنوي، وماء الأنثى المتمثل في البويضة، ويخبرنا الله تعالى عن تلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (الإنسَان: ٢)

ومعنى كلمة أمشاج أي: خليط من ماء الرجل وبويضة الأنثى، لذلك كان اعتراف علماء الغرب في مؤتمرات الإعجاز القرآني بأن تلك الحقائق هي بالفعل الوحي من السماء، يقول ماريشال جونسون بعدما استمع إلى الأدلة القرآنية المطابقة لما اكتشفه في علم الأجنة بواسطة أجهزة لم تكن معروفة من قبل حيث أظهرت الصور بداية

---

(١) «الإعجاز العلمي» شهادات علماء الغرب – الشيخ/ عبد المجيد الزنداني.

تكوين الجنين وهو يشبه قطعة اللبان الممضوغ وكان ذلك مطابقًا للوصف القرآني: ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (الحج: ٥).

يقول متعجبًا: «نعم إنه الوحي، والوحي فقط من الله سبحانه وتعالى».

١٢- ألم الأمعاء وبصمات الإنسان:

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ويعلم بقدرته ما يحتويه جسد الإنسان من أسرار القدرة والإبداع، ووجود الأجهزة الحديثة في عصرنا كالميكروسكوبات الإليكترونية وغيرها، والتي تمكن الإنسان بها من معرفة حقائق كثيرة في نفسه كانت تغيب عن تصوراته وعقله المحدود، فلقد اكتشف الإنسان بواسطة تلك الأجهزة أن بصمات الإنسان والتي تُعرف في اللغة باسم البنان أو العلامات الثابتة على الأصابع، هي لا تتكرر في الأشخاص[(١)]، فكل فرد له بصماته المميزة له وهي تختلف من شخص لآخر، وقدرة الله تعالى عند بعث الإنسان، أن يبعث بقدرته كل فرد بنفس تلك البصمات الدقيقة ويشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣-٤).

ولقد أشار الأطباء إلى ألم الجهاز الهضمي يبلغ قمته عند وصوله للأمعاء، وبخاصة عندما تثقب الأمعاء، فلكي يكون الشعور بالألم الشديد، لابد من وصول الألم للغشاء البريتوني، وذلك بثقب الأمعاء أو قطعها، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٥). فسبحان القادر العليم الخبير.

---

(١) ذكر تلك الحقيقة الدكتور/ أحمد فؤاد باشا في حديثه عن القرآن والعلم الحديث.

١٣- مخالفة الفطرة وجنون البقر:

لقد أحل الله تعالى للإنسان الطيبات وحرم عليه الخبائث، وحين يلتزم الإنسان بهذا الأمر تجد السلامة من كل سوء، فكل ما هو خبيث يجلب الضرر ويسبب الأمراض الخطيرة للإنسان، ولقد كانت حكمة الله تعالى أن جعل الحيوانات تنقسم إلى آكلات اللحوم، وآكلات العشب، ولكن بعض البلاد خالفوا فطرة الله تعالى وحكمته في هذا العصر، فأخذوا في طحن العظام والدهون، واستخدموا ذلك علفًا للحيوانات آكلات العشب، فكانت النتيجة هي تلك الأمراض الخطيرة التي لم نكن نعرفها من قبل ومنها جنون البقر.

ولقد أخبرنا النبي ﷺ بخطورة تلك المخالفة منذ ألف وأربعمائة عام فأخبرنا بأن الحيوان إذا رم يُحبس، أي إذا أكل طعام غير طعامه المعتاد يحبس ولا يُذبح حتى يطهر جسده، وذلك بتغيير هذا الطعام المخالف لطبيعة ما يتناوله بالعشب الطبيعي الذي اعتاد أكله والرعي فيه، وذلك حتى لا يكون الحيوان مصدرًا للأمراض الخطيرة التي تضر بالإنسان كهذا المرض وغيره من الأمراض التي تأتي عن طريق المخالفة لأمر الله ورسوله.

١٤- الميكروسكوبات واكتشافات العلماء:

إن الأجهزة الدقيقة التي استخدمها العلماء في عصرنا أوضحت الكثير من الاكتشافات العلمية المطابقة للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والأمثلة على ذلك كثيرة، فلقد اكتشف علماء الأجنة أن الجنين في بدايته عبارة عن مجموعة من العروق المعلقة بالرحم والتي تكون بعد ذلك الحبل السري الذي يمد الجنين بالغذاء اللازم له من الأم، وبعد مرور فترة تقدر بحوالي أربعين يومًا، نظر العلماء في هذه القطعة اللحمية المصمت.

فوجدوا أن قطعة اللحم والتي لا يتعدى طولها السنتيمتر الواحد، بها تجاويف وعلامات تشبه بصمات الأسنان على قطعة اللبان الممضوغة، ولكن إذا نظروا بأعينهم المجردة فلا يستطيعون تمييز تلك العلامات، وتظهر كقطعة لحم عادية ولقد قام العلماء بتشريح تلك القطعة تحت الميكروسكوب فوجدوا بداية تكوين الأجهزة المختلفة ولكن دون أن يكتمل هذا التكوين، وإذا نظر العلماء بأعينهم دون استخدام الجهاز فلا يستطيعون تمييز شيء من ذلك ولقد أخبر الله تعالى عن تلك الحقائق منذ ألف وأربعمائة عام حيث لم تكن هناك مثل تلك الأجهزة في عصر النبي ﷺ وذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (الحج: ٥).

ولقد تعجب عالم الأجنة كيثل مور في أحد مؤتمرات الإعجاز القرآني، حين ترجموا له معنى الآية الكريمة[١]، **فقال متعجبًا**: «إن كلمة علقة هي اسم على مسمى لما رأيناه بواسطة الأجهزة، وهي أنها عبارة عن مجموعة عروق معلقة بالرحم، وكلمة مضغة هي أيضًا اسم على مسمى لما رأيناه من أنها تشبه قطعة اللبان الممضوغ بما تحتويه من العلامات والتجاويف التي تشبه علامات الأسنان، وكلمة مخلقة وغير مخلقة هي اسم على مسمى لما رأيناه تحت الميكروسكوبات لوجود أجهزة بدأت تتكون ولكن لم يكتمل تكوينها ولا يكون ذلك إلا الوحي من السماء».

وكذلك وجد العلماء بواسطة تلك الأجهزة الدقيقة مواد مضادة للجراثيم، وقد تم عزلها من حول جسد الذبابة، وكانت ذات مفعول قوي على أمراض التيفود

---

(١) تحدث عن هذا المؤتمر الشيخ/ محمد متولي الشعراوي . في كتاب «الأدلة المادية على وجود الله».

والحميات التي تنقلها الذبابة، وهذا يفسر الحديث الصحيح الذي يخبرنا به النبي ﷺ: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في أحد جناحيه الداء وفي الآخر الدواء**» يقول موفيتش وهو أحد علماء الغرب: «إن جرامًا واحدًا من هذه المادة يمكنه أن يحفظ أكثر من ألف لتر من اللبن الملوث بجراثيم تلك الأمراض».

أي أنه بغمس الذبابة تخرج تلك المواد المضادة للجراثيم التي علقت بأرجل الذبابة وجسدها، وبالتالي تُبطلها، ولقد تمكن العلماء في عصرنا من استخراج كثير من مبيدات الجراثيم والأجسام المضادة للجراثيم من التراب، حيث إن الجراثيم الموجودة في التراب بها ذيفان قوي يتمكن من القضاء على أنواع الجراثيم الأخرى، لذلك فإن الطب الحديث قد استخرج من المواد المستقذرة أدوية حيوية كالستربتومايسين والتتراسيكلين والبيومايسين وكلها مبيدات الجراثيم الموجودة في التراب، ولقد تم استخراج البنسلين من طفيليات العفن والستربتومايسين من جراثيم تراب المقابر؛ لأنه أكثر تلوثًا من التراب العادي، فهو يحتوي على نسبة أعلى من مبيدات الجراثيم القوية.

وهذا أيضًا يفسر لنا حديث الرسول ﷺ: «**طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه كلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب**» إنه دائمًا لا ينطق عن الهوى وإخباره هو الوحي من السماء.

١٥- ما فوق عقول البشر والوحي من الله:

«قول النملة، عرض الأمانة، الخلق من الطين»

من يتأمل آيات القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات التي لا تخطر بعقول البشر أن ينطقوا بها، حيث لا تتسع لذلك مدارك عقولهم كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ (النمل: ١٨).

ولا يخطر بعقل بشر أن يقول: «قالت نملة» لأن حدود عقل الإنسان لا تتصور أن النملة يمكن أن تتحدث، كذلك لا يخطر على عقل بشر إذا كان يدعي الزعامة ويدعو الناس إلى أمر من الأمور أن يقول لهم ذلك لأن الناس سينصرفون عن دعوته ولا يصدقون هذا الأمر فهي معرفة فوق طاقة البشر جميعًا، ولا يقول قالت نملة إلا من يعلم بلغة مخلوقاته وهو الله سبحانه وتعالى، كذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ولا يخطر على عقل بشر أيضًا أن يخبر بتلك الحقيقة لأن الإنسان لا يعرف لغة للسماوات ولا لغة للأرض، لا يقول ذلك إلا من يعلم بلغة مخلوقاته وهو الله تعالى كذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون: ١٢).

ولا يقول ذلك إلا الله الذي يعلم بسر بداية صنع الإنسان وهو الطين والنبي ﷺ لم يطلع على هذا السر، فلقد كان يرى الإنسان بعينه البشرية دمًا ولحمًا وعظمًا ولم يخطر بعقله أن الإنسان خُلق من الطين إلا بوحي الله تعالى الذي يعلم بأسرار خلقه، ويبدو الإعجاز في أن العلماء في عصرنا قاموا بتحليل جسم الإنسان فوجدوه يتكون من نفس عناصر الطين، وهذا يثبت أن النبي ﷺ كان لا ينطق عن الهوى، وهناك الكثير من الآيات التي تثبت وتوضح ذلك كآيات العتاب للنبي ﷺ وآيات الوعيد كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٥)

وقد أشرنا إلى ذلك في فصول أخرى من الكتاب السابق مواقف وإعجازات.

١٦- تيسير الولادة والإعجاز فيما يُكتب على الجبين:

إن تيسير السبيل في الولادة أمر عجيب لأنه حَيَّر القدماء والمعاصرين، حيث يتعجب الإنسان ويتساءل كيف يمر الجنين في ذلك الممر الضيق، وكيف يتسع عنق

الرحم في مرحلة المخاض، والذي لا يتسع قبلها لحجم أحد أصابع الإنسان، حتى أنه ليخرج منه الجنين كاملًا بجسده ويديه وقدميه(١).

ليس ذلك فحسب يل يروي علماء الأجنة أن الزوايا تنفرج لتجعل ما بين الرحم وعنقه طريقًا واحدًا وسبيلًا واحدًا ليس فيه أي اعوجاج كما هو معتاد، وكذلك تكثر الإفرازات والهرمونات التي تعمل على تسهيل الولادة وانزلاق الجنين، وتجعل عظام الحوض وعضلاته ترتخي بتأثير هرمون الارتخاء *Relaxing* وتجتمع هذه العوامل جميعًا لتيسر بفضل الله سبل خروج هذا المخلوق إلى الدنيا، وليس ذلك فحسب ولكن يسر الله له الرزق بإفراز لبن الأم بمجرد ولادته، ثم يسر له عطف والديه لرعايته، ثم يسر له سبل المعاش حتى الممات فله الحمد في كل وقت وحين، ويقول تعالى مشيرًا إلى ذلك التيسير ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (عبس: ١٧-٢٠).

ومن أحد الإعجازات المبهرة اكتشاف العلماء بواسطة الأجهزة المكبرة والتصوير الإليكتروني الحديث نقوشًا مكتوبة بدقة بارعة على جبين الجنين ووجهه فيما بين عينيه وذلك بشعيرات دقيقة مرسومة بمهارة فائقة، والغريب أنه لا يوجد اثنان على وجه الأرض تتشابه فيهم تلك الكتابة حتى ولو كانا توأمين ويخبرنا ﷺ عن ذلك في إحدى الإشارات بالحديث المعجز: «**ثم يُكتب ما بين عينيه حتى النكبة ينكبها**» فالحمد لله أنه سبحانه يرينا آياته في الآفاق وفي أنفسنا فنعرفها ونأمل في وعده بالنظر إلى وجهه الكريم، وفي الجنة خالدين فيها.

---

(١) انظر: «عالم الأجنة والأرحام» دكتور/ أحمد شوقي إبراهيم، وإشاراته حول إبداع الله تعالى في خلق الأرحام، ورزق الجنين، ورعايته، وتيسير السبل له حتى الولادة.

١٧- الناصية والكذب والخطأ:

لقد أثبتت العلوم الطبية أن ناصية الإنسان وهي مقدمة الرأس تلعب دورًا هامًا في السيطرة على تصرفات الشخص وأفعاله وكل ما ورد في المراجع الطبية الحديثة وجد مطابقًا تمامًا لما أشار إليه القرآن الكريم، فالناصية تحتوي على الفص الجبهي أو ما يسمى بالقشرة الأمامية الجبهية، هذه القشرة تشكل مركزًا أساسيًا من مراكز التركيز والتفكير والذاكرة وهي الموجهة لتصرفات الإنسان الشخصية مثل الصدق والكذب والصواب والخطأ، وهي أيضًا التي تحت الإنسان على المبادأة سواء كانت مبادأة بالخير أو بالشر لذلك حين كانت تلك الناصية تحت أبا جهل على منع النبي ﷺ من الصلاة عند البيت والمبادأة بالشر رغم ما يريده النبي ﷺ وأصحابه من الخير، فتكون تلك الناصية خاطئة ومكذبة بالحق ولذلك كان الرد من الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق: ١٤-١٥).

١٨- حبل الوريد وعنق الإنسان:

أثبت علماء التشريح بعد الفحوص الدقيقة وبواسطة الأجهزة الحساسة أن حبل الوريد هو وريد يكتنف العنق ويتفرع من المخ، ويتلقى الأحاسيس المختلفة عن طريق ارتباطه بمراكز المخ والتي يتفرع منه على جانبي الصدغين الملايين من الخلايا الحافظة لحوادث الإنسان، هذا الحبل يتصل بالمخ حيث أسرار الإنسان ووساوس النفس والأفعال المختلفة ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

ولقد تمكن العلماء في عصرنا منذ بدء الجراحات الدقيقة في المخ من اكتشاف مراكز الحفظ فهناك مراكز لحفظ الأصوات، وأخرى لحفظ المرئيات[١] وهي تتصل ببعضها وتحتوي كل ما يحدث للإنسان حتى مماته بحيث تكون كتابًا دقيقًا حاويًا لكل ما قام الإنسان بعمله طوال حياته، يقول تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء: ١٣-١٤).

معنى ذلك أن الله سيُخرج لنا يوم القيامة كتابًا فيه كل أفعالنا في الدنيا ليكون الإنسان شاهدًا على نفسه، وليس ذلك بالعجيب على قدرة الله الذي خلق الإنسان وجعل الأرض جميعًا قبضته والسماوات مطويات بيمينه والحكمة من مجيء لفظ حبل الوريد بصيغة المفرد رغم أنهما وريدان يتفرعان من المخ، أن أحدهما فقط يعمل بقدرة الله حتى لا تختلط المعلومات في ذاكرة الإنسان، وفي عصرنا تمكن الإنسان من اختراع آلة تصوير تلتقط صور الماضي تم تجريبها في مكان مخصص لوقوف السيارات، ويعتمد عملها على ما يُعرف بالانبعاث الحراري أو الطاقة المنبعثة من الأجسام، حيث إن المعروف أن كل جسم يتكون من إليكترونات ونيترونات، تدور باستمرار وبلا توقف.

وبهذه الآلة تم تصوير جريمة قتل بعد وقوعها بمدة، وظهرت في الصورة شخصية القاتل المختفي، وجثة القتيل بعد نقلها، هذا ما توصل إليه عقل الإنسان الذي صوره الله تعالى من الماء المهين، فما بالنا بالخالق حين يقول: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ (النبأ: ٤٠). يدل ذلك على أن الإنسان سينظر إلى كل ما فعله ويراه بطريقة أشبه ما تكون بالعرض السينمائي، وبقدرة الله يكشف لنا صور الحوادث فيرى الإنسان نفسه

---

(١) بحث علمي عن تلك الحقائق مجلة (منار الإسلام) وأشار إليها تفصيلًا، الدكتور/ أحمد فؤاد باشا، في حديثه عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وهو ساع إلى الخير أو الشر، وعند ذلك تبيض وجوه المؤمنين، وتسود وجوه العصاة من الحسرة والندم.

١٩- مركز الإحساس بالألم في الجلد:

يقول العالم التايلاندي تاجاثاث تاجاسن، وهو التايلاندي الأصل ومن أكبر علماء العالم في علم التشريح، حين سأله العلماء المسلمون في إحدى المناظرات عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والتي كان يدير حوارها الشيخ الزنداني اليمني الأصل، وبعض العلماء من السعودية حيث سألوه عن مركز الإحساس بالألم فقال: كنا نظن أنه المخ ولكن بعد اختراع الميكروسكوب الإليكتروني وجدنا أنه الجلد، حيث إنه إذا احترق الجلد ينتهي الإحساس بالألم تمامًا(١).

وذلك لوجود الأعصاب الحسية أسفل الجلد مباشرة، وكذلك نهاية الأعصاب الطرفية والتي توصل الأثر إلى المخ، وبذلك يكون الجلد هو الأساس في الإحساس بالألم، ولقد أخبره العلماء أن النبي ﷺ يخبرنا عن تلك الحقيقة التي توصل إليها العلماء حديثًا بوحي من ربه منذ ألف وأربعمائة عام وذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦).

قال العالم: لا يمكن أن يكون ذلك إلا وحي من السماء، حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأعلن الشهادتين في المؤتمر.

---

(١) انظر: «الأدلة المادية على وجود الله» الشيخ/ محمد متولي الشعراوي، في الحديث عن هذا المؤتمر وإسلام علماء الغرب.

٢٠- أساس الذرية والصلب والترائب:

أثبت العلماء في عصرنا أن مَني الرجل هو الذي يتحدد منه نوع المولود، ذكر أم أنثى، وكانوا من قبل يظلمون النساء ويعتبرونها المسئولة عن نوع الجنين، حيث وجدوا أن الخلية بها ٢٣ زوج من الكروموسومات التي تحمل الصفات الجسمية، وهي متشابهة في الذكر والأنثى ولكن الزوج الرابع والعشرون يختلف في الذكر عن الأنثى؛ لأنه المسؤول عن تحديد الجنس، ولقد رمزوا له في الأنثى بالرمز (x x) ورمزوا له في الذكر بالرمز (x y) ولا يكون المولود ذكرًا إلا إذا اجتمعت y من الذكر بـ x من الأنثى فيكون الناتج (x y) أي مولودًا ذكرًا ولقد أشار الله تعالى لتلك الحقيقة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

(القيامة: ٣٧-٣٩)

ومعنى ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي: من المني جعل الله الذكر والأنثى.

ولقد اكتشف العلماء أن مني الرجل يتكون من صلبه أي: من ظهره وأن بويضات الأنثى تتكون من عظام صدرها أي ترائبها يقول تعالى في ذلك: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (الطارق: ٥-٧).

ووجد العلماء أن أساس الذرية من الظهر، حيث وجدوا أن الجنين في الرحم تنبت له الخصيتان في ظهره أسفل الكليتين، وتبقيان كذلك حتى شهره الأخير ثم تنحدر لأسفل حيث مكانهما المعتاد، يقول تعالى مشيرًا إلى ذلك ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

إن آيات الله تتحقق فأي آيات الله ينكر الإنسان؟!

٢١- سبحان من علم الإنسان ما لم يعلم:

لقد تقدمت العلوم البشرية في عصرنا، وعرف الإنسان الكثير من أسرار الخلق التي يسمح بها الله تعالى في ميعادها المناسب بما تتحمله عقول البشر، فلقد اكتشف العلماء الجينات في الكروموسومات الموجودة في الخلية، واكتشفوا أنها المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية من الكائن الحي إلى غيره، ثم جرت محاولات عديدة لتقطيع الحامض النووي الديوكسي ريبوذي *Deoxy Ribonucleic Acid Dna* بواسطة الإنزيمات القاطعة، ثم وضعوا هذا الحامض المزدوج في خلية بدائية النواة مثل بكتريا القولون، وذلك لإنتاج كميات عديدة من البروتينات المرغوبة، ثم إدخال هذه الجينات والبروتينات المصنعة إلى خلية حقيقية النواة، وذلك بهدف التعويض عن وظيفة ناقصة أو قصور معين بسبب الأمراض ومنح هذه الخلية وظيفة جديدة عليها وقد كانت الثمرة من ذلك إنتاج وتصنيع هرمون الأنسولين لحل مشكلة مرض السكر بدلًا من العلاج الكيميائي الذي تضاده الأجسام، المضادة في الجسم لكونه غير نقي تمامًا، حيث إن أغلب الأنسولينات المستخلصة من حيوانات لا تكون نقية تمامًا، وبذلك تمكن العلماء من إدخال الحامض النووي الريبوذي التزاوج الذي يحتوي على جين الأنسولين وإدماجه في خلية بكتريا القولون البدائية والتي سرعان ما تقوم بتصنيع هرمون الأنسولين من هذا الجين، وبهذه الطريقة أمكن تحضير الأنسولين الآدمي للإنسان بواسطة تجارب وأبحاث الهندسة الوراثية.

ولقد استخدمت تلك الأبحاث في إنتاج الجينات المضادة للفيروس *C* وهو الشديد الخطورة على الكبد وتسمى تلك الجينات بالإنترفيرون *Interferon* والتي تم استنساخها عن طريق بكتريا القولون التي أشرنا إليها، ولقد وجد العلماء أن تلك

المضادات تحتوي على سلاسل قصيرة من السكريات المرتبطة، مما يصعب على بكتريا القولون من ربط سلسلة السكريات لتكوين هذا البروتين المسمى بالإنترفيرون، وهو ما تقوم به خلية الإنسان بكل سهولة في أحوالها المعتادة، مما يثبت أن صنع الله وهندسته فوق كل شيء، ولكن الله الكريم لا يبخل على الإنسان بأن يتعلم ويستفيد يقول تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق :٣-٥).

وبسبب صعوبة إنتاج هذا الجين المضاد للفيروس فإن سعره يصل إلى عشرات الألوف من الجنيهات، وهذا ليس في استطاعة الكثير من البسطاء، ولكن القادرين ماديًا لا يترددون في العلاج بهذا الجين بالرغم من أنه ليس بالقطع هو الوسيلة الموثوق بها في إبادة هذا الفيروس الكبدي المدمر للكبد، وهذا هو المسموح من علم الله النافع للبشرية، ولكن هناك من التجارب التي يرفضها الدين والعلم، وتلاقي اعتراضًا عالميًا واسع المدى وهي تجارب الاستنساخ.

وملخص هذه العملية هو تحضير الخلية من ثدي أو ضرع الحيوان المقصود النسخ منه، ثم تبدأ عملية تغذية تلك الخلية لتبدأ عملية الانقسام، حيث تتولد منها نسخ مناظرة تمامًا تسمى النسخ الكربونية، ثم يتم الحصول على بويضة غير مخصبة، ويتم إزالة النواة منها، ثم تدمج الخلية الثديية المحضرة كما سبق في تلك البويضة بواسطة الاستحثاث الكهربائي، حيث تقوم جزيئات البويضة ببرمجة الجينات في الخلية الثديية لإنتاج الخلية الأولية للجنين ثم ينمو التجمع الخلوي للجنين في مراحله الأولى، ثم يتم نقله بعد ذلك إلى رحم حيوان آخر، وبعد ذلك يصير الجنين كاملًا، إلى أن يولد بالطريقة المعتادة، فيكون صورة ونسخة طبق الأصل من الحيوان المأخوذ منه الخلية الثديية، لكننا نلاحظ أن كل أدوات التجربة هي من صنع الله تعالى سواء كانت أولية أم ثانوية، فالله تعالى هو الخالق لكل الكائنات وما تحتويه من الخلايا.

والإنسان نفسه كان من قبل قطرات من الماء المهين وشكَّله الله بقدرته بعد أن كان مستقرًا وسط الظلمات، ومن إبداع الله تعالى أن الخلايا تتجدد باستمرار، لذلك فالنعجة التي تم استنساخها بمعهد روزالين باسكتلندا بدى عليها الهزال والضعف وعمرها لم يتجاوز الشهور القليلة وانتهى بها الأمر إلى الوفاة، وهناك من حضروا المؤتمرات وشاهدوا صور الأجنة التي عُبث بها وراثيًا نتيجة التجارب الوراثية، حيث كانت المشاهد والتشوهات الغريبة والعبث التابع لأوامر الشيطان لتغيير خلق الله، وفي النهاية يفيق الإنسان من هذا الغرور حين يدرك حقيقة نفسه، وحين ينظر فيعرف أن الله هو أحسن الخالقين.

٢٢- أسرار خلق اللّه والغدة الصنوبرية:

الغدة الصنوبرية *pinealgiand* هي غدة صغيرة توجد في منتصف مخ الإنسان وهي تتكون مع الجنين في أطواره الأولى، وتأخذ في النمو بعد ذلك حتى سن البلوغ والاحتلام، ثم تأخذ هذه الغدة في الفتور مع تقدم سنوات العمر، ويقل تبعًا لذلك إفرازها لهرمون الميلاتونين، وله دوره الفعال كما أشار العلماء في تكوين جسم الإنسان واتساقه وحيويته وتنظيم حركته، ويزداد معدل إفراز هذا الهرمون إلى أقصى نسبة في الثلث الأخير من الليل، ثم يقل تدريجيًا مع ظهور أنوار الصباح حيث إن الأضواء الساطعة توقف إفراز ونشاط هذه الغدة لذلك فإن الظلام والليل فيه نعمة عظيمة للإنسان.

فإذا كان النهار يختص بالكدح والسهر والعمل وإهدار الطاقة فإن الليل فيه السكن وزيادة عمليات البناء في جسم الإنسان حيث تدخر الطاقة ويتم الحفاظ عليها، فمع النوم يقل النبض وتهدأ ضربات القلب ويهبط ضغط الدم إلى أدنى معدلاته، وفي

اليقظة يسرع النبض، وتسرع ضربات القلب بزيادة المجهود، ويرتفع ضغط الدم حسب درجات التوتر والانفعالات، وأثناء النوم تسترخي عضلات الإنسان ويقل نشاط المخ حيث تأخذ خلاياه قسطًا من الراحة والاستجمام، ولكن تظل هناك الحركة الديناميكية في المخ رغم عزلته عن الوجود الخارجي[(١)] بدليل حدوث الأحلام والرؤى والمشاهد رغم النوم العميق وهذا إثبات أن الإنسان ليس مادة فقط ولكنه مادة وروح، لذلك يخبرنا النبي ﷺ أن الرؤيا الصالحة من الله تعالى والحُلم من الشيطان، **ومن حكمة الله تعالى** أن عضلات الجسم تكون في حالة استرخاء أثناء النوم، ولكن صنفًا من العضلات يزداد قوة وتماسكًا أثناء الليل كعضلات فتحة الشرج، وفتحة الإحليل من جهة المثانة البولية لمنع خروج البول، والغائط أثناء النوم، ولولا ذلك لما استطاع الإنسان أن يحتفظ بنظافته وطهارته أثناء النوم فسبحان القدير.

ونجد أن القلب يعمل ولا يتوقف أثناء النوم رغم الانعزال التام عن الوجود الخارجي، ولقد لاحظ العلماء بعد دراسات عميقة أن معدل إفراز هرمون النمو يزداد في الساعتين الأوليين من النوم، وهو العامل المساعد لنمو الأطفال الذين ينالون قسطًا وفيرًا من النوم والراحة، وكذلك لاحظ العلماء أن هرمون الكورتيزون وهو من أقوى المضادات للحساسية وانخفاض ضغط الدم يتم إفرازه في النصف الثاني من الليل، وبذلك يتم تحسن مرضى الحساسية الصدرية والحساسية الجلدية، ومرضى الربو الشعبي، وهو يعادل انخفاض ضغط الدم الملحوظ أثناء النوم، ويسمي الأطباء هذا الهرمون بالساحر العجيب لمفعوله الأكيد في علاج الكثير من الأمراض الباطنية الحادة

---

(١) بحث علمي عن إعجاز الله تعالى في خلق الغدة الصنوبرية، وملخص مجموعة أبحاث عن أسرار الله في خلقه مجلة الإعجاز العلمي، عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي.

والمزمنة وهو مناسب لعلاج الكثير من الأمراض إنه تقدير الله تعالى والعليم الخبير الذي جعل النوم راحة للأبدان يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبأ: ٩).

أي: راحة لأبدانكم، وهو بالفعل راحة للبدن الصحيح والمريض، ولقد لاحظ العلماء فتور القوى والحيوية والطاقة بتقدم العمر؛ وذلك بسبب فتور الغدة الصنوبرية مع تقدم سنوات العمر وضعف إفراز هرمون الميلاتونين، فقامت المعاهد والمراكز البحثية بتصنيع العقاقير المشابهة لهذا الهرمون لمنح الطاقة والحيوية في فترات الشيخوخة ولقد كان ذلك منحًا من علم الله ونفعه الذي تتعلم منه البشرية إلى قيام الساعة، فسبحان الخالق الذي لا يبخل على الإنسان بأسراره وعلمه فهو الحليم الكريم.

٢٣- لبنة البناء في جسم الإنسان وما يهدمها:

خلق الله الإنسان من بعض قطرات الماء المهين المستقرة وسط الظلمات، ثم منحه الله تعالى نعمًا كثيرة، فمنحه عينين ليرى الكون من حوله، ولسانًا وشفتين، وأسنانًا ليستطيع أن يتحدث ويتناول رزق ربه ويشكره، وجعل له قدمًا يتحرك بها، وغير ذلك من النعم التي لا تُعد ولا تحصى من تلك البداية قطرات الماء المهين، والناظر في جسم الإنسان يجد أنه يتكون من مجموعة أجهزة كالجهاز الدوري، والجهاز التنفسي، والجهاز العصبي، والجهاز الهضمي، والجهاز البولي، وغير ذلك من الأجهزة، وكل جهاز يوصل إليه أعضاء مختلفة ترتبط به.

فالجهاز الهضمي يبدأ بالفم، ثم البلعوم، ثم المريء، ثم المعدة، ثم الأمعاء، وهكذا، والجهاز التنفسي يرتبط بالأنف، والحنجرة، والقصبة الهوائية، حتى الوصول إلى الرئتين، وبذلك تجد التكامل في خلق الله، وتجد أن لكل عضو وظيفة، هذه الأعضاء المختلفة تتكون من مجموعة من الأنسجة حتى تصل إلى اللبنة الأساسية في هذا البناء ألا

وهي الخلية، وكل خلية تعمل وكأنها دولة مستقلة لها إرادتها ووزارتها ولها حدودها ونظام حياتها الخاص.

فحدود الخلية هو ما يسمى بالغشاء الخلوي ثم يليه الغشاء البلازمي، والغشاء الخلوي لا يسمح بدخول أو خروج أي مادة إلا حسب قانون معين مرتبط بإدارة الخلية، فهو لا يسمح بدخول أي مادة ضارة بالخلية، لذلك فإن انتهاك حدود الخلية بإجبارها بالتعامل مع ما حرم الله من مآكل ومشارب أو غير ذلك فإنها تنحرف عن فطرتها التي فطرها الله عليها مما يؤدي إلى قيامها بوظائف لا تفيد الخلية، فالنواة تتحور وتخرج عن طبيعتها وتعطي الأوامر الخاطئة للخلية حيث تتحول في النهاية إلى خلية سرطانية أو خلية معطلة لا تفيد الجسم بشيء، ولا تدافع عن العضو الذي تعتبر هي لبنة فيه.

فكل خلايا الجسم تُسبح لخالقها، وهي يوم القيامة تشهد على صاحبها الذي عطلها بتناول المحرمات عن تسبيح خالقها، فسطح الخلية يحتوي المواد الكيميائية الخاصة التي تدافع عن الخلية ضد أي ضرر، والحمض النووي في نواة الخلية *DNA* والمسئول عن إنتاج الطاقة في الخلية لتقوم بوظيفتها، والحمض النووي *RNA* الذي يقوم بتصنيع البروتينات في الخلية، فإن كل هذه الخواص تتعطل وتضطرب عند مخالفة أوامر الله بفعل تناول المحرمات، سواء كان ذلك نظرة حرام تؤدي إلى الخلل في الانسجام النفسي للفرد، وعلاقته بربه أو تناول ما حرم الله ونهى عنه من المحرمات.

إن السعادة، والصحة، والقوة البدنية والنفسية في طاعة الله تعالى لأن كل ما خلق الله تعالى هم جنود الله سبحانه، فحين تعصي ربك يكون العقاب من نفسك أنت، من حيث لا تدري، حيث تهاجمك جنود الله المتمثلة في خلايا جسمك. **إن الخلية تحتوي** النواة وهي المسئولة عن إعطاء الأوامر لتصنيع المواد التي تحتاجها الخلية من البروتينات وغيرها.

وهناك في كل خلية جزيئات تعمل على تصحيح أي خطأ في عملية التنفيذ للأوامر التي تُعطى من النواة، أو عندما تتعرض الخلية لظروف قاسية تؤدي إلى تغير في مكوناتها، ويمثل أحد العلماء المسلمين تلك الجزيئات بأنها تعمل بالخلية كعمل كل فرد مسلم من حيث التذكير، والأمر بالمعروف، حتى لا يعم الفساد بالخلية كلها، كذلك فإن تلك الجزيئات لو تركت الأخطاء بالخلية دونما تصحيح لفسدت بذلك مكوناتها وكانت نهايتها، ومن ذلك علينا أن نأخذ العبرة، فيجب علينا أن نتحرى الحلال في المأكل والمشرب، وفي كل شيء، حتى لا تضطرب خلايا أجسامنا التي تُسبح خالقها، وسوف تشهد علينا يوم القيامة، ويجب علينا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وندعو لكل خير، حتى يعم الأمان ونظل خير أمة أُخرجت للناس.

٢٤- الطائر والمخيخ والعنق:

أثبت علماء الطب والتشريح أن الطائر هو المنطقة المجاورة للمخيخ، فالإنسان له عقلان، عقل يخزن، وعقل يفكر، والمنطقة المجاورة للمخيخ هي التي تقوم بالتخزين، والأهم أن المنطقة المجاورة للمخيخ تشريحيًا تشبه الطائر كما وصفها القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ (الإسراء:١٣).

والحقيقة أن القرآن له أوصافه المعجزة في مجال الطب، وفي جميع المجالات ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (الملك :٢٣).

ولقد وجد العلماء أن منطقة السمع تأتي الأولى في الترتيب التشريحي لمخ الإنسان حيث يبدأ المخ بالناصية، وبعدها مباشرة منطقة السمع، ثم منطقة الإبصار عند المخيخ

مباشرة، أما منطقة الاختيار والإدراك والعاطفة، فهي منطقة الأفئدة، وكذلك فإن الطفل يسمع أولًا ثم يُبصر بعد ذلك، ثم يدرك الأشياء، وفي علم التشريح أيضًا وجد العلماء أن منطقة الكلام تقع تشريحيًا بين منطقتي السمع والبصر، فنجد إشارة القرآن الكريم إلى ذلك منذ ألف وأربعمائة عام في قولة تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ ﴾ (البَقَرَة:١٧١).

فهل جاء هذا الترتيب مصادفة؟! إنه وحي الله العليم الخبير، ولقد توصل العلماء حديثًا إلى أن الشريان الأساسي «الأبهر» يأخذ من الفقرات الظهرية إلى الخصيتين لتقوم بإنتاج الحيوانات المنوية، وكذلك فإن الشرايين المتصلة بعظام الصدر تصل إلى المبيض الذي تُنتج فيه البويضات، وعلى ذلك فإن صلب الرجل هو عظام ظهره وترائب الأنثى هي عظام صدرها، وتلك الحقيقة يخبرنا سبحانه وتعالى عنها في قوله عز وجل: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ (الطَّارِق:٥-٦).

ومن هذا الإعجاز خرَّ العالم الكندي «كيث لمور» ساجدًا لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

وسبحان من جعل لكل إنسان طائره في عنقه يقوم بتخزين ما يفعله الإنسان ليشهد على نفسه يقول سبحانه: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ (الإِسۡرَاء:١٣-١٤).

٢٥- العلق وعلم الكيمياء:

هناك من أنواع المحاليل محاليل حقيقية كذوبان السكر في الماء حيث تختفي جزيئات السكر في الماء، أما إذا حاولت إذابة بعض الطين في الماء فتترسب بعض الجزيئات ويبقى الآخر معلقًا وهو ما تسميه في الكيمياء بالمعلقات أو المحاليل المعلقة وهي التي تنشأ نتيجة التنافر الكهربائي بين أجزائها، وقد أثبت العالم «كيث لمور» أن

كل السوائل في جسم الإنسان علق، فلو أخذت قليلًا من الدم ثم تركته ساكنًا فإن كرات الدم الحمراء والبيضاء تترسب ويظهر مصل الدم الأصفر، أي أن الدم علق، ولو أخذت سائل الركبة، والمفاصل، وماء الرجل ستجد أنها كلها معلقات، والطين كما أشرنا أيضًا علق، ولقد وصف الله سبحانه ذلك في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾.

(العَلَق: ٢)

٢٦- عدسة العين وعرق الإنسان:

تمكن العلماء في مجال التقدم الطبي في هذا العصر من معرفة الكثير من الحقائق الطبية ومنها أن عرق الإنسان يحتوي مركبات كيميائية تؤثر في شفافية عدسة العين من العتامة أو الماء الأبيض، وقد توصل إلى ذلك بتوفيق الله تعالى الدكتور/ عبد الباسط سيد محمد وهو الأستاذ بالمركز القومي للبحوث بالدقي؛ وذلك لاحتواء عرق الإنسان على مادة فعالة تسمى (الجواندين) وقد قام بنقع عدد من العدسات المعتمة، والتي تم استخراجها من عيون عدد من المرضى بعمليات جراحية في بضع قطرات ملحية من عرق الإنسان فوجد أنها تُحدث حالة من الشفافية التدريجية لتلك العدسات، وأمكن تحضير هذا المركب معمليًا وبإنتاج قطرة منه حصل الدكتور على براءة اختراع أوربية وأخرى أمريكية في العامين ١٩٩١و١٩٩٣ على التوالي وقد استوحى هذا العالم فكرة تلك القطرة من يقينه بقول الله تعالى على لسان سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

(يُوسُف: ٩٣)

فأدرك علاقة عرق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بإبصار أبيه، ولقد أشارت السورة إلى حقائق أخرى تاريخية وعلمية، ومنها أنه مر بمصر قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأكثر من اثني عشر قرنًا سبع سنين خصبة، ثم سبع سنين تالية تميزت بالقحط والجدب

والجفاف ثم تلا ذلك عام فيه الخصب والغيث والرخاء كما أشارت بذلك الآيات القرآنية، وكذلك حين رأى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد عشر كوكبًا في رؤياه فلم يكن من قِبل المصادفة أن يكون عدد الكواكب في مجموعتنا الشمسية بنفس العدد، وحين وصفت الآيات عين والده يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنها ابيضت من الحزن، هذا الوصف هو ما يعرف في عصرنا بالماء الأبيض أو «الكتاركت»، وهو عبارة عن عتامة تحدث في عدسة العين تمنع دخول الضوء جزئيًا أو كليًا حسب درجة العتامة، والتي قد تحدث بسبب الحزن الشديد، أو البكاء الشديد أو كبر السن، وكذلك ألهم الله تعالى نبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بترك الحبِّ في سنابله عند التخزين حيث أثبت العلم الحديث أن هذه الطريقة هي الأمثل في حفظ المحاصيل ذات السنابل، حيث تظل فترة أطول دون فساد أو تسوس.. فسبحان العليم الخبير.

الجزء الثالث

الإعجاز العلمي في آيات الله والعلوم البيولوجية

١- حقيقة قرآنية ودراسات نباتية:

لقد بحث العلماء كثيرًا في علم النبات للتعرف على خصائص النباتات المختلفة وتم تقسيم النباتات إلى فصائل ومجموعات بحسب تكوينها الظاهري والجذري، واكتشف العلماء حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد دراسات نباتية وأبحاث كثيرة، وهي أن كل صنف من النباتات تتماثل أفراده من الوجهة الظاهرية تماثلًا تامًا بميزان دقيق، وفي التكوين الداخلي وجدوا التناسق التام، والتوازن الدقيق في كافة أجهزة النبات المختلفة، وكذلك بين الخلايا؛ لتحقيق الغرض الذي وجدت من أجله، وقد تختلف من نوع لآخر ولكنها ثابتة للصنف الواحد يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (الحجر: ١٩).

٢- من إعجازات الله، اختلافات الطعم والألوان والأصل واحد:

لقد خلق الله تعالى الإنسان من الطين الثابت، ونجد طلاقة قدرة الله تعالى في اختلاف ألوان البشر، حيث ترى الأبيض، والأسود، والأحمر، وما بين ذلك، بل واختلاف الملامح أيضًا رغم اشتراك الجميع في نفس الأعضاء الواحدة، وإذا نظرنا إلى النباتات نجد أنها تخرج من الطين الثابت أيضًا وتختلف في الطعم والألوان، ونجد اختلاف ألوان النباتات[1] فنجد الأحمر، والأسود، والأبيض، وكذلك الورود بألوانها الزاهية المختلفة.

---

(١) انظر: «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن»، للدكتور أحمد شوقي إبراهيم، والحديث عن عالم النبات.

وإذا نظرنا للجبال نجد أنها تخرج من الأرض أيضًا وتختلف الألوان فيها، فنجد الأبيض والأحمر، والأسود، وهي صخور مختلفة الألوان، إنها قدرة الله كن فيكون، وما أبدع تلك القدرة في خروج الوردة البيضاء من النبتة الخضراء ومن مثل ذلك آيات لمن يتأمل يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فَاطِر: ٢٧-٢٨).

٣- الإعجاز في علاقة النار بالشجر الأخضر:

وجد العلماء أن الشجر الأخضر هو سر تكوين الوقود الذي يستخدمه الإنسان وينتفع به على مر العصور، فطاقة الشمس تنتقل إلى جسم النبات، بعملية التمثيل الضوئي، إذ أن خلاياه المحتوية على المادة الخضراء وهي مادة الكلورفيل تقوم بامتصاص ثاني أكسيد الكربون من الجو، ويتفاعل هذا الغاز مع الماء الذي يمتصه النبات، ويصعد إلى الورقة الخضراء عن طريق الأنابيب الشعرية.

والمعروف أن الماء يتكون من الهيدروجين والأكسجين، فيتفاعل الكربون الذي امتصه النبات من الجو مع الهيدروجين الموجود في الماء فيكون الناتج كربوهيدرات، وهي المواد الكربوهيدراتية، وهي أساس تكوين الحب في النبات كما أشار بذلك القرآن الكريم، مشيرًا أن الماء أساس تكوين الحب وكذلك باتحاد الكربون والهيدروجين، والأكسجين، يتكون الخشب الذي يتركب أساسًا من مركبات كيميائية محتوية على الكربون، والهيدروجين، والأكسجين، ومن هذا الخشب يتكون الفحم النباتي المستعمل في الوقود، إذ باحتراق هذا الفحم تنطلق الطاقة المدخرة فيه وينتفع الإنسان به في الطهي، والتدفئة، وبذلك يستطيع النبات الاحتفاظ بطاقة الشمس التي

هي أساس عمليات البناء الضوئي في صورة هذا الخشب، ومواد عضوية أخرى كالسكر، أو الكربوهيدرات، والزيوت.

لذلك فكل ما يكتشفه العلماء، وما يستخرجونه من باطن الأرض من الفحم الذي نستخدمه في الوقود ما هو إلا نباتات وأشجار كانت خضراء، وكونت هذا الخشب الذي أصبح وقودًا ونارًا يستخدمها الإنسان في حياته، وكان ذلك ناتجًا من عملية البناء الضوئي نتيجة وجود المادة الخضراء «الكلورفيل» وهي أساس تلك التحولات، هذه النباتات دُفنت في باطن الأرض بطريقة ما، ثم تحولت بالتحليل الجزئي بعد مضي ملايين السنين إلى الفحم المذكور تحت تأثير عوامل جيولوجية من الضغط والحرارة وغيرها، كذلك ما يستخرجه الإنسان من المواد البترولية أساسها حيوانات نافقة وأجساد قديمة كانت تتغذى على الشجر الأخضر ثم دُفنت في باطن الأرض فتحولت إلى مختلف صور الطاقة من البترول وغيره، وتفسير ذلك في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، وجد العلماء أن الحديد الذي يستمده النبات من مكونات الأرض هو المكون الأساسي للبلاستيدات الخضراء التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي اللازمة لنمو النباتات ولإنتاج الأنسجة النباتية المختلفة من مثل الأوراق، والأزهار، والبذور، والثمار، والتي عن طريقها يدخل الحديد إلى أنسجة ودماء كل من الإنسان، والحيوان.

وتتناول الحيوانات هذه النباتات، وعملية التمثيل هي الوسيلة الوحيدة لتحويل طاقة الشمس إلى روابط كيميائية تُختزن في أجساد جميع الكائنات الحية، وتكون مصدرًا لنشاطها أثناء حياتها، وبعد تحلل أجساد تلك الكائنات بمعزل عن الهواء، حيث تتحول إلى مختلف صور الطاقة المعروفة، وكذلك في النباتات إما بعزلها أو عند جفافها، فيكون الناتج هو مختلف صور الطاقة التي يستخدمها الإنسان في إنتاج الوقود، والنار،

مثل القش والحطب، والفحم النباتي وغيره، والغاز الفحمي، والنفط، والغاز الطبيعي، وغيرها من مختلف صور الطاقة. يقول تعالى في ذلك: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (يس: ٨٠).

ويجب ملاحظة أن لفظ الاخضرار في الآية، ووصف الشجر بهذا اللون لم يكن عفوًا إنما هو إشارة إلى مادة الكلورفيل الخضراء اللازمة لتمثيل ثاني أكسيد الكربون.

٤- حقائق علمية حول ذكر النخل والرمان في القرآن الكريم:

لقد وجد العلماء أن التمر به نسبة عالية من الحديد، والكالسيوم، والفوسفور وسكرياته سهلة الاحتراق، ومفيدة في إنتاج طاقة عالية، ويحتوي على حمض النيكوتنيك وهو الفيتامين الواقي من البلاجرا، وكذلك يحتوي على فيتامين أ،ب ونسبة من البروتينات والدهنيات، أما الرمان فهو يحتوي على نسبة من حمض الليمونيك وعند تمثيله في الجسم يساعد على تقليل أثر الحموضة في البول والدم ويقي من مرض النقرس والحصوات، ويحتوي على ١١٪ سكريات سهلة الاحتراق والمولدة للطاقة، وقشر الرمان يقي من الإسهال عن طريق المادة القابضة، وقشور سيقان أشجار الرمان تُستخدم في القضاء على الدودة الشريطية، وبذلك نجد الكثير من المنافع في تلك الثمار، ولذلك ذُكرت في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن: ٦٨-٦٩).

٥- كائنات وأمم أمثالنا:

يقرر العلم أن النمل يعيش في جماعات، وله أودية، ويمتلك صفات اليقظة والحذر، ويتصف بالذكاء والنظام الدقيق، وقوة الذاكرة وحب العمل والمثابرة للجهاد

الذي لا يعرف الكسل ولا اليأس، وعُرف عنه سعة الحيلة، ووجد العلماء أن مجتمع النمل يقوم أفراده بدفن موتاهم، وتحرص جماعاته المختلفة على الالتقاء في صعيد واحد من حين لآخر، ولهذا خصص أيامًا معينة لإقامة سوق تجتمع فيه جماعات لتبادل السلع، وللتعارف، وحين تلتقي، تتجاذب أطراف الحديث باهتمام بالغ، ويسأل بعضها البعض أسئلة تتصل بشؤونها، ويقوم النمل بعمل المشروعات النافعة مثل الطرق الطويلة في أناة ومثابرة تثيران الدهشة(١).

وتعمل ليل نهار في الليالي القمرية، وتسكن مستعمراتها في الليالي المظلمة، وتحمل جماعات النمل المواد الغذائية وتُخزنها بطريقة سليمة، وإذا لم تستطع حمل ما جمعته في فمها لكبر حجمه حركته بأرجلها الخلفية، ورفعته بزراعيها، وهي تقضم الجذور وتفلق بعض الحبوب حتى لا تعود للإنبات، والحبوب التي تنبت بعد فلقها إلى جزئين تقوم النملة بفلقها إلى أربع أجزاء حتى لا تنبت مثل الكسبرة وغيرها، وهي تجزيء البذور الكبيرة ليسهل إدخالها في مستودعها، وإذا ابتلَّت تُخرجها إلى الشمس لتجف، ويقول العلامة ديكستون أحد علماء التاريخ الطبيعي: درست مملكة النمل عشرين عامًا في بقاع مختلفة، فهي مملكة كلها نظام حيث يرسل من يأتيه ببيض بق النبات ويضعه في المستعمرات، ويعتني به حتى يفقس وتخرج صغاره، ومتى كبرت تدر سائلًا حلوًا يقوم على حلبه جماعة من النمل لا عمل لها إلا حلب هذه الحشرات بمسها بقرونها.

---

(١) «الله والعلم الحديث»، عبد الرازق نوفل، عن أسرار خلق الله تعالى وإعجازه في مخلوقاته ومنها عالم النمل.

ويقول العالم: إن النمل يزرع أيضًا حيث راقبه في مساحة خمسة عشر مترًا مربعًا فوجد جماعة من النمل قامت بحرث الأرض، وجماعة بزراعة الأرز، وجماعة أزالت الأعشاب، وبعضها حرسها من الديدان، ولما بلغت عيدان الأرز نموها، رأى صفًا من شغالات النمل تتسلق العود، وتنزع كل شغالة حبة وتنزل بها إلى مخازن تحت الأرض، وحين هطل المطر، وجد العالم كل نملة تأخذ الحبة إلى العراء في جانب مائل من الأرض معرض للشمس، وحين يجف الحب تعود الشغالات به إلى المخازن.

وهناك بعض العناكب تقوم بتخدير الفريسة ولا تقتلها حتى تستهلكها دون أن تتعرض للعفن، وكذلك لأن يرقات نحل العسل تحتاج درجة حرارة ثابتة ودرجة من التهوية التامة، فهناك طائفة من النحل لا عمل لها إلا تحريك عضلاتها لتتولد الحرارة من أبدانها وطائفة أخرى تحرك أجنحتها لتنتشر التهوية اللازمة يقول تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ (الأنعام: ٣٨).

٦- بيت العنكبوت أوهن البيوت:

ثبت علميًا أن أوهن بيت يتخذه أي حيوان مأوى له هو بيت العنكبوت، حيث إن خيوطه فيها من الرقة ما يفوق رقة الحرير، ونسيجه من أضعف الأنسجة التي يمكن أن يتخذها أي حيوان ولكن هذا الخيط له قوة شد ومطاطية تفوق أي معدن آخر ومنه الحديد، لذلك لم يُذكر أنه أوهن الخيوط، ولكن أوهن البيوت، حيث تقتل الأنثى الذكر، ويدور القتال بين أفراد الأسرة بعد ذلك كما أثبتت الدراسات، وكانت هذه الحقائق من خلال دراسات كثيرة أجراها العلماء في مجالات البحث المختلفة.

ولقد اكتشف العلماء حوالي أربعة آلاف نوع من البكتريا فيها من البكتريا الضارة، والنافعة، وحوالي خمسة وعشرون ألف نوع من الديدان الخيطية، وحوالي خمسين ألف نوع من الزواحف، والطيور، والثدييات، وحوالي أربعين ألف نوع من القشريات، كالجمبري، وغيره وحوالي سبعين ألف من الرخويات، وإجمالي اكتشافاتهم حتى الآن حوالي مليون وأربعمائة ألف كائن حي بخلاف النباتات المختلفة، وسبحان من قال في كتابه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)، فهو يرزق كل تلك الكائنات على سطح الأرض، وفي باطنها، أو في البحار وأعماقها، ولقد كان اكتشاف العلماء أن أوهن بيت من بيوت كل تلك الكائنات التي تراها أعيننا هو بيت العنكبوت ويصف الله تعالى تلك الحقيقة في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ (العنكبوت: ٤١).

٧- ظاهرة ومثل وحقيقة علمية:

إن ظاهرة مشاهدة الكلب يلهث، سواء حملت عليه أم لا ثابت بالحقائق العلمية حيث ثبت أن الكلب لا توجد بجسده غدد عرقية إلا قليل في باطن أقدامه، وهي تفرز من العرق ما يكفي لتنظيم درجة حرارة جسمه، ولذلك فإنه يستعين ويستبدل نقص وسائل تنظيم الحرارة باللهث، حتى لو كان لا يحمل شيئًا، وهو بذلك يفتح فمه ليزيد عدد مرات التنفس زيادة كبيرة عن المعتاد، وبذلك يزيد البخر عن طريق الجهاز التنفسي، واللسان والسطح الخارجي من الفم، ويخبرنا الله تعالى عن تلك الحقيقة في تشبيه من ترك هدى الله وانسلخ منه بقوله سبحانه: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

(الأعراف: ١٧٦)

٨- كائنات وسلوكيات:

اكتشف العلماء أن للحيوانات والطيور وغيرها سلوكيات مختلفة تدل على إعجاز الله العلي القدير، وأنه قَدَّر كل شيء وهداه إلى سبله، وجعل تلك الدواب أممًا أمثالنا لها أسلوب حياتها وطريقة معيشتها، فالنمل مثلًا يعيش في جماعات، وله طريقته في المعيشة وجمع الغذاء، وطريقة تخزينه كما أشرنا من قبل، وأعجبها أنه يفلق بعض الحبوب حتى يبطل عملية إنباتها، والغريب أن بعض الحبوب يمكن أن تنبت إذا قسمت إلى نصفين كحبة الكسبرة لذلك نجد أن النمل يقسمها إلى أقسام حتى يوقف إنباتها، إنه إلهام الله العلي القدير[١]، وللنمل لغات خاصة، وله اجتماعاته في تبادل السلع وتبادل أطراف الحديث وعمل المشروعات الجماعية كإنشاء الطرق وعمل المساكن الرائعة وتقسيمها إلى غرف ومخازن وممرات كما نبني نحن بيوتنا وذلك يتضح في إشارة الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ (النمل: ١٨).

كذلك لاحظ العلماء أن لكل نوع من الطيور مساكن خاصة، ولكن النحل بالذات له أنواع متعددة من المساكن التي يتخذها، فيمكن أن يتخذ الفجوات في الجبال وسط الصخور أو الفجوات الموجودة ببعض الأشجار، أو فيما بينها، أو تجده يستقر في الخلايا الخشبية وغيرها مما يصنعها ويعرشها له الإنسان، ولقد أشار الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾.

(النحل: ٦٨)

---

(١) «الله والعلم الحديث»، للدكتور عبد الرزاق نوفل، بعنوان عجائب الإلهام.

كذلك لاحظ العلماء أن لكل حشرة نوعًا معينًا من الغذاء، والزهور، تتغذى عليه ولكن النحل بالذات يختلف عن بقية الحشرات في أنه يأكل من كل الثمرات والزهور، فيمكن أن يتغذى على رحيق الورود، أو زهور الموالح، أو زهر البرسيم وغير ذلك من مختلف الثمرات ويشير الله تعالى لذلك في قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾.
(النحل: ٦٩)

ولقد زودها الله تعالى بما يساعدها على الأكل من كل الثمرات فلقد زود الله سبحانه فم النحل بما يمكنه من أداء جميع الوظائف المطلوبة لطعامه فهو يقضم من نتاج كل الثمرات، ويمضغ، ويمتص، ويقحف، ويتذوق كل ما هو حلو بشرط ألا يكون من المستحضرات المصنعة كيميائيًا، فالنحل يتركه دون أن يقترب منه، والنحلة يكفيها أن ترى القليل من النور لتعرف اتجاه الشمس، وموقعها الصحيح، علمًا أن عيون النحل لا تتحرك وللنحلة عينان في أعلى الرأس، وتحتها عين ثالثة حتى ترى أقصى اليمين، وأقصى الشمال، والبعيد والقريب في وقت واحد، والرؤية عند النحل أكثر شمولًا واتساعًا مما هي عند الإنسان، وهي سبل ونعم سخرها الله تعالى وذللها للنحل، ليتمكن من الحصول على غذائه، ويستطيع النحل بيسر وسهولة معرفة الطرق الموصلة إلى ثمرات النبات، فالنحل له قرون استشعار حساسة، والنحلة التي تكشف مكانًا به غذاء مناسب تدخل الخلية وترقص رقصات معينة بداخلها لتنبه بقية الخلية.

ورغم أن النحل لا يرى في الظلام إلا أن قرون الاستشعار لديه يستطيع بها تلمس بطن النحلة الكاشفة الراقصة ويحول ذبذبات رقصها ورائحة رحيق الأزهار اللاصق بأجنحتها إلى لغة كيميائية ذللها الله تعالى لمعرفة بعد المكان الذي توجد فيه الثمرات التي يأكلها، واتجاهه، وزاويته، فالنحل يتأثر بأصوات ذات ذبذبات لا

يستطيع أن يلتقطها الإنسان بأذنيه، واستطاع العلماء بعد سنوات عديدة من الدراسة فك رموز تلك الرقصات، فخلجات البطن تحدد مدة الطيران ومقدار المؤونة اللازمة لذلك السفر، وسرعة الحركات تحدد الاتجاه، إنها قدرة الله تعالى وسبله التي ذللها للنحل، يقول تعالى في ذلك: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ (النحل:٦٩).

ولقد اكتشف العلماء هندسة النحل في بناء الخلية فهو يتخذ الأشكال المسدسة الأضلاع فقط كعيون للأقراص؛ لأنها تستوعب كمية أكبر من كمية العسل في الأشكال الأخرى المثلثة، والمربعة، والدائرية، وغيرها في نفس المساحة، واكتشف العلماء أن العسل إن كان يخرج ظاهرًا من فم النحلة فهو يُصنع في بطونها، ثم يخرج إلى الفم ومنه إلى قرص الشمع، ولاحظ العلماء أن الذكور لا تساهم في صنع العسل، ولا في بناء الخلية، والله سبحانه وتعالى خاطب النحل بصيغة المؤنث تأكيدًا على تلك الحقيقة العلمية التي اكتشفها العلم حديثًا يقول تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ (النحل:٦٩).

والعسل بالفعل تختلف ألوانه لاختلاف أنواع الزهور، ولأنه يتكون من مختلف الثمرات فهناك الأبيض المائي والكهرماني الفاتح، والقاتم، والمائل للاصفرار، وغير ذلك من درجات الألوان، وكذلك وجد علماء الطب في عسل النحل الشفاء لكثير من الأمراض لاختلاف نوع الزهور والثمرات التي يتناولها النحل، فالعسل المستخرج من رحيق أزهار الليمون يشفي أنواع معينة من الأمراض تختلف عن العسل المستخرج من رحيق أزهار البصل أو أزهار البرسيم أو الموالح، أو غير ذلك من أنواع الأزهار، ويحتوي العسل على فيتامينات تقبل الحفظ الطبيعي دون مواد حافظة كبقية الفواكه، ويحتوي على أحماض عضوية، وإنزيمات ومواد أخرى ذات قيمة غذائية عالية تساعد في الوقاية والشفاء من الكثير من الأمراض، يقول تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ (النحل:٦٩).

والغريب في عالم النحل أن كل شيء يسير بنظام دقيق[١]، وكل حشرة تعرف وظيفتها، فالعاملات من النحل مثلًا تفرز مواد كيميائية منظمة ذات رائحة سريعة الانتشار من غددها المنتشرة في جسمها، ومن هذه المواد مادة الإنذار لدى كل خطر داهم ومادة الإرشاد إلى مصدر وجود الغذاء، فسبحان الذي ذلل للنحل السبل وقدر فهدى.

٩- الإعجاز في ترك الحب في سنابله عند التخزين:

أثبت علماء الزراعة من خلال أبحاثهم أن أحسن طريقة وأفضل تخزين للبذور هي الطريقة التي أشار إليها يوسف عليه السلام وهي من وحي الله تعالى حيث أن قدماء المصريين كانوا يُخزنون الحبوب على شكل بذور معزولة عن سنابلها، ولكن العلم التجريبي أثبت أن البذور التي تظل في سنابلها في البيئة العادية دون مراعاة ظروف التخزين تظل على حالها ١٠٠٪، فلقد لاحظ العلماء أن الحبوب الموجودة في سنابلها تفقد بمرور الوقت كمية مهمة من الماء وتصبح جافة، ولكن البذور المعزولة من سنابلها تعرضت لزيادة نسبة الرطوبة فيها ووجد بها نسبة حوالي ٢٠،٣٪ ماء مما يسهل إتلافها وتعرضها للعفن كذلك وجد العلماء أن البذور المخزونة في السنابل هي الأحسن في النمو عند زراعتها، وجذورها تمتد في باطن الأرض بنسبة أكبر، كذلك الحبوب المعزولة من سنابلها تنخفض فيها نسبة البروتينات، والسكريات العامة، يقول تعالى في ذلك: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: ٤٧).

ومن الإعجاز أيضًا أن العلماء وجدوا أن المدة القصوى لاستمرار الحبوب محافظة على طاقة النمو والتطور فيها، هي خمسة عشر سنة، وتتمثل كما ورد بالقرآن الكريم في

---

(١) انظر: «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن»، دكتور أحمد شوقي إبراهيم، عن حياة النحل.

سبع سنوات يزرع الناس، ويحصدون خلالها دأبًا في سنوات الخصب، ثم سبع سنين شداد وهي سنوات الجفاف، ثم بعد ذلك يأتي عام فيه يغاث الناس بالمطر[1] وذلك ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يُوسُفَ: ٤٧)

١٠- الماء أصل تكوين الحب:

يبحث العلماء في جميع مجالات العلوم المختلفة، ودائمًا تأتي اكتشافاتهم مطابقة لما أخبر به العليم الخبير منذ ألف وأربعمائة عام، ولقد وجد العلماء أن الماء يحتوي على أكسجين وهيدروجين، والنبات كما هو معروف يمتص ثاني أكسيد الكربون من الجو، وحين يتحد الماء الموجود في المادة الخضراء للنبات والذي هو عبارة عن أكسجين+ هيدروجين، فإن الهيدروجين يتحد مع الكربون الذي يمتصه النبات من الجو كما أشرنا ويكون الناتج كربوهيدرات وهي أساس المواد النشوية أو تكوين الحب، والذي قدمه على النبات في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾.

(النَّبَأ: ١٤-١٥)

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ (الأنعام: ٩٩).

---

(١) مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وبحث علمي عن الإعجاز في وصية يوسف عليه السلام بترك الحب في سنابله عند التخزين وسبحان الله العليم الخبير في كل وقت وحين ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

١١- اهتزاز تربة الأرض حقيقة علمية صورها العلماء:

يشير القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام إلى حقيقة علمية لم يكتشفها العلماء إلا قريبًا وهي أن تربة الأرض إذا نزل عليها الماء اهتزت وربت، وتحركت، وبالفعل فإن ما وصل إليه العلماء ينطبق تمامًا مع تلك الحقيقة، حيث يتكون الماء من ذرتين من الأيدروجين، وهو يحمل شحنة موجبة نسبية، وذرة أكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية، وبذلك نجد أن جزيء الماء غير تام التعادل كهربيًا لحكمة بالغة من الله تعالى، حيث يكمن في ذلك قدرته الفائقة على الإذابة والتوتر السطحي، وشدة تلاصق جزيئاته، مما يجعل له القدرة على التسلق بالخاصية الشعرية، وعلى التكور على هيئة قطرات، وعدم امتزاج محاليله كاملًا.

وبذلك فإنه إذا نزل على تربة الأرض أدى إلى إثارتها كهربيًا مما يجعلها تهتز، وتتنفس، ويزداد حجمها، فتربو وتزداد؛ وذلك لأن تربة الأرض تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي يؤدي تميؤها إلى اهتزاز مكونات التربة وزيادة حجمها، وارتفاعها إلى أعلى حتى ترق رقة شديدة، فتنشق مفسحة طريقًا سهلًا آمنًا لخروج البذرة النابتة، ويرى العلماء أن من أسباب اهتزاز التربة وربوها أنها تتكون من المعادن الصلصالية التي تتشبع بالتميؤ، وهو امتصاص الماء الذي يؤدي إلى زيادة حجمها فتهتز بمجرد نزول الماء عليها.

كذلك فإن المعادن الصلصالية تتكون كرقائق بينها مسافات بينية، وهي تنكمش مع شدة الحرارة، ولكنها تنتفض، وتهتز، وتربو، عند إضافة الماء إليها حيث تمتلئ المسافات البينية الفاصلة بين تلك الرقائق، كذلك تحتوي التربة على أيونات الصوديوم والكالسيوم الموجبة، والتي يسهل إحلالها بقواعد أخرى، وحين ينزل عليها الماء الذي

يحتوي على الذرّات السالبة والموجبة المتمثلة في ذرة الأكسجين وذرتي الأيدروجين فإن ذلك يحدث اهتزازًا عنيفًا في مكونات رقائق الصلصال للتفاعل الكهربي بين تلك الجزيئات ولقد استطاع العلماء تصوير ذلك الاهتزاز بواسطة أجهزة خاصة.

ومن أسباب الاهتزاز أيضًا[١] احتواء التربة على الكثير من العناصر والمركبات الكيميائية والمركبات العضوية وغير العضوية، وعند نزول جزيئات الماء ذي القطبين الكهربيين، فإن ذلك يؤدي إلى تأين تلك المكونات، وحدوث التنافر بين الشحنات المتشابهة مما يؤدي إلى اهتزاز الرقائق الصلصالية بشدة وكذلك فإن حركة الجذور وامتدادها وما تحتويه التربة من البذور المجنحة التي تحملها الرياح، والكثير من حبوب اللقاح، والعديد من أنواع الجراثيم والبكتريا، فإن كل هذه الأشياء تنشط بنزول الماء عليها فتؤدي إلى اهتزاز التربة وحركتها، ولقد اكتشف العلماء حركة حبيبات التربة الدقيقة عند اختلاطها بالماء، حيث تتدافع فيها جسيمات المادة بقوة، ومقادير غير متساوية في كل الاتجاهات في حركة دائبة تُعرف بالحركة البروانية نسبة إلى مكتشفها، وهي من عوامل اهتزاز التربة وانتفاضها بشدة، وكلما كان الماء غزيرًا زاد من تلك الحركة حيث تنتعش كل صور الحياة فيها من البكتريا، والفطريات، والطحالب، وغيرها.

وتغلظ المجموعات الجذرية ويؤدي هذا النشاط الحيوي إلى زيادة حجم التربة، وزيادة الأنشطة الكيميائية، والفيزيائية فيها، مما يؤدي إلى انتفاضها، واهتزازها، وربوها، وكثرة الإنبات فيها، ولقد تم تصوير تلك الاهتزازات التي تمر بها التربة بالتصوير البطيء، وأثبتت الصور أن القرآن الكريم وحي الصدق في كل شيء وفيما أشار

(١) من أسرار الإعجاز: (اهتزاز التربة عند سقوط المطر) وتم تصوير هذا التفاعل والاهتزاز كما ذكر الدكتور/ زغلول النجار، الأستاذ في علوم الجيولوجيا وطبقات الأرض.

إليه بخصوص تلك الحقيقة، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(فُصِّلَتْ: ٣٩)

١٢- آيات الله والإعجاز، في خلق الإنسان والنبات والطير:

إن من ينظر في نفسه يجد الكثير من آيات الإعجاز، فالإنسان كانت بدايته بعض الماء المهين ثم قطعة اللحم المصمتة، فنجد تفرق الأقدام ليسعى عليها في كل مكان، ونجد أن أصابع القدم متراصة بجانب بعضها البعض، ولكن الله تعالى الذي خلق الإنسان وجعله خليفة الله في الأرض، جعل أصابع يده فيها الإصبع الخامس على مسافة من الأربعة ليتمكن الفلَّاح من أن يقبض على فأسه والعالم من أن يُمسك بالقلم ونلاحظ أن الإنسان لا يتمكن من ثني قدمه وإلا وقع على الأرض أثناء سيره، ولكن يثني يديه ليتمكن من القبض على الأشياء أثناء سعيه وعمله، ولأن الله هو الرزاق شق الفم في قطعة اللحم المصمتة، وجعل الأسنان الصلبة في صفين وليس صفًا واحدًا ليتمكن الإنسان من مضغ الطعام، ليسهل هضمه بعد ذلك.

ونجد أن الإنسان سيحتاج للتنفس فيجعل الله تعالى بقدرته فتحتي الأنف ليكون كل نفس يخرج يستحق من الإنسان الشكر لله بلا حدود، ويعرف ذلك من يحاول أن يُمسك تنفسه بعض اللحظات للعبرة والموعظة، وحين يشرب الإنسان الماء نجد هندسة الله الصانع المبدع في صنع المخرج الدقيق للبول من قطعة اللحم المصمتة، إنه إبداع من يعلم سر صيانة صنعته، وما يحتاجه خليفته في الأرض ليتمكن من البقاء والسعي فيها بقدر ما قدر له سبحانه، يقول تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(الذَّارِيَاتِ: ٢١)

كذلك من يسير في **الأرض** يجد آيات القدرة والإبداع، فالإنسان يحتاج إلى الطعام فنجد الثمرات المختلفة، والحبوب، وغيرها، ولنا أن نتأمل حبات الأرز البيضاء من الشتلة الخضراء لتكون رزقًا للعباد، وسيحتاج الإنسان أن يرتدي الملابس التي تقيه الحر والبرد فنجد القطن الأبيض الخيطي من نفس النبتة الخضراء ليكون كساءً للعباد، وصدق الله تعالى حين يلفت الأنظار إلى تلك النعم في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

وكذلك من يتأمل يرى المزيد من آيات الإعجاز، فتلك البيضة المغلقة وما تحتويه هي المادة الصفراء والبيضاء فقط، وللإنسان أن يتساءل هل يستطيع لو جلس يفكر ملايين السنين أن يُخرج من المادة الصفراء والبيضاء هذه جمجمة عظمية كالتي تكون في الفرخ الخارج منها، أو عمود فقري، أو مفاصل عظمية للحركة، أو غير ذلك مما تحتويه، هل يستطيع أن يُخرج الأمعاء الملتفة وهي مادة لحمية مختلفة تمامًا عن المادة الصفراء والبيضاء أو هذا الريش الأسود الذي يغطي أعضاء الطائر، وهو المختلف تمامًا عن مظهره وتكوينه عن المادة الصفراء والبيضاء... إنها قدرة الله وأمره «كُنْ فيكون» وكذلك الخروج يقول تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (الأنعام: ٩٥).

وهذا الكون الذي نعيش فيه، لنا أن نتأمل فيه لنعتبر فلو أمسك الإنسان بقلم فهو مادة في الفراغ ولها صانع، ولو أمسك بكراسة فهي مادة في الفراغ ولها صانع، ولقد أثبت العلم الحديث أن الأرض بما عليها هي كرة تدور في الفراغ إذن فلها صانع، والصانع هو الله، وبذلك يكون كل ما تحتويه الأرض من إنسان، وحيوان، وطير وجبال، وما تحتويه في باطنها من معادن، وكنوز هو من صنع الله يقول تعالى في ذلك: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ (طه: ٦).

وبذلك يكون كل ما على الأرض، وما في السماء، وما بينهما هو من صنع الله تعالى فكانت السماوات وكانت الأرض لذلك فالإنسان على الأرض هو من صنع الله حيث شكَّله سبحانه من الماء المهين، وجعل فيه يدًا تصنع وقدمًا تتحرك، وتلك السيارات والقطارات التي نراها هي من صنع الله تعالى، حيث إن ما في باطن الأرض من المعادن وغيرها والتي صُنعت منها تلك النعم هي من فضل الله سبحانه، وكذلك وقود تلك الآلات كالبنزين والسولار، هي أشياء مستخرجة من باطن الأرض، ونحن أثبتنا أن الأرض بما عليها هي من صنع الله، وبذلك وجب علينا أن نردد دائمًا «لا حول ولا قوة إلا بالله» يقول ﷺ وهو ينصح أحد أصحابه: «**ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم**»(١).

١٣- من عجائب الكائنات وإلهام الخالق:

لقد أمد الله تعالى الإنسان بالعقل، ومنحه الحكمة في تدبير الأمور، والحذر من الأخطار، وكيفية الوقاية منها، لكن عطاءات الله بلا حدود، وله في أمور خلقه أسرار فهذا الإنسان بما منحه من القوة والعضلات، يمكن أن ينتصر عليه كائنًا لا يُرى بالعين المجردة، بل بالميكروسكوبات والمجاهر، كالفيروس الضئيل الذي حير الأطباء في كل زمان، ومن ذلك يتعلم الإنسان أن لا يتكبر في الأرض، أو يأخذه الفخر بما تميز به على باقي الكائنات من القوة والعقل.

---

(١) هو جزء من حديث أخرجه الحاكم عن أبي هريرة، وقال عن هذا الحديث: صحيح الإسناد، «صحيح الدعاء المستجاب» (ص:٨).

والله الخالق هو الذي قدر فهدى، وهو الذي منح مملكة الحيوان، والطير، وغيرها إلهاماته الخاصة لتدافع عن نفسها، وتحذر مواقع الخطر، فهي أسرار خاصة، ربما تفوق ما يعرفه الإنسان الذي يغتر ويظن أنه بعقله قد أدرك كل شيء ولكن تلك الكائنات تستمد إلهامها من الخالق سبحانه مباشرة، فالنحل ينتج العسل الطيب وينظم مملكته بوحي من الله تعالى، والنملة تَخرج للحصول على الرزق بإلهام خالقها ورازقها سبحانه، وهي تقسم الحب المخزون إلى أجزاء بطريقة لا تجعله صالحًا للإنبات مرة أخرى، أو تتركه إذا أرادت إنباته، ولقد راقب أحد علماء الغرب مستعمرات النمل لعدة سنوات من خلال دراساته وأبحاثه، ولاحظ النمل وهو يزرع مساحات كبيرة من الأرز تبلغ عدة أمتار من الأرض، وعند الحصاد ينقسم النمل إلى فرق وجماعات تختص كل فرقة بحصد أعواد معينة من الأرز، ويقوم النمل بنشر الحب في حالة البلل في مكان تصل إليه الشمس ويقوم بإدخاله مرة أخرى بعد جفافه، والعجيب أنه يرعى نوعًا معينًا من بق النبات الذي يدر سائلًا حلوًا تقوم بحلبه جماعة من الشغالات التي لا عمل لها سوى ذلك.

وهناك باقي الكائنات والطيور التي ترعى صغارها، وتهاجر من مكان إلى مكان دون أن تضل الطريق بإلهام الهادي القدير[1]، ولنا عبرة أيضًا **في تلك الظواهر** التي تحدث عنها العلماء ففي إحدى المدن الإيطالية ارتفعت أصوات الحيوانات فجأة، ودون أي سبب ظاهر يلاحظه البشر، فالقطط تجري مذعورة والكلاب تنبح وتجري، والفئران تملأ الأزقة، والجياد والأبقار هائجة وعصبية ويحاول أكثرها أن يقطع أربطته، والطيور تضرب بأجنحتها وتطلق صرخات تُبدي منها الفزع، وكأن شيئًا يطارد تلك الحيوانات والطيور، ويدفعها لهذا التصرف العجيب.

---

(١) «الله والعلم الحديث» – عبد الرازق نوفل – المرجع السابق عن عجائب الإلهام.

ولقد تعجب السكان بالمدينة من تلك التصرفات الغريبة، وصار ذلك محور حديثهم في تلك الليلة، ولم تلبث الساعات المعدودة أن تمر، وفي الساعة التاسعة من تلك الليلة يشعر السكان بالأرض تميد من تحتهم ويحدث زلزال شديد يخلف وراءه ما يزيد عن ألف قتيل بالمنطقة، وفي بلدة سان فرناندو شاهد الناس جيوشًا من الجرذان تملأ شوارع البلدة بالقرب من لوس أنجلوس، وكانوا يتصورون أن بلدتهم تخلو تمامًا من الجرذان، وفي اليوم التالي تصيب وادي سان فرناندو هزة عنيفة تؤدي إلى كارثة بيئية، وفي زلزال مصر الأخير اضطربت الحيوانات في حديقة الحيوان بالجيزة قبل عشرين دقيقة من الزلزال المدمر، ولقد أصبحت اليابان الآن تدرك مواعيد الزلازل من خلال تصرف أسماك الزينة حيث تصاب الأسماك بحالات غريبة من اضطراب في السلوك وذعر، ثم تأخذ في الدوران والاندفاع داخل أحواضها بطريقة جنونية.

ويلاحظ من يذهبون إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج أن أسراب الحمام الطائر أو أفراده لا تمر فوق الكعبة مباشرة ولكن تملأ الأفق من حولها وكأنها ترى ما لا يرى الحجاج من الملائكة، أو ما لا يعلمه إلا الله، ولقد أشار النبي ﷺ إلى تلك الحقائق الواضحة عن **وسائل الإدراك التي يتميز بها الحيوان**، والتي لا يستطيع أن يدركها الإنسان في أحاديث كثيرة ومنها، ما ورد في «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها حين قالت: «دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا لي: أهل القبور يُعذبان في قبورهم: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا».

ودخل عليَّ النبي ﷺ فقلت: «يا رسول الله إن عجوزتين، وذكرت له الخبر» فقال: «**إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها**» فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ

من عذاب القبر»[(١)]. وهذا الحديث يعد من صور الإعجاز النبوي حيث إن تلك الحقيقة تحير علماء العصر وتشغل أبحاثهم ودراساتهم في عصرنا، ويخبرنا ﷺ عن حواس خاصة تتميز بها البهائم والحيوانات لا يستطيع أن يتميز بها الإنسان حيث إنها من أسرار الخالق التي يميز بها الكثير من الكائنات، ولنا أن نتصور ما حدث لفرس الصحابي أُسَيد بن حضير وهو يقرأ القرآن، حيث كانت تجول وتضطرب كلما قرأ القرآن ثم تسكن عندما يتوقف عن القراءة، ولقد تكرر ذلك عدة مرات، فلما رفع رأسه نحو السماء رأى مثل الظلة البيضاء كأمثال المصابيح تعرج إلى السماء، وحين أخبر ﷺ بذلك قال: «**تلك الملائكة دَنَت لصوتك**».

وبذلك تكون حركة الفرس بسبب مشاهدتها لتلك الملائكة فيصيبها الاضطراب، ولقد صرح النبي ﷺ في بعض أحاديث أن الحيوانات لها مقدرة خارقة على رؤية ما لا يستطيع البشر رؤيته حيث يقول ﷺ: «**إذا سمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا**». إنه الإعجاز المبهر وطلاقة القدرة التي يُظهرها الله لمن يشاء فالحصان يرى في ظلمة الليل عن طريق ملاحظة اختلاف درجة الحرارة في الطريق، وعلى جانبيه، بعينين تتأثر كل منهما بالأشعة تحت الحمراء، والبومة تستطيع أن تُبصر الفأر الدافئ وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل، والخفاش لا يصطدم بشيء رغم أنه لا يرى في الظلام، ولوحظ أنه يصدر أصواتًا على شكل ذبذبات عالية إذا اصطدمت بشيء تعود إلى سمعه فيحيد بسرعة عن الطريق،

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب (الدعوات باب التعوذ من عذاب القبر).

والنملة حين تعثر على الغذاء تفرز روائح كيميائية خاصة يطلق عليها الفيرمون ثم تذهب إلى العش ليتبعها زملاؤها، ويقل إفراز تلك المادة بحسب كمية الطعام، وحين ينضب المصدر لا يتم إفراز المادة الكيميائية، والنحلة مهما ابتعدت عن الخلية يُمكنها العثور عليها حيث إن النحل لا يرى الأشياء كما نراها، ولكن يرى بالضوء فوق البنفسجي.

وعن طريق ذلك يرى الأزهار أكثر جمالًا مما نراها نحن البشر والبعوض على رأسه قرون التقاط الذبذبات الصوتية التي تُحدثها الأنثى من مسافات بعيدة لتفوق في ذلك أدق الأجهزة اللاسلكية التي اخترعها الإنسان على مدار تجاربه البشرية، وهي لا تلتقط إلا إشارات أنثى البعوضة رغم وجود أصوات عديدة أخرى في الجو تختلط فيها أصوات البشر، والطيور، وباقي الكائنات، والنحل يرشد بقية مملكته عن مكان الغذاء بواسطة رقصات خاصة تُصدرها النحلة، وكأنها تشير للسرب بأن يطير مثلًا في خط مستقيم، وبانحراف معين بالنسبة للشمس، وبعد مسافة كذا ستكون مساحة الأزهار.

وثعابين الماء في موسم التزاوج تهاجر آلاف الأميال في المحيط قاصدة إلى الأعماق السحيقة، وهناك تبيض ثم تموت، والصغار بعدما تخرج من البيض تعود في الطريق نفسه الذي سلكته الثعابين، وتتحمل الأمواج العاتية رغم أجسامها الصغيرة وتعود إلى نفس موطن أمهاتها حين تجمعت من مختلف البرك والأنهار لتهاجر آلاف الأميال إلى أعماق المحيط، ثم تتفرق مرة أخرى لتتوزع إلى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة في موطنها الأصلي، ولهذا يظل كل جزء من الماء آهلًا بثعابين البحار، وغير ذلك الكثير من الأمثلة... فسبحان الله الذي قدَّر فهدى.

١٤- سبحان البديع القادر في خلق كل شيء:

سبحانه وتعالى أمره بكن فيكون، فورقة التوت الخضراء تأكلها دودة القز فتخرج حريرًا ناعمًا، وتأكلها النحلة فتُخرج عسلًا صافيًا، وتأكلها الظباء فتُخرج مسكًا طيبًا وتأكلها بقية الحيوانات فتخرج بعرًا يختلف تمامًا عن تلك المواد السابقة، إنها طلاقة القدرة وأمر الله كن فيكون الذي أخرج الله به الناقة دمًا ولحمًا من الصخرة الصماء لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورزق مريم ابنة عمران في محرابها بغير حساب، سبحانه وتعالى له الكون الشاسع والممتد، فضوء الشمس يصل إلى الأرض بعد رحلة طولها ثمان دقائق تقريبًا والمعروف أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر، ويقطع في الدقيقة الواحدة ثمانية عشر مليون كم، فأين تقع الشمس بالنسبة للأرض؟!، وهناك من النجوم ما يصلنا ضوؤها بعد مئات السنين، وهناك من النجوم ما لا يصلنا ضوؤها بعد انطلاقه منها إلا بعد ملايين السنين، وهناك ما لا يتوقع وصوله إلى الأرض إلا بعد بلايين السنين فأين تقع تلك النجوم؟!، إنه كون الله الشاسع والممتد، يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ (الواقعة: ٧٥).

ويقول عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧).

إنَّ كل هذا الإعجاز يبدو لنا بما يسمح به الله للبشر عن السماء الدنيا، فما بالنا بأسرار الله التي يسمح بها في كل يوم للعلماء في جميع المجالات، ومما توصل إليه العلماء حديثًا عن علم الحشرات، وفي مجال البحث والدراسة حول أحد أنواع الكائنات المختلفة وهي النملة، حيث وضعوها في مختبرات خاصة مع أجهزة للمراقبة والتصوير، وأجهزة أخرى فوق سمعية لتسجيل أي صوت يصدر من النملة وراقبوا سلوكيات النمل في أسلوب معيشته لفترة من الزمن، فوجدوا أن النمل أمة كأمة البشر لها قانونها

الاقتصادي والسياسي، والاجتماعي، والعسكري، فهو يوفر ويخزن الغذاء ويحفظ المخزون بطرق مختلفة حتى لا يفسد، وهو يرصد الاحتياطي لوقت الحاجة، وذلك بالنسبة لنظامه الاقتصادي.

وفي النظام السياسي لاحظوا أن في مستعمراته الملوك والرؤساء، والقادة وفي النظام الاجتماعي وجدوا نظام الأسر والجماعات وفي النظام العسكري هناك الجيوش والحمايات، بل وثبت أن النمل يقوم بحملات عسكرية على القرى المجاورة من النمل ويأسر منهم الأسرى ويضعهم في السجون! ومن ذلك يتبين لنا أن النمل أمة كأمة البشر تتميز بالدقة والنظام يقول تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٨).

ولقد كانت البشرية تظن منذ القدم وحتى العهد القريب، أن النملة تتعامل مع أخواتها بالإشارة أو الإيحاء أو غير ذلك، وكانوا يجهلون أن للنمل لغات خاصة، ولكنهم في عصرنا، وبواسطة أجهزة التسجيل فوق السمعية التي تُسجل الأصوات التي لا تسمعها الأذن، تبين أن النمل ينطق، ويتكلم، ويناقش، ويجادل، ويعقد المؤتمرات لدراسة مشاكله الخاصة، وهو يدل على مكان الغذاء بواسطة اللغة الكيميائية، حيث يترك أثرًا ورائحة معينة عند مكان الغذاء فيتعرف على المكان بقية النمل، وهذه اللغة للنمل يخبرنا الله تعالى عنها في قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ (النمل: ١٨).

وترجمة هذه اللغة يخبرنا عنها الله سبحانه وتعالى في قوله عز وجل: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ١٨).

ولقد اكتشف العلماء في عصرنا أيضًا أن للهدهد في عينيه عدسات متتابعة يخترق بها بعض طبقات الأرض ليلتقط رزقه بأمر الله، فسبحان الذي خلق فسوى وقدر فهدى، والله تعالى يخبرنا بمعرفة الهدهد لنعمة الله عليه في الآية الكريمة: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (النمل: ٢٥).

إنه هدهد عرف حقيقة التوحيد، ونسب إخراج الخبء لله عز وجل الذي أنعم عليه بتلك العدسات ليستطيع أن يحصل على غذائه في الأرض، والجو من خلال ما تنثره الرياح فانظر إلى نعم الله في نفسك وقل «سبحان الله»، ولا تفتر عن التسبيح، فإن التفكر ومعرفة نعم الله تُثبت الإيمان وتجعله راسخًا كالجبال، ولنا مثل فيما حدث في أواخر سنة ١٩٩١م حين رصدت أجهزة البراكين أن بركانًا سينفجر في دولة جزر القمر يوم كذا وسارع العلماء والصحفيون، والمصورون من أنحاء العالم لمراقبة هذا الحادث وتصويره.

ولقد وصل فريق من المهندسين الفرنسيين لإجراء أبحاثهم حول أسباب هذا البركان، والاطلاع على صدق توقعاتهم، وحين وصلوا تعجبوا من أصوات المسلمين في مساجدهم وهم يصلون ويبتهلون إلى الله عز وجل أن يلطف بهم ويدفع عنهم هذا البركان فلا ينفجر، فقال رئيس المهندسين الفرنسيين: وهل يمكن أن ينصرف هذا البركان المتحقق الوقوع بالأدلة التي رصدناها بهذه الكلمات التي يرددونها؟ وطلب أن يحضروا له هؤلاء المسلمين، وحين حضروا **قال لهم**: «إن البركان سينفجر في ساعة كذا من يوم كذا كما رصدت الأجهزة ذلك، وصورت الغليان تحت القشرة الأرضية في اتجاهه إلى أعلى، ولا يمكن أن يتراجع هذا الاتجاه المندفع لأعلى قط إلا بحدوث البركان»، **فقال المسلمون**: «لكننا نؤمن أن الأرض لله، والسماء لله، والكون لله، والخلق

خلقه، والأمر أمره ولا يحدث شيء في ملكه إلا بإذنه، فإن شاء انفجر البركان، وإن لم يشأ لم ينفجر»، **فقال**: «افعلوا ما بدا لكم، وإن لم ينفجر البركان دخلت معكم في دينكم» وذهب المسلمون إلى مساجدهم يتضرعون لربهم بالدعاء ويسألونه ألا يخزيهم أمام هذا الرجل، وجاءت اللحظة التي ينتظر الجميع فيها انفجار البركان، حيث اجتمع المصورون والصحفيون وبدأت الأقمار الصناعية تُرسل بأشعتها للتصوير، وتحدث المفاجأة الكبرى، ولا ينفجر البركان، ومر يوم، ويومان، وثلاثة، ولم ينفجر البركان[1] فأعلن المهندس الفرنسي إسلامه وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله.

١٥- القطع المتجاورات:

تشير الدراسات العلمية في عصرنا إلى أن الأرض ليست قطعة واحدة ولكنها قطع متجاورات، بسبب اختلاف الألواح المكونة لغلافها الصخري، ومن قبل لم يعرف الإنسان أن الأرض تحتوي ألواحًا صخرية مختلفة الصفات، فهناك صخور نارية ورسوبية، ومتحولة، وهي متجاورة، وتتباين فيما بينها في صفاتها الطبيعية، والكيمائية، وفي مظاهرها الخارجية، وأشكالها على سطح الأرض، وفي نسبها، وبذلك تتنوع النباتات كالأعناب والنخيل، ومختلف الزروع، والتي تُسقى بماء واحد ولكن تختلف بها نسب المواد السكرية والأملاح، فهي قدرة الله سبحانه وتعالى ولقد ذُكر العنب والنخيل في القرآن الكريم لما يحتويانه من فوائد صحية كبيرة، **حيث إن العنب** سهل الهضم والامتصاص وأثبت العلم فاعليته في الوقاية من مرض السرطان وعلاجه وكذلك الفشل الكلوي والنقرس، والتهابات الكبد، والمثانة، وتقيحات الفم، واللثة، وتسوس

(١) دعوة للنظر والتفكر- انظر حولك (ص:٢٠).

الأسنان، واكتشف العلماء أخيرًا أن ثمرة العنب تحتوي على مركب شديد الفعالية في مقاومة مرض السرطان يعرف باسم *Resveratrol* ريزفيراترول وهو موجود في نباتات أخرى ولكن بنسب أقل كالفول السوداني، والحمص، والفول البلدي، والعدس، وثمار التوت، ولقد شفيت الدكتورة «جوهانا براندت» من هذا المرض، ونشرت قصتها في كتاب بعنوان قصة الاكتشاف، كذلك نشر «باسيل شاكلتون» كتابًا بعنوان التداوي بالعنب بعد صراع مع مرض الفشل الكلوي استمر حوالي أربعين عامًا، ويظل العنب محتفظًا بقيمته الغذائية حتى بعد تحوله إلى الزبيب، وقد ذُكر في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة في عشر سور كريمة، وأطلق على مناطق زراعته لفظ جنات.

يقول تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾ (الرَّعْد: ٤). وكذلك ذُكر النخيل في القرآن، واكتشف العلماء فوائد كثيرة لثمار النخيل وهي البسر، والرطب، والبلح، والتمر، والتمر الجاف يحتوي على مواد كربوهيدراتية وسكريات بنسب تزيد عن ٧٠٪ وماء بنسبة ١٣٪ ومواد دهنية بنسبة ٢،٥٪ وأملاح معدنية بنسبة تصل إلى ١،٥٪ وفيتامينات أ،ب،جـ وبروتينات وهرمونات ومضادات حيوية بالنسب المتبقية، ومن هذه الهرمونات هرمون الأوكسيتوسين، وله دوره في إيقاف النزيف وإدرار اللبن والمساعدة على يُسر المخاض، واندمال الرحم، وانقباضه بعد الولادة وترقيق المشاعر، وتثبيت الفؤاد، وانشراح الصدر، وجلاء الحزن، وله دوره في ضبط توازن الدهون، والأملاح في الجسم، ومن أهم مكونات التمر أملاح المغنسيوم، والمنجنيز والحديد، **وللمغنسيوم دورة** في تنشيط الغدد الصماء التي تفرز الهرمونات المختلفة كذلك في تهدئة الجهاز العصبي، وسلامة العظام والأسنان، وزيادة معدلات نمو الخلايا ومرونة الأنسجة ومقاومة السموم الحمضية وترطيب الجسم.

والمنجنيز أملاحه مهدئة للأعصاب ومرققة للمشاعر والعواطف، ومزيلة للهموم والمخاوف، ومطمئنة للنفس، **والحديد يدخل في تكوين** كرات الدم الحمراء، ويصل إلى الأطفال إذا تناولته الأم، وتصل فوائده إلى لبن الرضاعة، **وأنواع النباتات** تختلف بحسب نوع التربة وتباين أنواع الصخور، ووفرة الماء أو قلته، وشفرته الوراثية، حيث عن طريقها يحدد النبات أنواع العناصر التي تُكونه بطعمه، ورائحته، وخصائصه الوراثية، ومع تباين الموروثات من نبات إلى آخر، تتباين البروتينات المنتجة بداخل الخلايا، ومن ثم تتباين ثمارها طعومًا ورائحة وألوانًا وأشكالًا، وهي متماثلة من نوع واحد صنوان، أو غير متماثلة من أنواع متعددة غير صنوان حيث اكتشف العلماء في عصرنا أكثر من أربعمائة ألف نوع من النباتات(١).

وتتنوع فيها الثمار، إنها الحقائق القرآنية، والتي أشارت إلى علوم التصنيف والوراثة، والبيئة، والأراضي، وهي حقائق لم يعرفها الناس إلا قريبًا، وذلك في نهايات القرن الثامن عشر الميلادي وورودها في كتاب الله الذي أُنزل في مطلع القرن السابع الميلادي بهذه الدقة العلمية، والشمول لتشهد بالرسالة والنبوة للنبي الخاتم الذي لا ينطق عن الهوى، يقول سبحانه: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرَّعْد: ٤).

إنه الإعجاز الإلهي الذي يجعلنا نعبد الله ونخشاه وندرك أن وعده حق، فلقد رزقنا إيمانًا وتشريعًا وأمنًا وصحة وأموالًا وبنين، فعلينا أن نعبده، ونخشى عذابه، فلقد

---

(١) «الإعجاز العلمي في عالم النبات» الدكتور/ زغلول النجار.

دخلت امرأة النار في قطة حبستها، وغفر الله لرجل سقى كلبًا يلهث من العطش، ولقد دخلت امرأة النار في مخيط كتمته، أي: سرقته، ودخل رجل النار في قيد دابة لم يرده لمن أخذه منه، ورُبَّ كلمةِ حقٍّ تدخلك الجنة، ورُبَّ كلمة تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفًا.

إن حكمة الله تعالى اقتضت أن تكون المسافة بين السعادة والشقاء هي تحول دقيق يحدد حقيقة يقين الإنسان بربه، لذلك فإن الأعمال بالخواتيم وأخبرنا ﷺ أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون ما بينه وبينها إلا ذارع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذارع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، فعلينا أن نظل دائمًا على الخير لأن الموت يأتي بغتة، ومن علامات الساعة موت الفجأة، ويشير لنا القرآن الكريم عن هذا الرجل الذي عاهد الله إن آتاه من فضله سيتصدق ويكون من الصالحين، وحين تفضل عليه ربه بخل فأعقبه نفاقًا في قلبه إلى يوم القيامة، فعلينا أن لا نخلف مع ربنا في التوبة، والنذور وغيرها، **إن العبد يغفل أحيانًا** قدر ربه الذي يعبده، إنه ربٌّ يُسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ربٌّ قال عن نفسه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ (طه: ١٠٥).

ربٌّ يسمع همسك وحوارك وكل ما يدب في كونه، يقول سبحانه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾.

(المجادلة: ١)

فعلينا أن نستحضر عظمة الله، وندعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، فلئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من الدنيا وما فيها، وعلينا أن نسبِّح ربنا، وندرك أننا

نتعامل مع كون مسبح، فليكن الرفق شيمة في تعاملنا، حتى وأنت تطرق على بابك، وكن على يقين من ربك، فنحن نؤمن بوجود الملائكة ولا نراهم، ونؤمن بوجود الجن ولا نراهم والأحداث كثيرة تثبت حقيقة وجود الجن من حولنا، وهم من المخلوقات فما بالنا بمن خلق والذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وكما أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ظهر في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسد بأجنحته الأفق ورآه الصحابة رجلًا أبيضَ الثياب، وضيئًا لا يُرى عليه أثر السفر، ويوم القيامة سوف نرى ربنا، ولن يكون هناك أجمل من نور وجهه الكريم، سبحانه تكفل بالرزق فجعل هناك رزقًا مضمونًا، يقول تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هُودٌ: ٦).

وجعل هناك رزقًا مملوكًا، يقول تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

(الحَدِيد: ٧)

ورزقًا يُنتظر، ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطَّلَاق: ٢-٤).

إن المتأمل يجد أن الكون رزق، وخلقه رزق، ووالديه رزق، وإيمانه رزق، والعمر رزق، وماله رزق، وأبناءه رزق، وعلمه رزق، والزوجة رزق، وطيباته رزق، **وأفضل الرزق** يقينك بالله، ومعرفته، فالحمد لله أن الله ربنا حمدًا لا ينتهي، فعلينا بصيانة هذا الرزق بشكر الله، مع الطاعة والعمل.

فالعلم صيانته بتبليغه، والتواضع به، وحمد الله عليه، وطلب الزيادة منه، ونعمة الطعام والشراب صيانتها بعدم الإسراف فيها، يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الطَّلَاق: ٣١).

والصحة صيانتها مساعدة الخلق، وكظم الغيظ، ولين الجانب، فشر الناس من لا يأمن جاره بوائقه، والإيمان صيانته بطاعة الله، والتفكر، والذكر، والاستغفار الدائم، والزوجة صيانتها بالنصيحة، والمعاملة الحسنة، يقول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**»، وكذلك أمرهم بفعل الخير، ورعاية الجار فإن هناك ثلاثة حقت عليهم لعنة الله، منهم رجل لم يأمر أهله بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وصيانة الأولاد بأمرهم بالخير، وأخذهم إلى المسجد، ولفتهم إلى نعم الله بالتفكر والنظر، فالنخلة بها الدرجات كالسلم لينتفع الإنسان بثمرها، والبيضة يخرج منها الريش الأسود من مادة صفراء وبيضاء والجمل شفته العليا مشقوقة ليتمكن من تناول أشواك الصحراء والتي تتجه في الغالب إلى أعلى.

والبطُّ دون الدجاج له غشاء جلد بأعلى قدمه ليتمكن من العوم في الماء وأغلب الشجر أملس والنخلة بالذات لعلوها فيها الدرجات كالسلم لينتفع الإنسان بثمرها، وعلينا بالنصح لكل مسلم يقول تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ (العصر).

وعلينا أن نغير المنكر، ولا نشاهد إلا ما فيه صلاح ديننا من البرامج الدينية النافعة يقول ﷺ: «**لا تزال «لا إله إلا الله» تنفع من قالها، وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخِفُّوا بحقها**» قالوا: وما الاستخفاف بحقها يا رسول الله؟ قال: «**يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير**».

وعلينا أن نُسرع إلى الصلاة متى سمعنا النداء، فلقد أخبر ﷺ أن في آخر الزمان سيكون قوم لا يأتون الصلاة إلا دبارًا، ومن يشهد أربعين صلاة يحضر فيها التكبيرة الأولى مع الإمام تُكتب له براءتان؛ براءة من النار، وبراءة من النفاق، وعلينا أن لا نسأل

الناس شيئًا، ولا نأخذ بسيف الحياء، فما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام ، وعلينا أن لا نغفل عن قيام الليل، حيث يسأل سبحانه في الثلث الآخر من الليل: هل من تائب فأتوب عليه، هل من مريض فأشفيه، هل من مستغفر فأغفر له؟! وكذلك فإن ركعتي الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها، واعلم أنك لا تكون مؤمنًا حتى يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، ولا تكون مؤمنًا حتى تحب لأخيك ما تحب لنفسك، فاللهم انفعنا بما علمتنا، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

١٦- علم النبات والإعجاز القرآني:

قسم علماء النبات الحبوب والثمار وغيرها من مختلف أنواع النبات إلى عائلات متشابهة وغير متشابهة، فالحب المتراكب يشمل القمح، والشعير، والذرة، والأرز، والشوفان وغيرها من محاصيل الحبوب والغلال، ويضم القمح عددًا من الأصناف المميزة منها البلدي، والهندي، والدكر، ومن الشعير يوجد البلدي، والنبوي، والتونسي، ومن الذرة البلدي، والبدري، والسبعيني، والصواني، والسكري، والمتبلور، وغيرها، ويوجد من أنواع الأرز المزروع حوالي ما يقرب من ألف صنف كالياباني، والسلطاني، والشعبي.

والحبوب المتراكبة في العائلة النجيلية التي تتميز بالساق الاسطوانية كالقمح، والأرز، وهي من ذوات الفلقة الواحدة، وهناك حبوب غير متراكبة ذات فلقتين توجد ثمارها في قرون بدلًا من السنابل ولذا توضع في عائلة من عائلات النبات، تُعرف بالعائلة القرنية تضم حوالي ٦٠٠ جنس و١٢ألف نوع ومئات الآلاف من الأصناف كالفول والحمص، والعدس، والفاصوليا، والحلبة، وغيرها، وهناك العائلة النخيلية وتضم أكثر من ٢٠٠جنس و٤٠٠٠نوع من أشجار النخيل، ومن نخيل التمر، ونخيل

جوز الهند، ونخيل الزيت، ونخيل الأريكة، والنخيل الملوكي، ونخيل الخيزران، وغيره، وكذلك هناك عائلة العنابيات، ومنها العناب، والنبق، وغيره، وتضم ١١ جنسًا و٦٠٠ نوع، وهناك العائلة الزيتونية وتشمل ٢٢ جنسًا و٥٠٠ نوع من الأشجار والشجيرات، وهناك رتبة في تصنيف النباتات تسمى المرسينيات تشمل ٣٣ عائلة منها العائلة الرمانية، ووجد العلماء أن أفراد كل نوع من أنواع النبات تبدو متشابهة في ظاهرها، ولكن بدراستها المتخصصة يتضح ما بينها من الفرق، وأنها مختلفة.

ويخبرنا الله تعالى عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٩).

ويعتمد علماء النبات على مشاهدة الشكل الخارجي لمختلف أجزاء النبات في جميع أطوار نموه؛ حتى يمكن التعرف عليه وتصنيفه، وهي من القواعد الأساسية اليوم في علم النبات، ينبهنا سبحانه بالنظر إلى الثمر وما يعتريه من مراحل النمو، والتغير في اللون وتدرج في الطعم، واختلاف الحجم، فسبحانه وتعالى يخرج من النبتة الخضراء حبات الأرز البيضاء، والقطن الأبيض الخيطي، والورود، والفواكه مختلفة الألوان، فسبحان الخالق البديع، كذلك فإن الآية الكريمة جمعت كل أنواع الغذاء الأساسي للإنسان، وأنعامه، وما دون ذلك؛ فهي نباتات، وخضروات، وأعشاب ونباتات زينة، وظل، ليست من الضروريات الملحة لحياة الإنسان وأنعامه، ولكن الله تعالى ذكرها جميعًا مع النباتات الضرورية في آية جامعة وهي قوله سبحانه.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا

حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ (عبس:٢٤-٣١).

١٧- الزوجية ووحدة البناء:

تتجلى الزوجية في الخلق، والتي تنطق بوحدانية الخالق الذي تفرد هو بالوحدانية وخلق زوجين من كل شيء، فلقد سجلت الأبحاث والدراسات العلمية الكثير من صور الزوجية في الكون، ومنها الزوجية في الكائنات الحية كالإنسان، والحيوان، والنبات، والزوجية في الخلايا التناسلية الذكرية والأنثوية، والزوجية في النطفة الذكرية التي تحمل صبغي التذكير والتأنيث، والزوجية في الصبغيات الموجودة في نواة الخلية الحية، والزوجية في حاملات الوراثة «الجينات» والزوجية في بناء الحمض النووي، والزوجية في ترابط القواعد النتروجينية الأربعة البانية لسلميات الحمض النووي، والزوجية في ترابط جزيء الحمض النووي *DNA* والزوجية في بناء الأحماض الأمينية في صورها اليمينية واليسارية، والزوجية في الذرة بنواتها الموجبة وألكتروناتها السالبة، والزوجية في اللبنات الأولية للمادة وأضدادها، أي: في الوجود والعدم، والزوجية في شحنات الطاقة الموجبة والسالبة.

والزوجية في كل من المادة والطاقة وهما وجهان لجوهر واحد يشير إلى وحدانية الخالق، وقد ثبت أن الأحماض الأمينية في أجساد جميع الكائنات الحية النباتية والحيوانية والأنسية، هي من الأشكال المرتبة ترتيبًا يساريًا، فإذا ما مات الكائن الحي فإن الأحماض الأمينية اليسارية الترتيب في بقايا جسده تبدأ بإعادة ترتيب الذرات في داخل جزيئاتها من الترتيب اليساري إلى الترتيب اليميني بمعدلات ثابتة حتى يتساوى الشكلان ويمكن استخدام نسبة الشكلين اليميني واليساري للحمض الأميني الواحد

في بقايا أي من النبات أو الحيوان أو الإنسان في تحديد لحظة وفاته بدقة بالغة، وقد ثبت أن للمادة قرابة الثلاثين نوعًا من أنواع اللبنات الأولية، وكل واحدة منها لها نقيضها، كما أن الجسيمات الأولية للمادة لها لكل جسيم نقيضه، وأن المادة ككل لها نقيض المادة، وإذا التقت النقائض، فإن كل واحد منها يفني نظيره لأنهما يتخليان عن طبيعتهما المادية ويتحول إلى طاقة تعلن عن فناء المادة، ومن هنا كان الوجود، والعدم، وكانت إمكانية الإيجاد من العدم، أي: الخلق على غير مثال سابق، ولا يقدر على ذلك غير الله، وكذلك الطاقة، فإن لكل صورة من صورها ما هو ضدها.

فالكهرباء فيها الموجب والسالب، والمغناطيسية فيها العادي والمقلوب، وكذلك الضوء له زوجية واضحة حيث يتحرك أحيانًا على هيئة أمواج، وأحيانًا أخرى على هيئة جسيمات، كذلك ثبت أن المادة والطاقة هما وجهان لجوهر واحد يشير إلى وحدانية الله، وكذلك فإن خلق اللبنات الأولية للمادة على هيئة أزواج وتحويلها إلى طاقة على هيئة زوجية أيضًا، وإمكانية إفنائه إلى العدم، والزوجية تبدو في كل صورة من صور الخلق من أدق جزيئاته إلى أكبر وحداته حتى يبقى الخالق سبحانه متفردًا بالوحدانية المطلقة فوق خلقه يقول تعالى في ذلك: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(الذاريات: ٤٩)

ونلاحظ أن رقم سورة الذاريات هو ٥١ ورقم الآية ٤٩ والمجموع هو ٥١+٤٩= ١٠٠٪ وهو إحصاء ١٠٠٪ أي أن كل شيء في زوجية ولا وحدانية إلا لله تعالى وهناك آيات كثيرة من أمثلة ذلك يثبتها الإعجاز الرياضي في القرآن[١] وفي

(١) «نماذج الإعجاز الرياضي» - الدكتور عبد الله البلتاجي، وله مجموعة كتب وأبحاث علميه تبهر العقول وبالفعل يقف الإنسان عاجزًا أمام أسرار الله، سبحانه هو المعطي والعليم والخبير.

النهاية لابد أن نعرف أن لكل جسيم في الذرة جسيمًا نقيضًا، وهذه الجسيمات ونقائضها تكون المادة والمادة النقيضة، ولا يمكن لمثل تلك النقائض أن تجتمع في مكان وإلا أفنى بعضها بعضًا فسبحان الذي فصل بين المادة ونقائضها حتى يوجد هذا الكون الشاسع الاتساع الدقيق البناء، والمحكم الحركة، والمنضبط في كل أمر من أموره، والمؤسس على منهج واحد يشهد بالوحدانية لله، وسبحانه إذ أبقى المادة النقيضة في مكان ما بعلمه، حتى إذا شاءت إرادته إفناء الكون، جمع المادة ونقائضها بأمره كن فيكون، ولقد وجد العلماء أن قوى الجاذبية والقوى الكهرومغناطيسية، والقوى النووية الشديدة، وغير ذلك من أنواع الطاقة مرجعها إلى المادة التي بدأت بالانفجار العظيم، واستمرت وحدة الحركة التي تشير إلى تسبيح الخالق سبحانه حيث طواف الإليكترون في المادة، والسيتوبلازم في النبات، والمسلمين حول الكعبة... فسبحان الواحد القهار.

١٨- الموت والحياة:

خلق سبحانه الموت والحياة وحكم بالفناء على كل شيء، ليبقى سبحانه الملك والمهيمن على كل شيء، ويقدر عمر الأرض بنحو ٤٦٠٠مليون سنة، بينما يقدر أقدم أثر للحياة على سطحها بنحو ٣٨٠٠ مليون سنة، أي أن الأرض أخذت حوالي ثمانمائة مليون سنة على الأقل من أجل إعدادها لاستقبال الحياة، ولقد وجد العلماء أن غالبية الجزء المدرك من الكون يتكون من غاز الأيدروجين، وهو يمثل أكثر من ٧٤٪ من مادة الكون المنظور، وهو أخف العناصر وزنًا وأقلها تعقيدًا، يليه غاز الهيليوم الذي يشكل حوالي ٢٤٪ ويتكون داخل الشمس من اتحاد أربع من نوى ذرات الأيدروجين وتنطلق الطاقة، وبقية العناصر تمثل أقل من ٢٪ من مادة الكون المنظور، ولقد استنتج العلماء

من ذلك أن جميع العناصر تكونت من اتحاد نوى ذرات عنصر الأيدروجين وهو مادة غير حية بعملية الاندماج النووي.

ويتم إنتاج العناصر الأخف وزنًا عن طريق الاندماج النووي حتى الوصول إلى معدن الحديد الذي يتكون في النجوم المستعرة، حيث يحتاج إلى طاقة عالية لترابط جزيئاته، وباتحاد نوى ذرات العناصر مع الإليكترونات تكونت الذرات، وباتحاد الذرات تكونت الجزيئات، وباتحادها تكونت المركبات، وحين انفصلت الأرض عن الشمس كانت كومة من الرماد، ثم رجمت بوابل من النيازك والشهب الحديدية وبعض العناصر الأخرى، التي انصهرت في باطن الأرض وصهرتها وميزتها إلى سبعة أوشحة متتالية، يتناقص فيها الحديد بالتدريج حتى الوصول إلى الغلاف الصخري للأرض، ويتكون الوشاح الأول الصلب وهو لُبُّ الأرض من الحديد والنيكل، ويليه لب سائل أغلبه أيضًا الحديد والنيكل، وهي الطبقة المنصهرة في باطن الأرض.

ومع الاكتشافات الحالية يتوقع العلماء أن عدد الأنواع التي عاشت على الأرض واندثرت، والتي تعيش اليوم، سوف يصل إلى خمسة ملايين نوع من أنواع الحياة، وفي لبنة الخلية الحية يتجمع أكثر من مائتي ألف نوع من الجزيئات لتكوين الحمض الأميني وهو لبنة بناء الجزيء البروتينى لتكوين لبنة بناء الخلية في ترابط يدل على إبداع العلي القدير فلا عشوائية في الخلق الأول، ولا عشوائية في التدرج في الخلق؛ لأن لكل نوع من أنواع الحياة عددًا محددًا من الصبغيات التي تحمل شفرته الوراثية، وتتحكم في صفاته ونشاطه ومنها الانقسام والتكاثر.

وهذه الشفرة الوراثية على قدر من الدقة والتعقيد لا يمكن للصدفة أن تكون قادرة على إبداعه أبدًا، ثم إن عملية تدرج عمارة الأرض بأنماط الحياة تمت بإتقان معجز لعب فيه كل طور من أطوار الحياة دورًا في إعداد الأرض للطور التالي ولا يمكن للصدفة أبدًا أن ترتب ذلك، ثم إن هناك انقطاعات في سجلات الحياة الإحفورية تؤكد حقيقة الخلق، وتنفي عشوائية التدرج، كذلك فإن صفات الإنسان التشريحية، والنفسية، وتحديد عدد الصبغيات التي تحملها الشفرة الوراثية، وقدراته العقلية وتمايز الهيكل العظمي فوق أعلى مخلوق قبله كصفة وحيدة تنفي أقوال الملاحدة في كل زمان؛ لأن هذا التمايز لا يمكن أن يتم في الفترة الزمنية القصيرة التي عاشها نوع الإنسان على الأرض، إضافة إلى مهاراته المختلفة، كالذكاء، والكلام، وقدرته على الشعور، والانفعال والتعبير، وكسب المعارف، والذاكرة الحاضرة، وغير ذلك مما يثبت خلق الإنسان الخاص وفصله عن كل صور الحياة من قبله.

كذلك فإن دقة تكوين وعمل الخلية الحية ونشاطها الدفاعي رغم ضآلة حجمها أقل من جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر المكعب فلها جدارها الذي يبدو كالسور العظيم، تتخللها بوابات تَفتح وتُغلق بانتظام معجز، ولها جيوشها الدفاعية، والهجومية، والاحتياطية، ولها قوى وأجهزة كهرومغناطيسية، ولها مسئولون عن التموين، وقدرة على تصنيع أكثر من مائتي ألف نوع من أنواع البروتينات، ولها علاقات داخلية منضبطة، وأخرى خارجية مع غيرها من الخلايا حولها، وهذا كله لا يمكن أن يكون للصدفة دور فيه.

ومن صور الحياة أيضًا في كلٍّ من الإنسان، والحيوان، وبعض النباتات، تتحول المواد الغذائية من الكربوهيدرات وغيرها إلى البروتينات، وهي مركبات عضوية

تتكون من جزيئات معقدة تكون كل الأنسجة الحية في الإنسان والحيوان، وهي تقوم بالعديد من صور الحياة كدعم الحركة في العضلات، والعظام، وعمليات نقل الدم، ورسائل الأعصاب وحفز التفاعلات الحية، كنشاط الإنزيمات في الخلايا.

كذلك فإن أجساد الكائنات الحية تتجدد باستمرار ماعدا الخلايا العصبية، حيث يفقد الإنسان من خلاياه في كل ثانية حوالي ١٢٥ مليون خلية في المتوسط حيث تموت ويتكون غيرها في الحال وهذه صورة أخرى لإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي حيث تتحرك المواد الميتة بين الأرض، ومائها، وهوائها، والطاقة القادمة إليها من الشمس لتخليق المواد اللازمة لبناء الخلية الحية من الكربوهيدرات، والبروتينات، وغيرها وهي مواد بناء الخلية الحية الجديدة ثم تموت هذه الخلايا وتتجدد العملية، وتلك حقائق لم يدركها الإنسان إلا في أواخر القرن العشرين[(١)].

كذلك فإن سكون التربة وما بها من كائنات دقيقة، وبذور هي صورة من صور الموت ولكن بنزول الماء سرعان ما تتحرك الأرض، وتنمو البذور، وتتحرك الأحياء الدقيقة المتحوصلة، ويقوم النبات بدوره في عملية البناء الضوئي والتنفس حيث يخرج الأكسجين ويمتص ثاني أكسيد الكربون يقول سبحانه: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (الروم: ١٩).

١٩- الطلع النضيد وصور الإبداع:

تتجلى صور الإبداع الإلهي في خلق النخيل ومختلف النباتات فلقد أخرج سبحانه حبات الأرز البيضاء من الشتلة الخضراء ليكون رزقًا للعباد، والقطن الأبيض الخيطي

(١) ملخص ما أضافه الدكتور زغلول النجار، حول الإعجاز في الآية القرآنية السابقة.

من النبتة الخضراء ليكون كساءً للعباد، ولقد ميز الله تعالى الماء من بين السوائل بأنه واحدًا من أشد الوسائل تماسكًا وتلاصقًا، وأقواها بعد الزئبق في تحقيق ظاهرة التوتر السطحي حيث يتميز بقدرة الله بالخاصية القطبية المزدوجة، وفي ذلك قدرة على تسلق الأوعية التي يوجد فيها، وكلما دق قطر الوعاء الذي يتصاعد فيه كان ارتفاعه بسرعة أشد وهو ما يعرف بالخاصية الشعرية، ولقد شاءت إرادة الخالق المبدع سبحانه أن يجعل الأوعية الخشبية في قلب شجرة النخيل صغيرة الأقطار بشكل ملحوظ مما يساعد على رفع العصارة الغذائية بالخاصية الشعرية، ومع الضغوط الجذرية، والخاصية الشعرية وقوة الشد الناتجة عن النتح ينشأ بداخل جذع النخلة ضغط جوي يعمل على رفع العصارة الغذائية الناضجة بعد تكوينها في الأوراق من قمة النبات إلى جذوره، خلال خلايا لحاء الشجرة بفعل الجاذبية الأرضية.

ولقد جعل الله تعالى سعف النخل يلفها بخلايا ليفية لحفظ الماء من البخر، والتغيرات المناخية وعوامل التعرية، وتقوية الجذع، كذلك وريقات النخل تمنع تسرب الماء وبها أشواك تمنع تسرب الماء، منها بعملية النتح، وفروع الشماريخ غليظة ومتينة، وعلى الشماريخ هناك ما يقرب من العشرة آلاف زهرة على الطلع الواحد منضودة، وهي حقائق لم يعرفها أحد في زمن الوحي، ولم يعرفها العلماء إلا بعد الكثير من الأبحاث والدراسات النباتية، وأخبرنا الله تعالى عنها منذ ألف وأربعمائة عام في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾ (ق: ١٠).

ومن إعجاز الله تعالى أيضًا أن الماء جعله سبحانه لإحياء الأرض، والنبات والإنسان، والحيوان وجميع الكائنات، لذلك نجد أن خاصية تجمد الماء في البحار تكون في الطبقات السطحية من الماء حتى لا تتجمد الكائنات البحرية أسفل البحر، كذلك

فإن ماء المطر ينزل من السماء فيغسل الأرض، ويذيب العديد من أملاح صخورها القابلة للذوبان، ولولا أن ماء المطر يجدد عذوبة ماء الأرض باستمرار ما وجد الإنسان قطرة ماء صالحة للشرب كذلك فإن الماء كان سابقًا في وجوده على الأرض لخلق أحيائها يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٧).

ثم بعد ذلك النبات، ثم الحيوان، ثم الإنسان؛ وذلك لأن النبات له دوره الرئيسي في إمداد الغلاف الغازي للأرض بالأكسجين، وهو مصنع تتخلق فيه المواد العضوية اللازمة للإنسان، والحيوان، والنبات..والماء يعتبر عذبًا إذا كانت ملوحته لا تتعدى الألف جزء في المليون، وماء المطر لا تتعدى ملوحته العشرين جزء في المليون، ولأهمية ماء المطر في وجود الماء النقي على سطح الأرض، وأهميته في نمو النبات والشجر، وهي أساس غذاء الإنسان، والحيوان، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (النحل: ١٠).

إنه الإعجاز الذي يشهد للنبي ﷺ الخاتم أنه لا ينطق عن الهوى، فعلينا بالتمسك بسنته، في الخشية من الله، والإخوة في الله، فنحن جميعًا إخوة من أبوينا آدم وحواء، إضافة إلى إخوة الإسلام، وعلينا أن ندرك أن الله تعالى هو الخالق، الرزاق، المجيب وهو معنا أينما كنا، ولا أمل إلا في رحمته للنجاة من النار، والزمهرير، ولنحذر الشرك، وفتنة المال، والنساء،... لقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من خشيته يُشم من فمه رائحة الكبد المشوي، وكان عمر رضي الله عنه، يقول ليت أم عمر لم تلد عمر. فعلينا بالخشية من الله، فديننا هو الحق ووعد الله حق، لقد أكلت الأرضة ما في صحيفة قريش من جور وظلم إلا «**باسمك اللهم**» وحين صنع الأطباء عقارًا للشيخوخة لم يفلح لقوله ﷺ : «**لكل داء دواء إلا الهرم**» وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يُحيي

الموتى، وينبئ الناس بما أكلوا وبما ادخروا بإذن الله وعلمه، فسبحان علام الغيوب، وما أشد تقصير الجاحدين، فتذكر الظلمة والنار والزمهرير.

وتذكر أن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار، وكن رحيمًا بالناس، والكائنات، وبالصغير، والكبير؛ لتشملك رحمة الله، واعلم أن الناس تتفاوت في الأرزاق، والألوان، والمناصب، والأعمار، والعلم، والصحة، والهدى، والابتلاءات، والأعمال وغير ذلك، فلينظر كل منا إلى عطاء الله له ليشكره، ولا ينظر للآخرين، ولا ينظر لمن هو فوقه، فربما فضلك الله في العلم، أو الصحة، أو غيره، ومن رضي بما قسمه الله له كان أغنى الناس، لذلك فإن عدم الاستقرار النفسي، والفكري، من عدم القناعة والتفكير في الشهوات، فسبحان من أنعم علينا بطيبات وزودنا بأعضاء السمع والبصر والحركة، والهضم، وزود الجسم بالإنزيمات، والعصارات الهاضمة، فكل شيء بقدر فلا تهاون في حدوده، قطع سبحانه سلطان البشر في الأرزاق، والآجال، يقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ ﴾ (الملك: ٢١).

إن أوامر الله تعالى كلها خير، قال ﷺ: «**طوبى لمن صلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره**»، وأمرنا ﷺ بأمر من ربه سبحانه بإفشاء السلام، ولين الكلام وإطعام الطعام، وصلة الأرحام والصلاة بالليل والناس نيام، وهو سبيل دخول الجنة بسلام، وعلينا بالدعوة إلى الله، يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

يقول شجاع بن الوليد: صحبت سفيان الثوري ذات يوم فما فتر لسانه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذهابًا وإيابًا، فأين نحن من هؤلاء، إنهم أدركوا واجب التبليغ وأحبوا لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم.

٢٠- الإعجاز القرآني وشجرة اليقطين:

حين خرج النبي يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ من بطن الحوت أنبت الله عليه شجرة من يقطين، والمعروف أن نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ قد خرج من بطن الحوت مريضًا وضعيفًا ومنهك القوى، وربما بعض آثار الجروح والالتهابات على جسده، والدراسات النباتية تثبت أن اليقطينيات فصيلة كبيرة بها حوالي ألف نوع نباتي تنتشر في الأقاليم المدارية، وشبه المدارية، وتتميز بالأوراق الكبيرة، والأزهار المختلفة، ومنها القرع العسلي، وقرع الكوسة، والشمام، والبطيخ، وغيرها، وقد أجريت بعض التجارب المعملية على بعض أنواع اليقطينيات فكان لها أثر فعال ضد أنواع مختلفة من البكتريا، **وأعطى القرع العسلي** أعلى فاعلية ضد البكتريا مما يثبت تأثير اليقطينيات الناجح ضد الميكروبات خاصة البكتريا، وهو ما يتناسب مع حالة نبي الله يونس عند خروجه من بطن الحوت.

وكذلك ثبت تأثير اليقطينيات الواقي ضد الحشرات، وآفات المخازن، ومنها الحنظل وقرع الكوسة، حيث ثبت تأثيره على تطور عذراء الذبابة، وتستخدم اليقطينيات في عمل لبخات لتلطيف الحروق والرضوض وغيرها، ويستخدم عصير القرع مرطبًا وملينًا وقاطعًا للحمى عند ارتفاع درجة الحرارة، واليقطين سهل الهضم لا تُجهد ثماره المعدة والأمعاء وهو ما يناسب حالة الضعف العام التي صاحبت نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ عند خروجه، والقرع الأصفر يمنع السرطان، ومفيد في علاج التهابات المسالك وعسر البول وملين لمرضى القولون الغليظ، وبه مركبات كثيرة تفيد في علاج الكثير من الأمراض المختلفة وهذا ما أشار إليه سبحانه وتعالى منذ ألف

وأربعمائة عام في قوله سبحانه: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ (الصَّافَّات: ١٤٥-١٤٦).

وقد ذُكر من فوائد القرع سرعة إنباته[١]، وتظليل ورقه لكبره ونعومته، وأنه لا يقربه الذباب وجودة ثماره وقيمتها الغذائية، وأنه يؤكل نيئًا ومطبوخًا، إنها الآيات التي تملأ المؤمن يقينًا بربه، ومع اليقين لابد من العمل، فالمشركون كانوا لا يكذبون النبي ﷺ يقول تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون أي: لا يريدون التطبيق والعمل، ومنه إقامة الصلاة، وأداء الزكاة، وغير ذلك من أمور العبادات، فلابد من الإيمان قولًا وعملًا يقول ﷺ: «**من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله**».

واليقين معناه المعاملة الحسنة مع الجميع والحرص على عدم الخطأ في الفكر والنظر، والكلام، والتصرف، حيث إن كل مسلم يحرس الإسلام في مكانه، فاحذر أن يؤتى الإسلام من قِبَلك؛ لأنك قدوة لغيرك، أقسم النبي ﷺ: «**أنه لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع**» فلابد من عمل صندوق للفقراء في كل قرية. يوزع شهريًا عليهم. وأوصانا بالعدل مع الأهل والموالي ومع جميع الخلق فقال: «**المقسطون على يمين الرحمن يوم القيامة وكلتا يديه يمين**»، وكن داعيًا إلى ربك على بصيرة، والبصيرة تشمل الجسد والقلب، والعقل، والنفس، فلا تُسِئ لغيرك واصبر على من تدعوه حتى لا تفشل دعوتك، ولا تغتر بصلاحك فربما تسيء أنت، ويتوب من تظن

---

(١) بحث علمي عن شجرة اليقطين- مجلة الإعجاز العلمي- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

أنه هالك؛ لأن الأعمال بالخواتيم، واجعل علاقتك بالناس رحمة، فمن لا يرحم الناس لا يرحمه الله، ومن شهد له أربعة من جيرانه الأدنيين يقول تعالى: «قَبِلت شهادتكم فيه وغفرت له ما لا تعلمون».

وكُن ذاكرًا لله دائمًا، ولا تغفل عن ذنبك، قانعًا بما هولك، ولا تخرج عن دائرتك فما أجمل الرضا والمروءة، وتقوى بحمد الله، فالحمد لله تملأ الميزان، والزم الصمت ولا تنطق إلا بالحكمة، وتخلَّق بعزة الإيمان، واعلم أنك تظل تترقى بالعلم ما دمت حيًا، فكل كتاب تقرؤه يمنحك درجة في الترقي، وكل مجلس علم تحرص عليه يمنحك درجة في المعرفة، فلا تَقُل علمت، وكن دائمًا طالبًا للعلم، ولا تغرَّك الدنيا والصراع عليها، فالنبي ﷺ لا يخشى على أمته من الفقر ولكنه يخشى أن تُفتح علينا الدنيا فتنافس عليها فتهلكنا كما أهلكت من كانوا قبلنا.

فعلينا بعلو الهمة في كل شيء، في اليقين وفي المروءة، وفي الصبر على البلاء، وفي العمل، وفي الرضا، يمنحك الله تعالى كل خير، فيلهمك ذكره، ويمنحك البصيرة، كما منح بعض عباده خوارق العادات، وهناك من رأوا الملائكة، ومن رأوا الجن، ومن تتحقق رؤياهم كفلق الصبح، إنها منح الله تعالى القادر على كل شيء.

٢١- الإعجاز في الوصف القرآني لنمو النبات:

يعرف العلماء في عصرنا أكثر من ٣٥٠ ألف نوع من أنواع النباتات، وكل نوع يتكون من بلايين الأفراد، وكل نوع يختلف في الصفات الداخلية والخارجية عن غيره بما في ذلك اللون، والطعم، والرائحة، بالنسبة للثمار، وهذه النباتات منها ما يزرع ومنها ما ينبت بطريقة فطرية، وقد خلقها الله تعالى كلها في بادئ الأمر بطريقة فطرية لا دخل

للإنسان فيها، ولكل بذرة قدرة خاصة، وشفرة وراثية ميزها الله بها، فتمتص الماء، وتختار ما يناسبها لونًا وطعمًا من عناصر الأرض، ومن مركباتها، وعند امتصاص الماء يزيد حجم البذرة وتحدث ضغوط هائلة على أغلفتها حتى تنشق وتنفجر، ولولا ذلك ما أنبتت تلك البذور،وكذلك فإن التربة تتفاعل مع الماء فتهتز، وتربو، وتنتفش، حتى ترق رقة شديدة لتستطيع النبتة الطرية المنبثقة من البذرة، من الصعود إلى سطح الأرض، وينمو النبات وتغلب عليه الأصباغ الخضراء لتصنيع الغذاء، ثم عند نضج الثمار تتوقف الحاجة إلى الغذاء فتتوقف الأصباغ الخضراء، وما تبقَّى منها يبدأ في التحلل ثم تظهر الأصباغ الكاروتينية الصفراء، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ (الزمر: ٢١).

ثم بعد ذلك يبدأ النبات في فقد الماء، ثم تتحلل المادة الجافة بواسطة العديد من النباتات المتطفلة كالفطريات، والأشنات، والحزازيات، وهي تفرز إنزيمات تساعد على تحلل بقايا النبات فيكون حطامًا، وقد يعود هذا الحطام إلى مكوناته الأساسية التي تمتصها التربة، وهي صورة من صور دورة الحياة والموت التي يتعرض لها كل كائن حي[1]، حيث تنتهي مكوناته إلى التراب لذلك يجب أن يتذكر أصحاب العقول قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ٢١).

٢٢- عوالم وإحاطة وإبداع:

يظن الإنسان أن عالمه هو كل شيء ويغفل عن التفكر في العوالم الأخرى، حيث صور الإبداع التي لا تنتهي... فهناك عالم البحار.. والطير.. والنحل.. والنمل..

---

(١) انظر: «موسوعة الإعجاز العلمي»- الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم بعنوان- «الموت والعظة».

والأنعام.. والدواب ومختلف الكائنات..، وعالم النبات..، والأجرام والكواكب..، وفي تلك العوالم هناك الكثير من آيات القدرة والإبداع فمثلًا هناك في قاع البحار أحياء كثيرة، وظلمات شديدة وسكون رهيب وضغط شديد جدًا، لو نزل إنسان في تلك الأماكن وبدون أجهزة الوقاية لانفجر جسمه، وتهشمت عظامه في الحال، ورغم ذلك تعيش أنواع من الأسماك في تلك الأماكن، وتختلف ألوان الأسماك في البحار، والشعب المرجانية، والصخور المختلفة بصورة رائعة تشهد للخالق سبحانه بعظيم القدرة والإبداع، هناك الأسماك المضيئة، والأسماك التي تولد الكهرباء، وعند توصيل جسمها بطرفي سلك ومصباح فإن المصباح يضيء كما تضيء المصابيح العادية.

وهناك أنواع تعيش في البرودة الشديدة، وأسماك تعيش في درجة حرارة عالية، كما أن هناك أحياءً في الأرض وكائنات تعيش في الجليد، وأحياءً أخرى تعيش على جدران النافورات الساخنة التي تندفع من الأرض، ويعترف العلماء أن أسفلنا صهارة تجري كالسهول في درجة ألفي درجة مئوية في عنف رهيب تم تصويرها أثناء ثورات البراكين، وفي إحدى المدن بإيطاليا وبعد ميلاد المسيح بأعوام، حيث عاش سكان تلك المدينة في الفساد والإصرار على مخالفة تعاليم المسيحية التي أمر بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فكان البركان** الذي ابتلع تلك المدينة واندفعت منه سيول من الصهارة، والنيران، والدخان وبعد فترة من الزمان أثناء التنقيب والبحث وجد العلماء منازل وسكان تلك المدينة متحجرين على ما كانوا عليه من الفساد والمجون، كذلك أهلك الله تعالى قوم عاد، وثمود، وأغرق قوم نوح وأهلك أصحاب الأيكة وهي سنة الله لكل من يخالف ويصر على معصيته، يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾.

(طٰهٰ: ١٠٥)

والناس سكارى ينسون مسئولياتهم من إعداد الزاد للآخرة، والاستعداد لسكرات الموت، وظلمة القبر، ويوم البعث الذي يجعل الولدان شيبًا، والموقف العظيم حين تدنو الشمس من الرؤوس، ويُلجم العرق من انتظروا، فيتمنى أحدهم أن ينفض ولو إلى النار، ينسى الناس كل ذلك بالانشغال بالشهوات الزائلة في الدنيا، رغم أن كل الشهوات في النهاية قيمتها لا شيء، ولا يبقى إلا الله والنعيم الدائم، حين تحدث ﷺ عن الموجِبات، بين أن من أشرك وجبت له النار، ومن لم يشرك بالله وأطاع ربه وجبت له الجنة، فليحذر كل منا شهواته، أن تهوى به دون أن يدري في الشرك، فلا يؤمن أحدنا حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما..

إن من أصناف البحار القواقع مختلفة الأشكال، والألوان، وثعابين البحر، والقنافذ البحرية، والحبار، **والأسماك الطائرة**، التي تندفع من الماء لمسافات طويلة، وتُرى في الفضاء كالطيور، ثم تنزل إلى الماء مرة أخرى، وهناك أسماك تمسك بدودة في فمها حتى تقترب سمكة أخرى، لتأكل الدودة فتبتلعها السمكة الكبيرة، وتختلف حركة المياه في البحار والأنهار، فالبحار يغلب عليها السكون، وتنشط أمواجها قرب الشاطئ، ولكن الأنهار يغلب عليها الجريان لذلك لم تأتِ إشارة في القرآن الكريم، تشير إلى أن البحار تجري، ولكن هناك الإشارة إلى جريان الأنهار كقوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (البَيِّنَة: ٨).

وهناك أسماك تدفع الماء على أوراق النبات لتلتَهِم الحشرات التي عليها[١]، وهناك ما يقرب من أربعمائة ألف نوع من الحيوانات البحرية، وهناك معادن البحار

---

(١) «الله والعلم الحديث»، عبد الرازق نوفل - عن العجائب في عالم النبات.

وثرواتها، ومن رحمة الله أنه (كلما زادت أهمية الشيء للإنسان زادت كميته) فالماء الذي يحتاجه الإنسان مساحته أكبر من مساحة اليابسة.

وملح الطعام وهو من أهم العناصر لجسم الإنسان، فهو يدخل في تركيب الدم، والقلب لا ينبض إلا بأمر الله في وجود هذا العنصر والخلايا تحتاجه للقيام بوظيفتها نجده متوفرًا بالبحار بكثرة، هناك أسماك ضخمة جدًا حتى أن الأسماك الصغيرة تدخل فمها وتخرج دون شعورها بذلك، وتختلف الرؤية في الأسماك، فمنها ضعيف الإبصار، ومنها الحاد الذي يرى ما تحت البحر، وما فوق السطح، وكما تتلون الزواحف على الأرض حسب البيئة التي تعيش فيها لتختفي من الأعداء، كذلك الأسماك؛ هناك من يأخذ شكل الصخور التي تختبئ بها، أو لون الخضرة المحيطة بها، وهناك حدائق المرجان بألوانها مما يثبت أن الجمال والإبداع من الصفات التي تميز خلق الله وكونه في البر، والبحر، والفضاء، وكذلك الإتقان تجده في كل شيء... إنه الله، جميل يحب الجمال، أتقن كل شيء خلقه، وعلم وأحاط وأحصى كل شيء عددًا.

وفي عالم الطير هناك آلاف الأنواع من الطيور التي تختلف في أشكالها وألوانها ونظام معيشتها، وهناك الطيور التي تهاجر آلاف الأميال ثم تعود إلى موطنها دون أن تضل، فقد قدَّر الله وهدى، والطيور التي تحتضن البيض نجد أنها تقلب البيض، وتجعل له وسادة من ريشها، وتهاجم من يقترب من صغارها وتطعمها، وتختلف مخالب الطيور، ومناقيرها بحسب أنواع الطعام الذي تحتاجه وهناك الطيور التي تغوص في البحر مسافات طويلة لتحصل على رزقها من السمك، ثم تعود وتواصل الطيران، دون أن يبتل ريشها لوجود الغدد الشمعية التي يدهن الطائر منها ريشه، وهناك عالم دقيق لا تراه العين كالبكتريا، والفيروسات.

وهناك عالم النحل والهندسة التي تبدو في بناء خلاياه، وتنظيم المعيشة داخل الخلية، والسلوكيات المختلفة من حيث النظام، والتعاون وغيرها... وهناك عالم النمل ونظامه وزراعاته وطريقته في حفظ الحبوب، والغذاء، ولغاته، وصور التعاون في سلوكياته عندما يحصل على الغذاء، وهناك الأنعام ومنافعها، والدواب وعجائب معيشتها.

والنبات والإبداع في اختلاف أنواعه، ونظام الحصول على غذائه، فهناك النبات الذي يعيش في بيئة فقيرة بالنتروجين فيقوم باصطياد الحشرات، حيث يفتح مصراعين في أوراقه ويفرز رائحة تجذب الحشرة حتى تقف على الأوراق، فيغلق عليها ويقوم بهضمها وامتصاص النتروجين منها، وكل نوع من النبات له تاريخه، ووصفه التشريحي الذي يميزه... والكائنات الحية تميزها الكروموسومات الوراثية، والتي أثبت العلماء عن طريقها خطأ نظرية دارون في التطور، فكل كائن له صفاته الوراثية الخاصة به، فلا يمكن أن يتحول إلى كائن آخر، وقد وجدوا أن كروموسومات أقرب القرود شبهًا بالإنسان ٤٨ كروموسوم ولكن كروموسومات الإنسان ٤٦ كروموسوم وبذلك **سقطت النظرية الدارونية الملحدة** التي أشارت بأن أصل الإنسان قرد، ومن قبل أشار القرآن الكريم بأن أصل الإنسان هو الإنسان والمتمثل في أبينا آدم، فسبحان العليم الخبير.

إن كل بيئة في خلق الله لها نظامها وكل عالم فيه الكثير من ألوان الإبداع، ويكفي ألوان الطيور التي كانت بدايتها المادة الصفراء والبيضاء، ولكن تجد الطيور البيضاء

الناصعة، والسوداء، والمختلفة الألوان **كطيور الزينة** التي تتميز بالألوان المختلفة، والمبهجة كالأحمر، والأزرق والبنفسجي، والأبيض، وغيرها، فسبحان القدير، كذلك تختلف ألوان النباتات، وألوان الفراشات، وألوان الثمار، وألوان الورود، وألوان الجبال، وألوان المعادن، وقطع الماس مختلفة الألوان، والأشكال، والإنسان يرى كل ذلك؛ حيث إن الإنسان هو أكثر مخلوقات الله اعتمادًا على حاسة البصر، وغالبية المعلومات التي تصل إلى ذهن الإنسان تأتيه عن طريق البصر، تسعة أعشارها يصل الإنسان عن طريق البصر، والعشر الباقي عن طريق بقية الحواس.

والإنسان يميز بعض ألوان الطيف، والحيوان يميز بعض الألوان، والنحل يميز أطياف لا يميزها الإنسان والحيوان، والطيف الأحمر من أطول الأمواج، وأقصرها البنفسجي، وحول حدود الضوء المرئي توجد الأشعة تحت الحمراء، والأشعة البنفسجية وهي أشعة غير مرئية طاقتها عالية، تفك الروابط بين جزئيات المادة لذلك فهي تسبب السرطان والتهابات العيون، ولقد منح الله الإنسان صبغة الميلانين في جسمه لتحميه من هذه الأشعة، وقبلها طبقة الأوزون في الغلاف الجوي لحماية الإنسان من أخطار تلك الأشعة، وعين الإنسان لا ترى الأشعة تحت الحمراء، بينما تراها عين الثعبان، ويرى العلماء أن غالبية الأنعام مثل البقر، لا ترى ألوان الطيف المرئي على الإطلاق، وكذلك الحصان، والقطط، والكلاب، وعين النحلة ترى الأشعة فوق البنفسجية التي لا يراها الإنسان ولا ترى من أطياف الضوء المرئي سوى اللونين الأصفر والأزرق فقط بينما كل من الطيور والأسماك والزواحف لها القدرة على تمييز الألوان.

والحيوانات التي ليست لها تلك القدرة، فقد عوضها الله تعالى بتنمية الحواس الأخرى كالسمع، والشم لتعويض حاسة الإبصار، وتبدو النباتات بلونها الأخضر لأنها تمتص كل أطياف النور الأبيض ما عدا اللون الأخضر الذي تعكسه، وأغلب الأشياء التي نراها لا نعرف لونها الحقيقي لأننا لا نرى سوى الطيف المنعكس منها، ولو امتص الجسم أطياف الضوء المرئي نراه أسود ولو عكسها جميعًا فإننا نراه أبيض، وحقيقة اللون في الحالتين غير معروفة لنا، ولكننا في الآخرة سنرى كل شيء على حقيقته يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

(ق:٢٢)

وتتعدد الألوان في الأرض والسماء، فهناك تختلف ألوان مختلف العناصر، وتختلف ألوان الصخور، وتختلف ألوان البشر، وألوان الورود.. وألوان الطيور.. وألوان الأنعام.. وألوان الأسماك والأحياء المائية.. وأسطح البحار.. إنها الصور التي تشهد بقدرة الله البديع، والتي جعلت الإنسان يشعر بالجمال حوله، فيسير ويتأمل ولقد كان من مظاهر الجمال أيضًا، اختلاف صور الحياة وحركة الناس في القرى والمدن، واختلاف أهدافهم وأعمالهم، وقدراتهم، **وتنوع الحضارات** من البساطة والبدائية، حيث الأكواخ الطينية.. والسوقي.. والأزقة.. والصناعات اليدوية، إلى ناطحات السحاب، والطرقات الممهدة، والتقدم في جميع المجالات.

إن إبداع الخالق يبدو في شكل الصحاري.. ورسوخ الجبال.. وشواطئ البحار.. والنخيل الممتد في المزارع.. وفي كل شيء.. ويسير الإنسان عبر الظلال الجميلة.. حيث غصون الشجر.. وبساتين الورود.. وحيث المواني المضيئة.. وحيث السكون.. وحيث

صمت الليل.. والأشجار التي تميل مع نسيم الليل الهادئ في رقة.. ونقيق الضفادع حين يختلط بالسكون.. وتغريد الطيور حين يشرق الصباح.. **إنه الجمال، بل هو التسبيح للخالق القادر البديع**، فما أروع نسائم الصبح الرقيقة الناعمة، وبسمة الشمس التي تملأ السماء صفاءًا يذيب السحب المتجمدة.. والماء الجاري.. والبحار الممتدة.. والأنهار الجارية.. والنباتات المختلفة التي تملأ الأرض خضرة نضرة.. وألوانًا بديعة.

وما أروع تلك الجبال الراسية.. وشواطئ البحار.. والنخيل العالي الكثيف حين يضم في أحضانه القرية الصغيرة.. ومع تقدم الحضارات صار للجمال معنى آخر.. حيث الشوارع الممهدة.. وحيث الحدائق الهادئة.. ونافورات المياه.. والزهور الجميلة.. والأشجار المرتبة بنظام.. والنخيل الممتد بمحاذاة شواطئ البحار يتمايل في هدوء.. وتبدو الصورة من بعيد رائعة، تبعث في النفس السعادة، وتريح القلوب من العناء، حين يرى الإنسان آيات الله في خلقه عبر تلك الظلال الجميلة، وحيث تمتد البحار بمنظرها البديع، ومساحتها الشاسعة، فيبدو ضعف الإنسان، ويشعر بمدى تقصيره أمام شكر الله على نعمه، ورحمته بنا رغم قوته، ويسخر من غروره بنفسه، ويدرك مدى ضعفه وحلم الله عليه، **وفي الشتاء يسير الناس** كلٌّ إلى عمله بلا تكاسل، رغم برودة الجو، وغزارة الأمطار، فالأمل يدفعهم دائمًا نحو الحياة وحب العمل.

ومن إبداع الخالق أن الأيام ليست جامدة، فهناك الراحة والشقاء، والبسمة والبكاء، والغنى والفقر، وهناك الغروب على شواطئ البحار، والموانى الجميلة، والغروب في المدينة، حيث التقدم والحضارة والمباني الشاهقة، وهناك الغروب في القرية المتواضعة عبر الأشجار وارفة الظلال، وبساطة الفلاحين، وهناك اختلاف المعاني في الشتاء حيث ألوان الجو الجديدة.. وتقلبات السماء.. والرياح الشديدة.. وأسطح

المنازل المبتلة.. والسحب المارة التي ترحل من مكان إلى مكان لتذوب وتروي الأرض الجافة.. والزرع الأخضر.. وحيث سكون الناس.. ودفء المواقد المشتعلة.. وهناك الصيف بملامحه الجميلة، وهناك الخريف الذي يترك في نفس المتأمل الكثير من العبر والمعاني، حيث يلف الكون ثوب جديد، وتتساقط من الشجر الأوراق الجافة ليأتي الربيع القادم، ويعيدها مرة ثانية إلى مكانها نضيرة خضراء.

إنها صور الإبداع من الخالق، حيث تختلف العوالم والفصول.. وحيث تختلف الألوان.. والأجناس.. واللغات، والمعايش، والبيئات، والثقافات.. خلق سبحانه كل شيء.. ويرزق كل شيء.. وأحاط وأحصى كل شيء، وهو السميع العليم، وهو اللطيف الخبير، وهو الصبور الشكور، وهو الملك الجبار، وهو الحنان المنان.. سبحانه وسع ربي كل شيء علمًا.

٢٣- النبات والطاقة والغذاء والخلايا الحية:

الشجر الأخضر يستخدم طاقة الشمس بكفاءة وهبه إياها الخالق سبحانه وتعالى لتحويل المركبات البسيطة إلى مركبات معقدة يبني منها خلاياه، وأزهاره وثماره، وبذلك يصلح غذاءً للإنسان، والحيوان، حيث تحتوي البلاستيدات على العديد من الأحماض الأمينية والمركبات البروتينية، كالدهون المفسفرة، وبعض العناصر مثل المغنسيوم، ولقد خص الله تعالى النباتات الخضراء بصبغ أخضر يُعرف باسم اليخضور، أو الكلورفيل الذي يلون أوراق وأنسجة النباتات ذاتية التغذية باللون الأخضر، وهناك ثمانية أنواع من هذه الأصباغ الخضراء التي تشبه في تركيبها جزيء الهيموجلوبين مع استبدال ذرة الحديد المركزية في الهيموجلوبين بذرة الماغنسيوم، مما

يشير إلى وحدة الخلق ووحدة الخالق، وتتكون الكربوهيدرات في داخل النباتات بعدد من التفاعلات المتتابعة والمعقدة يسهم فيها عدد من الإنزيمات حتى يصل هذا التفاعل المتسلسل إلى إنتاج الجلوكوز الذي يتحول بدوره إلى النشا، ويتم ذلك على مرحلتين الأولى في الضوء، والثانية في الظلام، الأولى فيها تأيُّن الماء إلى مكوناته من أيونات كل من الأكسجين والهيدروجين، الهيدروجين يتفاعل مع ثاني أكسيد الكربون الذي يمتصه النبات من الجو ويتم تكوين الكربوهيدرات، وينطلق الأكسجين، ويتم ذلك في الظلام، كذلك تكون النباتات بالإضافة إلى الكربوهيدرات الزيوت، والدهون، وعدد من البروتينات، والإنزيمات، والفيتامينات، والأحماض الأمينية، وهي مواد صلبة متبلورة تتكون باتحاد ذرات الكربون مع ذرات كل من الأيدروجين والأكسجين والنتروجين، والكربون أساسي في تكوين الكربوهيدرات في النبات، والنتروجين الذي يمتصه النبات من التربة أساسي في تكوين البروتينات.

ويتغذى الحيوان على النبات فتتحول مكونات النبات في جسده إلى البروتينات وكل ذلك من رزق الله الذي تكفل به لعباده ولقد وجد العلماء أن الطعام الذي يتناوله الإنسان يدخل في تركيب خلايا جسده، وطبائع البشر تختلف بحسب نوعية الأطعمة التي يشتركون في تناولها، فمثلًا من يأكل لحم الخنزير، تفتر في نفسه الغيرة على زوجته، والإخوة الذين يتناولون من طعام واحد وقد تغذوا من ثدي واحد تتشابه خلاياهم، وتتشابه طبائعهم، ويتشابه الجهاز المناعي لكل منهم، وتقل المقاومة للأمراض الوراثية، وبذلك اكتشف العلماء الحكمة من تحريم الإخوة من الرضاع في مسألة الزواج، حيث تتشابه الخلايا والطباع، والخلايا المتشابهة تتنافر فسبحان العليم الخبير.

٢٤- سبحان من خلق الأزواج كلها:

لقد خلق الله تعالى الأزواج كلها، وجعل الذكر والأنثى، وأبدع في صنع كل شيء، وهناك التلقيح في عالم النبات، والتناسل في دنيا البشر وعالم الطير، والحيوان، وكذلك في الأحياء الدقيقة، وحتى في أدق الأشياء التي لم نكن نعلم عنها شيئًا وهي الذرة فهناك الإليكترونات والنيترونات، وهناك التجاذب بين الشحنات المختلفة والتنافر بين الشحنات المتشابهة، وهناك غير ذلك مما لا نعلم، ومما لم يصل العلم إليه حتى الآن وهو أدق من ذلك، فسبحان اللطيف الخبير. يقول تعالى مشيرًا إلى تلك الحقائق: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يس: ٣٦)

إن قدرة الله تعالى تتجلى حين يرنو الإنسان ببصره نحو السماء بما تحتويه من مختلف الكواكب والنجوم وما لها من الصفات والأسرار، وما تختص به من روعة النظام وإحكام البناء، والتي منها ما يفوق الأرض بل يفوق الشمس حجمًا ونورًا وحرارة، ومع تقدم العلوم اكتشف العلماء بواسطة أجهزة وتلسكوبات حديثة تكبر آلاف المرات نجومًا لم نكن نعرف عنها شيئًا من قبل كالثقوب السود أو مكانس السماء، والتي تسري في السماء وتبتلع ما يقابلها من النجوم، ولولا رحمة الله الخالق وحكمته في جعل الأرض التي نعيش عليها على مسافة تبعد كثيرًا عن تلك النجوم، لكانت نهاية الأرض ومن عليها في لحظات.

ومع سريان تلك النجوم فإنها تتكدس على ذاتها بعد مراحل معينة بسبب ما يحدث بداخلها من تفاعلات نتيجة التصادم المستمر بما يقابلها في الفضاء فتخنس في السماء ولا تُرى، ولقد أقسم الله تعالى بتلك النجوم وأشار إليها منذ ألف وأربعمائة عام في القرآن الكريم وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ (التكوير: ١٥-١٦).

كذلك اكتشف العلماء النجوم الراديوية النابضة، والتي تسري في السماء على أطراف الجزء المدرك من الكون، وكل نجم يُصدر طلقة مدوية في السماء وكأنه يطرق السماء ويثقب الظلام الكوني بومضاته، وحركته السريعة، ولقد أشار الله تعالى لتلك النجوم في قوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ (الطارق: ١-٣)

وتحدث العلماء ورواد الفضاء في عصرنا عن انشقاق القمر من جوفه إلى سطحه ومراحل الانكدار والطمس التي تمر بها النجوم وتغير حالة البصر، وضيق الصدر عند العبور إلى أفق السماء، وكل ذلك أشار إليه القرآن الكريم، فهو المعجزة الباقية على مر العصور.

ولقد اكتشف العلماء أوتاد الجبال، وجريان الشمس، وكروية الأرض، وحقيقة رجع السماء، والصدع الأرضي، والأصل الواحد للكون، والاتساع الكوني، وتباعد النجوم، وأسرارًا كثيرة حول الظواهر الغريبة، كمن يقومون بخوارق العادات، وظهور الأطباق الطائرة، وأسرارًا حول ناصية الإنسان وهي الموجهة لتصرفاته الشخصية، مثل الصدق والكذب، والصواب والخطأ، ومطابقة ذلك تمامًا لما أشار إليه القرآن الكريم في وصف ناصية أبي جهل، والذي أساء للإسلام كثيرًا بأنها: ﴿نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾ (العلق: ١٦).

وغير ذلك الكثير من الأمثلة التي وردت في الإعجاز الطبي في القرآن الكريم وهناك الكثير من الأسرار في العلوم المختلفة[1] كعلوم الأرض، والطب، والأجنة

(١) انظر: «الإعجاز العلمي في القرآن» الدكتور/ السيد الجميلي، و«سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» الشيخ عبد المجيد الزنداني.

والتاريخ، وغيرها، والتي يُظهرها الله تعالى في ميعادها، وهي آيات نمر عليها، وننتفع بها ويعتبر منها الذاكرون المتأملون، ويغفل عنها الماديون المعرضون، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

(يُوسُفَ: ١٠٥)

عندما بعث النبي ﷺ كان تأييد الله سبحانه وتعالى له في كل شيء فكانت دعوته مؤيدة من قبل الله، في كل كلمة، وكل آية وكل نبوءة، وكل حديث على مر الزمان، وسوف نسوق بعض الأمثلة للتذكرة والعبرة في المواقف التالية عن تلك الآيات والنبوءات التي كانت نورًا من الله للبشرية.

لقد بدأ النور منذ بعثة النبي ﷺ ومن قبل مجيئه، حيث كان نورًا في وجه أبيه عبد الله ثم انتقل هذا النور بعد زواجه من السيدة آمنة، حيث انتقلت النطفة إليها؛ لتُنجب رسول الله ﷺ نورًا للبشرية كلها، ولقد ولد ﷺ مختونًا بين كتفيه خاتم النبوة، ولقد حلت البركة بمنزل السيدة حليمة منذ ذهابه إلى هناك، وسمي بالطفل المبارك[(١)]، وفي سفره كانت تظلله السحابة، ولقد طلب أحد الرهبان من عمه في إحدى الأسفار أن يرى ما بين كتفيه فرأى خاتم النبوة كبيضة الحمامة معرجًا من جسده ولا يكون إلا في الأنبياء، وأيده الله تعالى في هجرته بخروجه من وسط الكفار دون رؤيته، ونسج العنكبوت على باب الغار حتى لا يراه المشركون،

---

(١) «معجزات النبي ﷺ» أحمد رجب محمد، وللنبي ﷺ نبوءات تحققت في عصره، ومنها ما تحقق في عصرنا.

ويبدو التأييد فيما حدث لسراقة بن مالك الذي غاصت فرسه في الأرض الصلبة حين اقترب من النبي ﷺ يريد قتله، وأيده الله تعالى أيضًا في حادث الإسراء والمعراج، وفي سائر غزواته ﷺ، مما يثبت لنا أنه كان مؤيدًا من قِبل الله في كل شيء، وأنه لا ينطق عن الهوى.. ولكنه الوحي من السماء فضلًا من الله للبشرية كلها.

٢٥- الفاعلية في ضرب الرقاب وحقيقة الماء الآسن:

أثبت العلم أن وسيلة ضرب الرقاب هي أنجح وسيلة للإجهاز السريع على المضروب بغير تعذيب ولا تمثيل، حيث إن الرقبة هي اتصال الرأس بالجسد، وبضرب الرقبة يتم قطع مركز الاتصال بالجهاز العصبي، وبه تُشل جميع وظائف الجسم الرئيسية، وكذلك يتم قطع الشرايين، والأوردة فيتوقف الدم عن تغذية المخ، وكذلك يتم قطع الممرات الهوائية التي تعمل على التنفس، فيتم وقف التنفس، وفي جميع هذه الحالات تنتهي الحياة يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ (محمد: ٤).

ومن الحقائق العلمية أيضًا التي توصل إليها العلماء في العصر الحديث، وهي أن الماء الآسن أو الراكد هو مستودع للملايين من البكتريا الضارة، والطفيليات التي تصيب الإنسان والأنعام بالأمراض الخطيرة، وتم التعرف على تلك الميكروبات بواسطة ميكروسكوبات تكبر آلاف المرات، وهذه حقيقة تبدو في قوله سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (محمد: ١٥).

٢٦- حبة الخردل وشدة حساب الآخرة:

لقد أثبتت التجارب العلمية أن حبة الخردل تتناهى في الصغر، وفي الوزن، ووجد العلماء أن الكيلو من هذه الحبة يحتوي على ٩١٢ ألف حبة، وتكون الحبة بذلك حوالي جزء من ألف جزء من الجرام أي ملليجرام تقريبًا، وهذا أصغر وزن لحبة نبات عرف حتى الآن، وهي تستعمل في مقارنة المكاييل بالموازيين الدقيقة، ويشير الله تعالى لدقة هذه الحبة وضرب المثال بها عند الحساب في قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

٢٧- الإعجاز في انتشار الإسلام دون ظلم أو اعتداء:

لقد أمر الله تعالى بعدم الظلم أو الاعتداء على الغير والمعاملة بالحسنى للجميع والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن وتلك الدعوة تُبطل مزاعم المستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام الذين يروجون بأن الإسلام انتشر بحد السيف، ولم يأمر الله تعالى بالقتال إلا في حالة اعتداء الغير على المسلمين[(١)] وانتهاك حرمات الله يقول تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

وهناك الكثير من الآيات التي تدل على رحمة الله تعالى، وسماحة الدين الإسلامي فهو لا يأمر إلا بالعدل، والخير، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

---

(١) انظر: «المنتخب في تفسير القرآن في شرح آيات القتال»، ونواحي الإعجاز في الآيات القرآنية.

٢٨- أسرار وإعجازات مع الحروف المقطعة:

في كل زمان ستظل عطاءات القرآن لا تنتهي، ففيض الله بلا حدود، والله تعالى يريد أن يلفتنا أولًا بتلك الحروف المقطعة أن رسالة القرآن الكريم رسالة غير عادية فلا يخطر ببال بشر أن يكتب لأخيه رسالة يكون مطلعها مثلًا س.ح.م.

أخي العزيز... البشر لا يخطر بعقله أن يكتب مثل هذه الحروف الغير مفهومة المعنى في رسالته، يريد سبحانه وتعالى أن يثبت لنا أن القرآن الكريم رسالة غير عادية لا تخطر بأذهان البشر أن يكتبوا مثلها، فهي حروف تحتوي أسرارًا لا يعلمها إلا الله، ومن يأذن له سبحانه بمعرفة البعض من تلك الأسرار، وقد أفاض الله تعالى على أحد الأساتذة المتخصصين في كيمياء تغذية النبات وهو الدكتور(محمود محمد شعبان) بمزيد من أسرار تلك الحروف، فمثلًا عنصر المغنسيوم كما نعرف جميعًا هو المكون الأساسي للمادة الخضراء التي هي من أساسيات الحياة التي منحها الله تعالى للكائنات على وجه الأرض، لذلك فالحروف المقطعة بسورة البقرة ﴿الٓمٓ﴾، الميم هنا ربما تشير إلى عنصر المغنسيوم، بدليل أن إضاءة فلاش الكاميرا مثلًا أساسه عنصر المغنسيوم حيث تشبه إضاءة البرق الأبيض كما نرى، حيث يصدر إضاءة شديدة في الظلام تُمكن من التقاط الصورة واضحة في الظلام، ويدل على ذلك قوله تعالى في نفس السورة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ (البقرة:١٧).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ (البقرة:١٩).

ونجد هنا الإشارة إلى البرق الذي يشبه إضاءة المغنسيوم، وإذا كان العدد الذري للمغنسيوم هو ١٢ والوزن الذري هو ٢٤ فنجد في سورة الرعد التي تبدأ بـ«المر» أيضًا حيث الميم تشير إلى هذا العنصر، نجد في الآية رقم ١٢ إشارة إلى إضاءة المغنسيوم التي

هي كالبرق في مظهرها يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ (الرَّعْد: ١٢).

ونجد في سورة الروم التي تبدأ بـ«الم»، في الآية ٢٤ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرُّوم: ٢٤).

وإذا كانت سورة البقرة تبدأ بـ«الم»، والميم كما أشرنا تلفتنا إلى عنصر المغنسيوم الذي هو المكون الأساسي للمادة الخضراء، أو لجزيء الكلورفيل الذي صوره علماء الكيمياء الحيوية فكان الشكل الفراغي لهذا الجزيء إذا تم تحديده يشبه البعوضة تمامًا حيث ترى روابط مختلفة تنتهي بذيل طويل من الهيدروجين، لذلك نجد قوله تعالى في نفس السورة المرتبط بعمل الحرف المقطع ميم وعلاقته بالمادة الخضراء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ (البَقَرَة: ٢٦).

الأمثلة من ذلك كثيرة، فمثلًا في سورة مريم التي تبدأ بالحروف المقطعة «كهيعص» فإذا كان حرف الكاف يرمز إلى الكالسيوم، وهو الأساس في تكوين العظام، فإن نقصه يسبب وهن العظم، ونجد في الآية الرابعة من نفس السورة قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ (مَرْيَم: ٤).

وهذا يحدث بسبب ضعف تمثيل الكالسيوم مع تقدم العمر، وإذا كانت الهاء ترمز إلى الهيدروجين المؤكسد الذي يفرزه الجسم بكميات كبيرة عند التقدم في السن، وهو السبب الرئيسي في تلوين الشعر باللون الأبيض، فنجد في نفس الآية الإشارة القرآنية: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مَرْيَم: ٤).

أما الياء فهي ترمز إلى عنصر اليود حيث يؤدي نقصه وخصوصًا مع الكبر إلى عدم التركيز وضعف الخصوبة والعقم، أما حرف العين فلا يوجد عنصر يبدأ بهذا الحرف، ولكن في القرآن نجد قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ (سبأ: ١٢).

والقطر هو النحاس، وعين القطر هنا، تعبر العين عن عنصر يشبه النحاس وعلى شاكلته مثل الزنك أو الخارصين حيث إنه يعمل على تكوين الأنسولين، والسائل المنوي ونقصه عن المستوى الطبيعي يؤدي مع ضعف تمثيل الكالسيوم واليود إلى العقم وضعف الخصوبة، وحرف الـ(ص) ربما يرمز إلى الصوديوم، حيث يعمل على نقل النبضات العصبية والاحتفاظ بماء الجسم، ونقصه يؤدي إلى انخفاض ضغط الدم وضيق التنفس، والعجز الجنسي وغير ذلك، والسورة فيها الحديث عن العقم، وإذا نظرنا إلى ﴿طسّ﴾ في سورة النمل نجد أن (ط) ربما ترمز إلى الأزوت أو النتروجين، حيث إن الكثير من الأقطار العربية مثل المغرب، وتونس، والجزائر، وسوريا، ولبنان، والأردن والسعودية واليمن ترمز للنتروجين بالأزوت، ورمزه (ط) ولكن في مصر يعرف بالنتروجين ورمزه «ن» واتحاد الأزوت وهو النتروجين مع السيلكون ورمزه س يعطي مادة مشتعلة تُنتج نارًا هائلة بيضاء شبيهة بالنار التي رآها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) حيث جاء بالآية رقم ٧ من سورة النمل، وهو ما يعبر عن العدد الذري للنتروجين، يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل: ٧).

---

(١) «أسرار الحروف المقطعة» محمود محمد شعبان - أحد الأساتذة المتخصصين في كيمياء تغذية النبات.

والنتروجين أساسي في تكوين الشجر الأخضر الذي هو أساس النار التي فيه والسيلكون يستخدم في تصنيع المستقبلات الحساسة لنقل الصوت والصورة في أجهزة الراديو والكمبيوتر، وهو ما عبر عنه سبحانه في قوله ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ أما إذا نظرنا إلى ﴿طسٓمٓ﴾ في سورة الشعراء نجد كما أشرنا اتحاد ط مع س يعطي مادة ملتهبة وبإضافة المغنسيوم إليها يمنع اشتعالها ويجعل وميضها أبيض متلألئ من غير شعلة، هذه المادة تشبه وتطابق قوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

(الشعراء: ٣٣)

أي: بيضاء من غير ضرر أو اشتعال، وهناك الكثير من الإعجازات في دلالات الحروف المقطعة، وتلك هي إشارة من فيض كثير يتمثل في قوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

٢٩- عطاءات القرآن والإعجاز في كل زمان:

في كل زمان يمنح الله تعالى العلماء من فيض أسراره في القرآن الكريم بما يناسب حاجة العقول وإدراكها حيث إن الله تعالى لم يفرط في الكتاب من شيء يقول سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ (الأنعام: ٣٨).

وعن أشراط الساعة يقول تعالى: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ (محمد: ١٨).

وإذا نظرنا لسورة التكوير نجد قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ (التكوير: ١).

والمعنى يطلق على ما يحدث يوم القيامة من تكوير الشمس، أو ما يحدث قرب قيام الساعة من أشراط، حيث تكوير الشمس يأتي بمعنى جُمع ضوؤها حتى يصير كالكورة وهذا ما تُحدثه العدسة المقعرة أو اللامة لأشعة الشمس، ولقد تمكن الإنسان

في عصرنا من استخدام الطاقة الشمسية عن طريق استخدام هذا التكوير بواسطة العدسات، وكذلك تمكن من استخراج الطاقة الكهربية منها أيضًا...كذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ (التكوير :٢).

وجد العلماء بالفعل أن النجوم تمر بمرحلة انكدار أي: يخبو وهجها بمرور الزمن من كثرة التفاعلات النووية التي تحدث بداخل النجم وإذا هنا أداة شرط وهي في نفس الوقت قسم بهذه الأشياء لقوله تعالى في نهاية الآيات: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (التكوير :١٩).

ونجد أن الانكدار أيضًا قد وقع في عصرنا لظاهر النجوم التي نراها وذلك بسبب استخدام الطاقة الكهربية والإنارة، حيث أصبح ضوء النجوم التي يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر منكدرًا غير صافٍ لاختلاطه بأضواء الكهرباء في الأرض، والتي تُضعف من إحساس الإنسان بوهج النجوم وسطوعها، حيث توجد أضواء المصابيح الممتدة على الطرق البرية، والفنارات البحرية في عصرنا، إنها الألفاظ التي وصفها العلماء بأنها كقطع الماس، كل ضلع يعطي شعاعًا يختلف عن الضلع الآخر ويبهر من يراه، وتظل الآيات القرآنية كقطع الماس تعطي في كل زمان ما يبهر أولي الألباب المتأملين... وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ (التكوير :٣).

أي: تسير الجبال عن أماكنها وتكون كالعهن المنفوش كما وصفت الآيات الأخرى، وهذا ينطبق أصلًا على ما حدث في عصرنا من تحطيم جبال كاملة في مكة وغيرها لتكون أماكن للحجاج أو لمصالح أخرى.. وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ (التكوير :٤)

أي: تُركت وأهملت يوم القيامة لما شغل الناس من أمر هذا اليوم العصيب، ويكون المعنى أيضًا علامة من علامات الساعة التي نعيش فيها الآن من تعطيل العشار

وهي الإبل، حيث تعطلت وظيفتها التي تقوم بها من نقل الإنسان والبضائع من مكان إلى مكان بسبب اختراع وسائل المواصلات الأخرى كالسيارات، والأتوبيسات، والقطارات، والطائرات، وغيرها.. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (التكوير :٥).

أي: حشرت يوم القيامة ليُقتص منها ثم يقال لها كوني ترابًا، وهي في عصرنا تُحشر، حيث تُجمع إلى حدائق الحيوان التي انتشرت في كل مكان لتكون أحد أشراط الساعة، كذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكوير :٧).

أي: قُرنت بأجسادها يوم القيامة ليكون البعث، وهي تنطبق على ما حدث في عصرنا من أمر الاستنساخ.

حيث تُزوج النفس بنفسها من خلال تلقيح بويضة بخلية من نفس الجسم الحامل للبويضة بواسطة أجهزة حديثة وهو مخالف لأمر الله تعالى من أمر الزواج الشرعي وهو زواج النفس بنفس أخرى تخالفها في النوع، ذكر وأنثي، ولكن حدث في عصرنا كل ما هو عجيب ويثبت أشراط الساعة كما أخبر الله عز وجل وكما أخبر في نبوءاته ﷺ عما يحدث آخر الزمان.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير :٨-٩)؛ ينطبق على ما حدث من أمر الوأد في الجاهلية للطفلة وهي صغيرة، وكذلك ما يحدث في عصرنا من وأد النفس المسلمة كما حدث بالبوسنة والهرسك، وكوسوفو، وهم شباب، ورجال، ونساء وكهول، وأطفال، والسؤال لتعظيم الذنب على القتلة؛ حيث إن السبب الذي قُتلت من أجله هذه النفس الموءودة أنها تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد حدث الكثير من الوأد الجماعي بأبشع الصور، ولم يمر ذلك على علام الغيوب الذي لا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض.

وسوف يصير هؤلاء السفاحون الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات وقودًا للنار يوم القيامة.. وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير :١٠)، وبنظرة التفسير الشاملة، نجد أن كلمة الصحف ذُكرت في القرآن الكريم سبع مرات غير هذه الآية وكلها آيات تثبت أنها صحف نزلت على الأنبياء كقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (البينة :٨).

ولكن إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير :١٠). وبنظرة التفسير الشاملة نجد أنها ربما صحف تظهر يوم القيامة فيها أعمال الإنسان، أو هي علامة من أشراط الساعة تشير إلى ظهور الصحافة ونشر الصحف والجرائد اليومية والأسبوعية، ولم يكن يحدث مثل ذلك من قبل... وكذلك إذا نظرنا إلى قوله تعالى عن السماء ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ (الملك :٣). أي هل ترى من تشقق في السماء، وبالفعل وجد العلماء أن السماء بناء تنتشر فيه المادة والطاقة في كل مكان، ولا يوجد بها أي فراغ أو تشقق ولكن في زماننا نجد ما يقول به العلماء من اتساع ثقب الأوزون بسبب التجارب النووية، وما يفعله الإنسان من إفساد في الأرض، وكذلك نفايات المصانع من أدخنة، وغازات، لذلك نجد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ (المرسلات :٩).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ (التكوير :١١). أي: أزيل جزء من سقفها وفُرجت أي شُقت أو ثقبت، والمعنى ينطبق على ما يحدث يوم القيامة أو ما حدث الآن من وقائع هي مقدمات وأشراط للساعة تحدث قبل وقوعها مباشرة، فهي من العلامات الكبرى للساعة...وكذلك نجد في سورة النازعات قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾.

(النازعات :١-٥)

نجد أن المعنى ينطبق على فعل الملائكة من نزع الروح ونشطها بسرعة كما ينشط العقال من البعير، وهي تسبح بأرواح المؤمنين إلى الجنة، وهي تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء والرسل وهي أيضًا تتنزل بأمر الله تعالى، ولكن المعنى ينطبق أيضًا على ما حدث في عصرنا من اختراع الغواصات البحرية التي تغوص في الماء، فهي تغرق في الماء وتستطيع أن تنزع نفسها من القاع وقتما شاءت، وأما الناشطات فربما هي الزوارق البحرية حيث إن نشطها ذاتي، حيث لا تعتمد على الشراع والمجداف، ولكن بها المواتير والمراوح، والقوة الدافعة الحركية، والمولدات الكهربية، والسابحات سبحًا ربما هي السفن العملاقة الحربية، وأما السابقات سبقًا فربما هي الصواريخ التي تسبق السفن الحربية، والمدبرات أمرًا ينطبق على أجهزة الإصابة لهذه الآلات وهو توجيه دقيق في الإصابة وضرب الأهداف... ولقد كان تفسير المفسرين من قبل لقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ (العَادِيَات: ١-٥).

أي أنها: الخيل تضج بالصوت عند عدوها وتوري النار بحوافرها، وتُغير على العدو عند الصبح وهي تثير الغبار في المكان الذي تذهب إليه، وتتوسط جمع العدو ويمكن أن ينطبق التفسير على أشراط الساعة الحالية حيث العاديات هي الطائرات سريعة العدو التي يخرج منها الصوت الضابح عند سرعتها، وإذا كان التفسير السابق عن الخيل أثناء لقاء العدو، فيكون ذلك منطبقًا على الطائرات الحربية التي تم اختراعها الآن.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ هو: أثر ارتطام حوافر الخيل بالأرض الصلبة فتُحدث نارًا من أثر هذا الارتطام وهذا ينطبق على الطائرات الحاملة للقنابل والصواريخ التي حين تُلقي بأهدافها على الأرض يخرج منها النيران المشتعلة...

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ إذا كانت الخيل تغير على العدو في الصباح، فكذلك الطائرات تغير على العدو وتتمكن من أهدافها نهارًا أكثر منه ليلًا، وأما ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ نجد أن النقع هو الغبار، ولكن حين تصطدم القاذفات بالأرض وتخترقها فتخرج المياه الجوفية من باطن الأرض تاركة نقع مياه طاهرة كما حدث في حرب الناتو على الصرب.

وأما ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾، أي: أن هذه العاديات أو الطائرات تضرب أهدافها وسط المدن التي يتجمع بها الناس، أو وسط تجمعات الجيش من الأفراد المحاربين وغير ذلك من التجمعات... وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ (الذاريات: ١-٤).

وكان التفسير هو أن ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ﴾ هي الرياح و﴿ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾ هي السحب و﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ ﴾ هي السفن، والمقسمات أمرًا هي الملائكة... وكما قلنا سابقًا إن الآيات القرآنية كقطعة الماس يعطيك كل ضلع فيها شعاعًا تبهرك ألوان طيفه، نجد أن الذاريات في زماننا تنطبق على الصواريخ المندفعة في السماء، والحاملات وقرًا ربما هي الصواريخ التي تحمل الرؤوس النووية.

وأما الجاريات يسرًا هو التطور النهائي للصاروخ، حيث كانت في البداية صواريخ سريعة، ثم صواريخ محملة برؤوس نووية «حاملات» ثم جاريات يسرًا أي عابرة للقارات بيسر وسهولة، وأما المقسمات أمرًا هي أجهزة التوجيه لتلك الصواريخ حيث تقسم أوقات انطلاقها وتحدد المسافة، ومكان السقوط، وإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ (الصافات: ١-٣).

نجد أن التفاسير السابقة ذكرت الصافات بأنها الملائكة، ولكن في ذلك تأنيث لاسم الفاعل، واسم الفاعل هنا هو الملائكة ولا تؤنث أسماء الفاعل إلا إذا كانت الفاعلات إناثًا وقد حرم الله تعالى أن تسمى الملائكة تسمية الأنثى يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ (النجم:٢٧).

وفي عصرنا وجد العلماء أن جو السماء تنتشر فيه أشياء صغيرة متناهية في الصغر لا تراها العين المجردة، وانتشارها يأتي بطريقة الصفوف المنتظمة وبسرعة فائقة وهي أشكال وأنواع مختلفة، ينتشر كل نوع متماثل في صفوف منظمة بسرعات تقترب من سرعة الضوء، وأطلق عليها العلماء اسم الموجات ووجدوا أنه عن طريقها يمكن أن ينتقل الصوت من مكان إلى آخر عن طريق أجهزة لبث الصوت، وأجهزة أخرى للاستقبال، أي أن هناك أجهزة للإرسال وأجهزة للاستقبال، وينتقل الصوت خلالها بسرعة فائقة نظرًا لسرعة تلك الموجات، ثم اكتشف العلماء موجات أخرى من هذه الأنواع قادرة على نقل الصوت والصورة معًا، وهذه الموجات المصفوفة هي من اكتشافات الإنسان في عصرنا وهي من أشراط الساعة، وتنطبق على قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ (الصافات:١).

لذلك يقول تعالى في نفس سورة الصافات: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (الصافات:١١). أي: هل ما وصلوا إليه من اختراعات يصح أن ينسب إليهم، وقد خلقناهم بما لهم من عقول وأجساد من طين لازب، ثم يقول تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصافات:١٢). وهذا دليل على أن النبي ﷺ رأى هذه الصافات في جو السماء، فعن أسامة بن زيد قال أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا، قال: «**فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر**».

وهذا المطر هو الصافات صفًا يستقبلها الهوائي من فوق بيوتنا ويترجمها إلى صوت وصورة، وهي لا تحمل إلا أكثر الفتن، وأما فالزاجرات زجرًا، الزاجرات هي الأصوات العالية والتي كانت تصدر في بداية استقبال الموجات، حيث لم يُحسنوا استقبالها في بدء التعرف عليها، وأما التاليات ذكرًا، وهو التطور النهائي للاستقبال حيث وضح الصوت وأصبح يُسمع بوضوح... وإذا نظرنا في سورة المرسلات إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ (المرسلات: ١-٧).

نجد أن الله يقسم لنا مشيرًا بحدوث هذه الأشياء ليثبت لنا في النهاية أن ما وعدنا به هو الصدق لتحقق الأشياء السابقة، وقد كان التفسير لهذه الآيات؛ أن ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ هي: الرياح المتتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضًا، ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ هي: الرياح الشديدة، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ هي: الرياح تنشر المطر، ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ هي: آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ هي: الملائكة تتنزل بالوحي، ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى، ونجد أن الآيات تعطي إشارات لما يحدث في عصرنا من اختراع المواصلات الحديثة التي ترسل من محطاتها وتتابع ذهابًا وإيابًا من نفس محطات إقلاعها فمثلًا يتبع القطار الأول قطار آخر ثم آخر من نفس المكان، فهو تتابع كعرف الفرس يتلو بعضه بعضًا، فربما الآيات تشير إلى التطور في وسائل المواصلات، والعاصفات عصفًا، نجد أن الريح تعصف بالرمال في جو السماء، ولكننا نجد في عصرنا الطائرات عبر الرياح تعصف نفسها في جو السماء، ثم نجد الناشرات نشرًا هي المراكز الرئيسية التي تنتشر منها العاصفات والمرسلات كالمطارات، ومحطات السكك الحديدية الرئيسية، وأما ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾

فهي أماكن المسافرين بتلك المحطات حيث يتفرق الناس منها عند السفر، وأما ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ فربما المقصود هي مكبرات الصوت، والسماعات في تلك المحطات التي تلقي بالأحاديث المختلفة عن مواعيد الإقلاع من المحطات، وأما ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ فإن هذا الإلقاء يكون اعتذارًا عن تأخر قطار أو طائرة، أو إنذارًا بالتحذير من التدخين أو ربط الأحزمة أو الإنذار بموعد قيام القطار، أو الطائرة، حتى لا يفوت الوقت على المسافر وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (المرسلات:٧) أي: إذا كانت هذه الأشياء كانت غيبًا ووقعت في زماننا، فإن وعد الله لصادق وواقع، وسيحدث كما وعد...

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴾ (المرسلات:١١-١٣). أي: أن الناس سوف يتركون أمر إرسال ما يريدون حمله مع الرسل حيث كانت كل رسالة يحملها من يُطلق عليه بالرسول، فيذهب بها إلى الخليفة مثلًا أو إلى صاحب الأمر، ولكن نجد في عصرنا ظهور ما يغني الناس عن الرسل، فقد تم اختراع التليفون والفاكس والتلغراف... ويقول النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل قد رفع لى الدنيا فإني أنظر إليها إلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه**»(١)، أي أن النبي ﷺ قد رأى كل ما وصل إليه الإنسان في عصرنا من اختراعات وتقدُّم، لذلك تأتي أحاديثه كلها مطابقة لما يحدث وما يكتشفه العلماء في كل عصر ويقول تعالى ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (الصافات:١٧٩). أي أن كل ما أبصره النبي ﷺ من معرفة بكل ما سيحدث سوف يُبصرونه هم في زمانهم ويقول ﷺ: «**إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة أوشك الرجل أن يخرج فلا**

(١) رواه الطبراني عن عمر بن الخطاب.

يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه ما أحدثه أهله بعده»[١].

إن النعل هو: الحذاء، والسوط هو: ما يخوف الإنسان به الدابة كالعصا، **ونجد أنه مع التقدم العلمي** واختراع المواصلات الحديثة لم يعد استعمال السوط الآن كما كان من قبل، حيث تم اختراع القطارات، والسيارات، وغيرها، فإن هذا الحديث ربما هو استعارة عما سيحدث في زماننا من أمر هذا الجهاز الصغير، وهو في حجم نعل الحذاء بل ويشبهه، ويخرج منه السوط كالعصا الرفيعة، فإذا خرج الرجل لا يرجع إلى البيت حتى يتحدث في هذا الجهاز، ويتصل ليعرف أخبار زوجته وأبنائه، وماذا حدث بعد خروجه من بيته، ونلاحظ أن كلمة نعلاه جاءت مثنى تفيد أن إحداهما مع الرجل، والآخر في مكان أهله، وكل ذلك يثبت لنا أن الكتاب والسنة فيهم من أمور الدنيا والآخرة، ما أدركه الناس، وما لا يدركونه إلا في زمانه لتظل عطاءات الكتاب والسنة إلى يوم القيامة... ويظل القرآن الكريم كقطعة الماس التي تعطي أكثر من شعاع، وبذلك يفهم الناس في كل زمان بقدر عقولهم مما أودعه الله تعالى في رسالته من أسرار.

٣٠- وفي كل شيء ترى آية:

العنكبوت: لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أنثى العنكبوت هي التي تفرز الخيوط الحريرية المعروفة وليس الذكر وذلك من خلال غدة في جسدها كالأنبوبة، ومنذ ألف وأربعمائة عام لم تكن هناك الدراسات في عهد النبي ﷺ للتمييز بين الحشرات والكائنات المختلفة لمعرفة خصائصها، وبرغم ذلك يخبرنا النبي ﷺ بوحي من ربه أن الأنثى هي التي تقوم بإفراز تلك الخيوط الدقيقة

(١) عن أبي هريرة- للإمام أحمد في مسنده.

وذلك في قول الله عز وجل: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤١)

وهنا نلاحظ التعبير بقوله ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ والخطاب فيها عن الأنثى، ولو كان الذكر هو الذي يفرز تلك الخيوط لكان التعبير «**اتخذ بيتًا**» فسبحان الله ومن أصدق من الله حديثًا؟!

التمر: من خلال الأبحاث والحقائق الطبية صرح العلماء بأهمية التمر وفوائده الصحية وذلك لارتفاع قيمته الغذائية بما يحتويه من سكر مانح للطاقة، سريع الهضم والامتصاص، واحتوائه على نسبة عالية من الأملاح والفيتامينات، وماله من دور في تخفيف آلام المخاض عند الولادة، ويسهم في سرعة خروج المولود إلى الدنيا لاحتوائه على نسبة من الطاقة العالية، وتلك الحقائق العلمية الحديثة سبق وأشار إليها القرآن الكريم، حيث يأمر سبحانه مريم ابنة عمران عندما جاءها المخاض بقوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم: ٢٥).

النعاس ووحي الله: أثبتت العلوم الطبية أن النعاس أو الإغفاءات التي تعتري الإنسان أثناء النهار لها بالغ الأثر على صحة الإنسان البدنية، حيث تُخفض من ضغط الدم حوالي خمسة عشر ملليمتر زئبق، وترفع عن القلب بعض حمله المثقل، ووجد العلماء أن الإغفاء قبل القيام بأي مجهود بدني أو ذهني شاق يصنع العجائب بالنسبة للإنتاج العضلي والذهني، والحالة الصحية العامة، وقد صرح الطبيب (أدمند جاكوكسون) في كتابيه «الاسترخاء» و«يجب أن تسترخي» بتلك الحقيقة وأكد عليها، وهي ضرورة الإغفاء، أو النعاس قبل القيام بمجهود شاق كبير، وبذلك تتضح لنا

الحكمة من إلقاء الله تعالى النعاس على الصحابة قبيل غزوة بدر ليثبت قلوبهم، ويمنحهم القوة البدنية قبل ملاقاة العدو، يقول تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (الأنفال: ١١)؛ إنه الإعجاز الإلهي الذي لا يخطر بعقول البشر، فهو وحي الله الحق الذي لابد أن يكون حقًا إذا بحث الإنسان أراد أن يزداد علمًا بمعرفة ما يسمح به الله ويشاء، وهذا يثبت لنا **أن القول البشري** الذي ينطق به أي إنسان دون علم مسبق بنتائجه، لا يمكن أن تكون نبوءة تتحقق كنبوءات الرسول ﷺ التي تتحقق في كل عصر، ولا يقتصر التحدي من الله تعالى إلى تحقق ومعرفة تلك الحقيقة كإعجاز ندركه في عصرنا، بل وينزل تعالى عليهم مطرًا في وقت شديد القيظ (الحَرِّ)، وفي قلب الصحراء لأنهم يحتاجون ذلك يقول تعالى في تكملة الآية الكريمة: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ (الأنفال: ١١).

فالحمد لله أن ربنا الرءوف... الرحمن الرحيم.

الرضاعة: لقد كان من علامات الثراء في الجاهلية أن ترسل الأم بطفلها الرضيع إلى أمهات أخرى في البادية لتتم رضاعته، ويكتسب صفاتٍ جديدة من البيئة الجديدة من حوله، ولكن العلم الحديث أثبت ضرورة وأهمية الرضاعة من ثدي الأم ذاتها؛ ليستكمل الطفل الحنان الكافي من أمه، وكذلك فإن الرضاعة الطبيعية تزيد من ذكاء الطفل لما لها من تأثير في اكتمال نمو المخ، وتقوية جهاز المناعة لدى الطفل، ومقاومة الأمراض والنزلات المعوية والدوستناريا الأميبية، وغيرها، ولقد سبق القرآن الكريم في الإشارة إلى أهمية ووجوب رضاعة الأم لطفلها، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

تذكر أن

١- الله تعالى عليم، خبير حكيم. لنا مثل في المواريث للذكر مثل حظ الأنثيين، لأن الرجل عليه النفقة، لكن الأنثى نصيبها ثابت، كذلك فإن الأرض التي تروى بالمطر، الزكاة فيها بنسبة أكبر من التي تروى بجهد الإنسان والأنعام، وبالسواقي، وغيرها، والزكاة تجد فيها أن الأموال يحول عليها الحول، حتى تكون هناك الفرصة للعمل، والأرباح.

٢- يوصينا النبي ﷺ أننا إذا سمعنا صياح الديكة أن نسأل الله من فضله؛ لأنها ترى الملائكة، وإذا سمعنا نهيق الحمار، أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنه يرى الشيطان، وبالفعل يكتشف العلماء أن الديك يرى الأشعة فوق البنفسجية، مما يُمكِّنه من رؤية الملك، والحمار يرى الأشعة تحت الحمراء مما يمكنه من رؤية الشيطان.

٣- صيام الثلاثة أيام القمرية، الحكمة منها أن القمر يكون مكتملًا فيجذب الغلاف المائي بقوة، وهناك نسبة الماء في جسم الإنسان التي تتأثر بذلك، فيكون هناك التوتر، والمزاج العصبي، وتشير الإحصائيات في مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية بذلك.

٤- صيام الاثنين والخميس يخلص الكبد من أي مخزون متراكم زائد حتى لا يحدث تليف الكبد؛ وذلك من تراكم المخزون الغذائي بسبب الأكل أثناء الشبع، قبل توزيع الغذاء على الجسم.

٥- اكتشف العلماء أن الكورتيزون، أو هرمون النشاط يرتفع في آخر الليل، مما يؤثر على القلب، ويرفع نسبة السكر، وغير ذلك، وأطباء الغرب ينصحون بالقيام في

تلك الفترة، وتدليك الجسم والأطراف بالماء، واستنشاق الهواء النقي، والقيام ببعض الحركات الرياضية، وصلاة قيام الليل فيها تلك الفائدة، والوقاية من أمراض القلب، والسكتة الدماغية، وغيرها.

٦- ثبت أن السواك يحتوي مواد عطرية، ومواد تقاوم البلاك ومواد تنشط الهضم، وتحمي اللثة، ولا يقوم بذلك المعجون العادي، وغير ذلك الكثير من الفوائد.

٧- يثبت العلم أن الوسائل المانعة للحمل تسبب خلل الهرمونات، والسرطانات، والنزيف المستمر، وأمراض الكبد، والصداع المزمن، يقول ﷺ فيما رواه مسلم: «**العزل الوأد الخفي**».

٨- أفادت الأبحاث العلمية الحديثة أن الصلاة تخلص الجسم من الشحنات الضارة، من خلال لمس الأعضاء السبعة للأرض، والوضوء ينشط مسارات الطاقة، والركوع يحمي أربطة الظهر منذ الصغر وحتى الكبر من الانزلاق الغضروفي، لذلك كان الأمر بالصلاة من سبع إلى عشر، كما أشارت السنة النبوية الشريفة.

٩- القرآن الكريم يقوي جهاز المناعة، ويحمي من التوتر العصبي، والاكتئاب النفسي، حتى حين يسمعه غير المسلمين، وذلك بعد تجارب وأبحاث مختلفة شهدت بذلك.

١٠- الصوم يحمي من الكثير من الأمراض، ويلاحظ معه انخفاض الهرمون الجنسي حتى يكاد أن يكون منعدمًا مع الصيام، وقد أوصى ﷺ من لا يستطيع تكاليف الزواج بالصوم.

١١- النباتات والأعشاب الطبيعية تحتوي مواد فعالة تقاوم الأمراض، ويقلد الأطباء مثل تلك المواد في المعامل لتكون علاجًا لهذه الأمراض، لذلك فالعلاج الطبيعي أفضل صحيًا.

١٢ - الختان يقوي جهاز المناعة بنسبة تزيد عن خمسين بالمائة، ويحمي من مرض الإيدز.

١٣ - صلاة الفجر جهرية لأنك انتقلت من حالة السكون والنوم، لتستيقظ خلاياك بالقرآن، والظهر والعصر سرية ليكون السكون بعد العمل، والمغرب والعشاء جهرية لأنك مقبل على النوم، والغفلة عن الذكر، فسبحان العليم الخبير.

١٤ - في مستشفيات الولادة بدول الغرب، صور لبعض الحركات الرياضية التي تفيد الأم الحامل، هي نفس حركات الركوع، والسجود، والجلوس في الصلاة.

١٥ - تناول الجزر المسلوق في الصباح، مع نصف ملعقة حبة البركة المطحونة حماية من أمراض كثيرة، ومنها أورام الكبد والسرطان.

١٦ - شرب كوب مغلي السموه، أو مطحون حبة البركة، وقشر الرمان المطحون، وحب الرشاد بعد طحنه، ملعقة على كوب ماء، أو لبن على الريق في الصباح، حماية من مرض السكر، وتؤخذ الجرعة لمدة شهر أو أكثر.

١٧ - العدس يُطبخ في ماء البحر، ويكون كالعجينة، حماية من سرطان الثدي، وغيره، يُدهن به المكان المصاب، مع ترديد بسم الله الشافي.

١٨ - شرب ٢ كوب من الماء قبل الإفطار بساعتين، حماية من السرطان، وأمراض الكلى، والليمون يُجدد الدم، ويُخفض الضغط وله الكثير من الفوائد.

١٩ - الحجاب حماية من سرطان الجلد، وغيره من أمراض التعرض للشمس، فهو خير للنساء في الدنيا والآخرة.

٢٠- النبي ﷺ كان أمي يتيم لم يكن له والد ينصحه في الدين أو الدنيا وبذلك فإن ما تراه من كتب ومجلدات في مختلف العلوم من الفقه، والمواريث، والحديث، والإعجاز وفروعه، يثبت أنه كان لا ينطق عن الهوى.

٢١- رأى سلمان الفارسي خاتم النبوة بين كتفي النبي ﷺ ووجده يَقبل الهدية، ولا يَقبل الصدقة كما ورد في الكتب السابقة، وأسلم أحد أحبار اليهود حين وجد النبي ﷺ لا يقابل السيئة بالسيئة، ولا يزيده جهل الجاهل إلا حلمًا كما دلت النصوص عندهم، وأجابهم في أهل الكهف، وذي القرنين، ولم يُجب في أمر الروح فتأكدوا من صدق نبوته.

٢٢- أسلم كلود من الدانمارك حين عرف السيرة الحقيقية للنبي ﷺ حيث كان ما يعلمه من ترجمات الغرب المضللة أن النبي ﷺ مثل جنكيز خان قائد التتار.

٢٣- يشهد الشيخ الزنداني بنزول المطر بعد صلاة الاستسقاء، ويخاطب أصحاب الجدل، أليس ذلك دليلًا على وجود الله؟

٢٤- اكتشف العلماء بعد العديد من الأبحاث أن للقلب ذاكرة ومركز تعقل كما ذكر القرآن الكريم.

٢٥- شاب أمريكي أعلن إسلامه في المركز الإسلامي؛ حيث رأى المسيح في الرؤيا يقول له: «كُنْ مُحمديًا»، ومات ساجدًا في صلاة العشاء، وقد ذكر ذلك الشيخ محمد حسان في إحدى القنوات الإسلامية.

٢٦- هناك من أصيبت بسرطان الرئة، وهي من المغرب، وقد عجز الأطباء مع حالتها، فشربت من ماء زمزم، واغتسلت، فاختفت الأورام تمامًا.

٢٧- إن روح المؤمن تخرج كالقطرة من في السقاء، وروح الكافر تخرج كالشوك من الصوف المبتل، إن روح المؤمن كما دلت الأحاديث الصحيحة تفوح منها رائحة طيبة تعرفها الملائكة بعكس العاصي الذي لا تُفتح له أبواب السماء، ويشهد من حضر سكرات الموت لأحد الصالحين أنهم قبل إحضار أي طيب كانت الرائحة الطيبة تملأ المكان، ويشهد قائد المجاهدين بفلسطين في أحد البرامج المرئية، أن الشاب عاصم قُتل شهيدًا وكان دائمًا في الصفوف الأولى، وكان يتمنى الزواج من الحور العين، ظلت تفوح رائحة المسك بعد استشهاده من بيته، وقبره فترة طويلة، فاللهم ارزقنا حسن الخواتيم.

٢٨- خذ الكتاب بقوة فلا خير في حق لا تدعمه قوة، واعلم أن علمًا قليلًا مقيدًا في الصدور يُعمل به خيرٌ من علوم كثيرة مسطورة في الكتب ولا يُعمل بها، وتذكر الإعجاز التصويري، وتأثر بما تقول، وتحكم في ذاتك، هناك من الصحابة والتابعين من إذا تأثر بآية قام بها الليل كله يبكي من الخشية.

٢٩- لا تنسَ حرارة النار، والزمهرير، وضعفك، وأن الدنيا هشيم، وتذكر أن عمرك يومك، ولا تنس لطف الله بك، وفرصة النفس والتوبة، واعلم أنك إن تفتح باب الفتنة تلجه، واعلم أن الله تعالى ابتلى بني إسرائيل بنهر، وظهرت الحيتان يوم السبت، وشيء من الصيد تناله أيدي من قصد الحج، وكان الإسراء والمعراج، وتحويل القبلة؛ ليميز الله المؤمنين الصادقين.

٣٠- وجد خالد بن الوليد أكيدر من جنود الأعداء يصيد البقر كما أخبر ﷺ، وتنبأ لأحد الصحابة باسم أسيرة تكون في سببه في الفتوحات، وكان ذلك في عهد خالد بن الوليد، الذي كان النصر له من الله في أكثر من ثلاث وعشرين معركة.

٣١- يضحك الله من عبد ترك فراشه الوثير واستيقظ لقيام الليل رغم حاجته للنوم؛ لذلك فإن ثواب ركعتين في جوف الليل خيرٌ من الدنيا وما فيها.

٣٢- إن ريح قوم عاد لم تذر شيئًا أتت عليه إلا جعلته كالرميم، ولكن ترك الله مساكنهم للعبرة ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾.

٣٣- يثبت العلم الحديث أنه للحفاظ على الخلية الحية خارج الجسم لابد من خفض التوتر السطحي من ٧٣-٤٥ داين/ سم، وهناك خلايا تُحفظ في ماء خاص لمدة سنوات، لذلك فإن عظمة عَجْب الذنب التي ينبت منها الإنسان، لا تتأثر بالماء العادي في القبور، يقول ﷺ: «**ينزل مطر من السماء فتنبتون منها كما يُنبت الماء البقل**» فهو ماء من نوع خاص.

٣٤- الغشاء الطلائي الشبكي في العين يسمح برؤية الضوء المنظور، ولا يسمح برؤية غير المنظور، كالأشعة فوق البنفسجية، وتحت الحمراء، وإلا سنرى الملائكة والشياطين، لذلك سيكون بصرك حديدًا عند سكرات الموت ويسمح الله لك بذلك، والديكة ترى الأشعة فوق البنفسجية، وحين تصيح فقد رأت ملكًا كما أخبر ﷺ.

٣٥-تذكَّر الصراط، ودَرَكات النار، وبشرى النبي ﷺ بفتح

القسطنطينية، وقد تم ذلك، وإنه نعم الأمير والجيش، وبشر بفتح رومية وسوف يكون ذلك، وبشر ﷺ بالانتصار على الفرس والروم وكان ذلك في عهد أبي بكر وعمر.. إن رضا الله مع الحمد، وحشرك مع من تحب.

٣٦- كانت هناك فروع كثيرة من النيل، وكانت أنهار وأفرع تجري من حول قصر فرعون، المرتفع، ولكن جف أكثرها الآن، ولم يبقَ إلا القليل منها.

٣٧- للنساء مثل في جهاد نسيبة بنت كعب في أُحد، واليمامة، وغيرها، وسلمى زوجة المثنى بن حارثة في الفتوحات الإسلامية.

٣٨- تذكر أن النحل كتب عبارة الشهادتين، وأن الجن حق كما ورد بالقرآن الكريم، وإن تمكن من العبد الغافل وأصابه بالمس، يتحكم أحيانًا في صوته، ونظره، ولا تنسَ نعم الله عليك، وعمل الهرمونات في جسدك، وحصِّن نفسك بذكر الله، لا يصيبك الضرر، وذكر الجنة، والتضحية بالنفس، والمال، للفوز بها.

٣٩- تذكر سخاء ابن المبارك وفقهه، وثبات أبي مسلم الخولاني أمام نار الأسود العنسي، وثقة أبي العلاء الحضرمي، وعبور النهر بلا سفن، وطاعة خالد بن الوليد عند عزله، وثبات معاذ بن جبل إمام العلماء أمام خمسين ألف من جيش الروم حتى قُتلوا جميعًا، وحرصه على قيام الليل في الحرب، والفرج بعد الكرب مع يوسف عليه السلام .

٤٠- القصص القرآنية حق يغنيك عن خيال الشاشات المرئية، الناقة تخرج من الصخرة الصماء لصالح عليه السلام والبحر يتحول إلى طريق لموسى عليه السلام، وصفوف النمل، والجن، والطير، والإنس تقف في انتظار أمر سليمان عليه السلام، وغير ذلك من المشاهد الحقيقية التي لن تستطيع أن تحققها روايات البشر الخيالية، لقد

توقفت النار عن صفة الحرق مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبعث العزير بعد مائة عام، وهناك مشاهد يوم القيامة، والجنة والنار، وما رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واختراق السماوات السبع في رحلة الإسراء والمعراج.

٤١- أَكْثِر من ذكر الله، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتسبيح، والاستغفار، والحمد لله على كل نعمه ومنها خلقك، وأنك مسلم، ومعرفة الله تعالى، وإبداعه في عمل خلايا جسدك، وخلق الروح، وحركة المفاصل، والأجهزة المختلفة، والكون من حولك، ونعمة الأمن، والحفظة، فهناك بلاد تنزل فيها الصواعق فيصيب الله بها من يشاء، وتقرب إلى الله بالنوافل يحبك، واحفظ الله يحفظك، وكُنْ على رضا بما قسمه لك، واحرص على الرزق الحلال، والخشوع في الصلاة، والصف الأول، وكن رفيقًا رحيمًا، على خلق، لا تهجر القرآن منهج حياتك، ومرر الآيات على قلبك، تجد صفات المؤمنين الفائزين، وصفات الخاسرين، وتدرك أنك ضعيف، ولن تحيط بعلم الله، أو حق شكره على نعمة الخلق، والبعث، وأسرار الله في الهدى والضلال، وتقدير العمر، والثواب والعقاب، واعلم أن الحرام قد يسبب سرطانًا لخلية جسدك.

٤٢- أنفق يُنفق الله عليك ويُخلف ويبارك ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ وتواضع، واحذر نجوى الشيطان، وتذكر علامات الساعة، وعندما لا تُقبل التوبة، وأن الأعمال بالخواتيم واجعل حبك لله المعطي فوق كل شيء، فالواهب الله، والغنى والفقر لحكمة، وفضل الله يؤتيه من يشاء، فقف عند حدودك، واعلم أن مع الشكر الزيادة، وأحسن في يومك، واجعل باقي أيامك مثله، وكن على يقين أنه سيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وعندها يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، ويسر ييسر الله عليك، واعلم أن الرازق الله، وليس متجرك، وأن الأسباب

والمعجزات من أمر الله، وأنه سبحانه مع المؤمنين في السلم والحرب حتى يغشيهم النعاس أمنةً منه، واشكر الله على حفظ بذرتك (عجب الذنب)، ولطفه بك، وفرصة النفس، والتوبة، وتذكر لحظة الزمهرير، ورحمة الله بالمؤمنين، وانتقامه من المكذبين الكافرين.

٤٣- ابدأ طريقك إلى الله بالتوبة، وتغلب على هوى النفس بالصوم، واعلم أنك على الحق فالأدلة تحيطك، وانطلق كالبراء، ورِبْعي، وخالد، وعمرو، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم لتنشر تلك الرسالة العالمية.

أهم المراجع

- «كنوز القرآن وبيان الفرقان» عبد العزيز الشاذلي - مكتبة الإيمان.
- «من روائع الإعجاز العلمي» دكتور عاطف قاسم المليجي - النهار للنشر والتوزيع.
- «مجموعة مقالات عن الإعجاز العلمي» دكتور زغلول النجار.
- «الأدلة المادية على وجود الله» الشيخ محمد متولي الشعراوي.
- «الإعجاز القرآني والتقدم العلمي» محمد علوه – دار الإشراق.
- «غرائب من العالم» الجزء الثالث - وليد ناصف - دار الكتاب العربي.
- «مجلة الإعجاز العلمي» تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- «صحيح البخاري» في الأحاديث النبوية.
- «سباق نحو الجنان» خالد أحمد أبو شادي - دار النشر.
- «الإعجاز العلمي في الحديث النبوي» أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر.
- «رجال حول الرسول» خالد محمد خالد - دار الكتب الحديثة.
- «بحر الدموع» أبي الفرج الجوزي - مكتبة الإيمان - المنصورة.
- «غرائب وطرائف الحيوانات» أبو عبيدة إبراهيم الراضي - مكتبة الإسكندرية.
- «حقائق حول الإعجاز العلمي» من محاضرات الشيخ طارق سويدان.
- «صور من الفتن والصبر عليها» سعيد عبد العظيم - دار العقيدة.
- «مكاشفة القلوب» أبي حامد محمد الغزالي - مكتبة الإيمان - المنصورة.
- «كرامات وخواتيم» حسن قنديل القيم – نشر بستان المعرفة.

- «فضل التواضع» الدكتور سيد بن حسين العفاني.
- «القرآن الكريم والعلم الحديث» دكتور منصور محمد – دار المعارف.
- «من معجزات الرسول ﷺ» علي عبد العال الطهطاوي.
- «مواقف إيمانية» ومحاضرات عن التفسير والسيرة للشيخ/ محمد الشيخ، وأحمد ربيع مفتش العلوم الشرعية بالأزهر الشريف.
- مراجع أخرى لمجموعة من العلماء في التفسير وبيان الإعجاز القرآني، ومن فتاوى الشيخ/ حافظ أحمد مكي في العقيدة الإسلامية.

الفهرس

إهداء ٥
مُقدِّمة ٧

الجزء الأول

الإعجاز العلمي في آيات الله والعلوم الكونية

١- حركة السفن والرياح ١١
٢- صعود السماء وصفة العروج ١١
٣- الرواسي وتثبيت الأرض ١٢
٤- توازن الكون وآيات الإعجاز ١٢
٥- الإعجاز في خلق الأرض وصلاحيتها للعمران ١٣
٦- من صور الرجع الكوني والإعجاز القرآني ١٧
أولاً- نطاق الطقس أو الرجع ١٨
ثانيًا- نطاق التطبق ١٨
ثالثًا- النطاق الحراري ١٩
رابعًا- أحزمة الإشعاع ١٩
٧- الإعجاز في بناء السماء دون تشقق أو فروج ٢٢
٨- رزق السماء والعلوم الكونية ٢٣
٩- نجوم تطرق السماء وتثقب الظلام الكوني ٢٥
١٠- الإعجاز في رفع السماء بغير عمد ٢٦
١١- حقيقة النجوم والوصف القرآني ٢٩
١٢- مد الظل وآية من آيات الله ٣٤
١٣- الشمس والقمر والنظام الحسابي ٣٥
١٤- البأس الشديد والمنافع في معدن الحديد ٣٦
١٥- أفلاك النجوم ومساراتها ٣٧
١٦- السراب حقيقة وظاهرة ضوئية ٣٨

١٧- الإعجاز في خلق الجبال والسبل ٣٩
١٨- أهمية الماء والوصف القرآني..... ٣٩
١٩- إشارة قرآنية وحقيقة علمية ٤٠
٢٠- الإعجاز في اختلاف الليل والنهار ٤١
٢١- الماء والينابيع في الأرض..... ٤٢
٢٢- السير في الأرض يوضح كيف بدأ الخلق ٤٣
٢٣- الإعجاز في وصف السماء بالدخان ٤٤
٢٤- الوصف القرآني بذات الحبك..... ٤٥
٢٥- آية وحقائق وإعجازات عن الصعود إلى الأفق ٤٦
٢٦- النجوم الطارقة والكانسة وكيف تتكون ٥١
٢٧- السماوات السبع وحدود ما يدركه البشر ٥٤
٢٨- الإعجاز في الإشارات والحقائق ٥٥
٢٩- المادة والجسيمات الصغيرة ٥٨
٣٠- الشمس والقمر واكتشاف شموس وأقمار أخرى..... ٥٩
٣١- أهمية السقف المحفوظ للكوكب الأرضي ٦٠
٣٢- إشارات قرآنية عن ارتياد الفضاء وركوب السفن ٦٢
٣٣- عالم الكائنات الغريبة..... ٦٣
٣٤- سرعة الضوء والإشارات القرآنية ٦٦
٣٥- اكتشاف جبال السماء..... ٦٨
٣٦- الماء العذب ورحمة الله ٦٩
٣٧- قدرة وحقيقة وإعجاز..... ٦٩
٣٨- موقع الأرض والنجوم والجاذبية ٧٠
٣٩- الفرات وجبل الذهب ٧٠
٤٠- مبارك الإبل وعبور الفضاء..... ٧١
٤١- الإعجاز في اتساع أقطار السماوات والأرض..... ٧٢

٤٢- الاكتشاف العلمي لشواظ النار والنحاس ٧٤
٤٣- الإعجاز في التصنيف القرآني لصخور الجبال..... ٧٥
٤٤- رزق الكائنات بتقدير الله تعالى ٧٧
٤٥- الإعجاز في نقاء ماء المطر وطهارته..... ٨٠
٤٦- الإعجاز في انتفاع الناس بما يمكث في الأرض ٨١
٤٧- علم الفلك والسنة الشمسية والقمرية ٨٢
٤٨- جريان الشمس حقيقة وإعجاز..... ٨٣
٤٩- صفة الجبال وسطح الأرض..... ٨٤
٥٠- مكة المكرمة ومركز العالم..... ٨٥
٥١- رواد الفضاء وانشقاق القمر..... ٨٦
٥٢- ظلمات البحر واكتشاف البرزخ..... ٨٦
٥٣- من روائع الإعجاز في عالم البحار..... ٨٨
٥٤- الشمس ومصدر الطاقة ٩٣
٥٥- شهادة العلماء الباحثين ٩٦
٥٦- وصف انشقاق السماء بالوردة ٩٨
٥٧- تباعد النجوم والأصل الواحد للكون ٩٩
٥٨- خلق ما لا نعلم ومحو آية الليل..... ١٠١
٥٩- رحمة الله في إمساك السماء..... ١٠٣
٦٠- مغرب الشمس والعين الحمئة ١٠٤
٦١- الليل وإغشاء الشمس ١٠٤
٦٢- حقيقة الحجر الأسود ١٠٥
٦٣- الميزان الإلهي في صنع الأرض ١٠٦
٦٤- تمهيد الأرض وإبداع الخالق..... ١٠٨
٦٥- تدبير الخالق وتصريف الرياح ١١١
٦٦- خلق الظلمات والنور..... ١١٣

عصر الكواركات والجليونات ١١٣
عصر اللبتونات ١١٤
عصر النيوكليونات وأضدادها ١١٤
عصر تخلق نوى ذرات العناصر ١١٤
٦٧- آيات بينات ١١٥
٦٨- انضباط الكون ١١٩
٦٩- حقائق وإعجازات ١٢٢
٧٠- ليس في خلق الرحمن من تفاوت ١٢٣
٧١- المصابيح والسماء الدنيا ١٢٧
٧٢- وحي الله وتكوير الكون ١٣٠
٧٣- من أنوار القرآن الكريم وإعجازه ١٤٩

الجزء الثاني

الإعجاز العلمي في آيات الله والعلوم الطبية

١- الاستنساخ والإشارة القرآنية ١٦١
٢- الرحم والقرار المكين ١٦١
٣- منهج الرسالة والطب النفسي ١٦٢
٤- الإعجاز العلمي في تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ١٦٣
٥- الإعجاز فيما يسمح به الله أو ينهى عنه ١٦٤
٦- الإعجاز في إخراج اللبن من بين الدم والفرث ١٦٦
٧- الإعجاز في تقديم السمع على البصر والليل على النهار ١٦٦
٨- الشيخوخة وخلايا الإنسان ١٦٧
٩- الخير في إنزال المن والسلوى ١٦٧
١٠- علاقة الشمس بالإبصار ١٦٨
١١- من الإعجاز في علم الأجنة ١٦٩
١٢- ألم الأمعاء وبصمات الإنسان ١٧١

١٣- مخالفة الفطرة وجنون البقر ١٧٢
١٤- الميكروسكوبات واكتشافات العلماء ١٧٢
١٥- ما فوق عقول البشر والوحي من الله ١٧٤
١٦- تيسير الولادة والإعجاز فيما يُكتب على الجبين ١٧٥
١٧- الناصية والكذب والخطأ ١٧٧
١٨- حبل الوريد وعنق الإنسان ١٧٧
١٩- مركز الإحساس بالألم في الجلد ١٧٩
٢٠- أساس الذرية والصلب والترائب ١٨٠
٢١- سبحان من علم الإنسان ما لم يعلم ١٨١
٢٢- أسرار خلق الله والغدة الصنوبرية ١٨٣
٢٣- لبنة البناء في جسم الإنسان وما يهدمها ١٨٥
٢٤- الطائر والمخيخ والعنق ١٨٧
٢٥- العلق وعلم الكيمياء ١٨٨
٢٦- عدسة العين وعرق الإنسان ١٨٩

الجزء الثالث

الإعجاز العلمي في آيات الله والعلوم البيولوجية

١- حقيقة قرآنية ودراسات نباتية ١٩٣
٢- من إعجازات الله، اختلافات الطعم والألوان والأصل واحد ١٩٣
٣- الإعجاز في علاقة النار بالشجر الأخضر ١٩٤
٤- حقائق علمية حول ذكر النخل والرمان في القرآن الكريم ١٩٦
٥- كائنات وأمم أمثالنا ١٩٦
٦- بيت العنكبوت أوهن البيوت ١٩٨
٧- ظاهرة ومثل وحقيقة علمية ١٩٩
٨- كائنات وسلوكيات ٢٠٠
٩- الإعجاز في ترك الحب في سنابله عند التخزين ٢٠٣

١٠- الماء أصل تكوين الحب..... ٢٠٤
١١- اهتزاز تربة الأرض حقيقة علمية صورها العلماء ٢٠٥
١٢- آيات الله والإعجاز، في خلق الإنسان والنبات والطير ٢٠٧
١٣- من عجائب الكائنات وإلهام الخالق..... ٢٠٩
١٤- سبحان البديع القادر في خلق كل شيء..... ٢١٤
١٥- القطع المتجاورات ٢١٧
١٦- علم النبات والإعجاز القرآني ٢٢٣
١٧- الزوجية ووحدة البناء..... ٢٢٥
١٨- الموت والحياة ٢٢٧
١٩- الطلع النضيد وصور الإبداع ٢٣٠
٢٠- الإعجاز القرآني وشجرة اليقطين ٢٣٤
٢١- الإعجاز في الوصف القرآني لنمو النبات..... ٢٣٦
٢٢- عوالم وإحاطة وإبداع..... ٢٣٧
٢٣- النبات والطاقة والغذاء والخلايا الحية..... ٢٤٥
٢٤- سبحان من خلق الأزواج كلها ٢٤٧
٢٥- الفاعلية في ضرب الرقاب وحقيقة الماء الآسن ٢٥٠
٢٦- حبة الخردل وشدة حساب الآخرة..... ٢٥١
٢٧- الإعجاز في انتشار الإسلام دون ظلم أو اعتداء ٢٥١
٢٨- أسرار وإعجازات مع الحروف المقطعة..... ٢٥٢
٢٩- عطاءات القرآن والإعجاز في كل زمان ٢٥٥
٣٠- وفي كل شيء ترى آية..... ٢٦٤
تذكر أن ٢٦٧
أهم المراجع ٢٧٦
الفهرس..... ٢٧٩

تم بحمد الله